

صاحبة الرواية الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز "في المنزل المجاور"

SHARI LAPENA
شاري لابينا

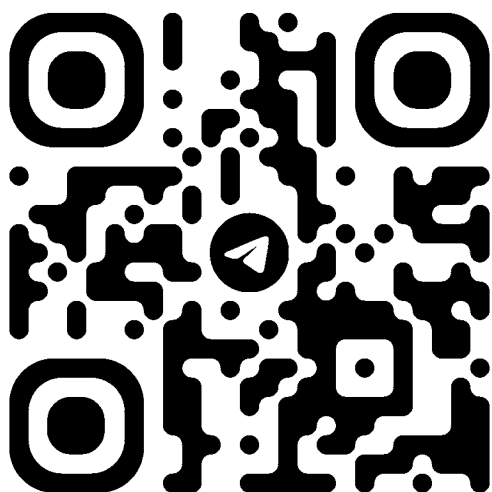
ليست
عائلة سعيدة

NOT A HAPPY FAMILY

رواية | ترجمة: يارا حامد



مكتبة



سجل في مكتبة

اضغط! الصفحة

SCAN QR

ليست
عائلة سعيدة



للنشر و التوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● العنوان الأصلي:

Not a Happy Family

● العنوان العربي: ليست عائلة سعيدة

● طبع بواسطة:

VIKING An imprint of Penguin
Random House LLC

● حقوق النشر:

Copyrights © 2023 by 1742145
Ontario Limited

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

● ترجمة: يارا حامد

● تحرير: أحمد إبراهيم إسماعيل

● تدقيق لغوي: سلسبيل بهاء الدين

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: يونيو / 2023م

● رقم الإيداع: 11893 / 2023م

● الترخيم الدولي: 0-269-992-977-978

مكتبة

t.me/soramnqraa

صاحبة الرواية الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز "في المنزل المجاور"

SHARI LAPENA

شاري لابيننا

مكتبة

t.me/soramnqraa

ليست

عائلة سعيدة

NOT A HAPPY FAMILY

رواية | ترجمة: يارا حامد



إلى أبطال الجائحة:
العلماء، والكوادر الطبية،
والعاملين في الخطوط الأمامية في كل مكان..
شكرًا لكم.

كل العائلات السعيدة تتشابه،
لكن لكل عائلة تعيسة طريققتها الخاصة
في التعاسة.

- ليو تولستوي، أنا كارينينا

مقدمة

مكتبة

t.me/soramnqraa

يوجد العديد من المنازل الفخمة هنا في «بريكن هيل»، منطقة محصورة على حدود «أيلسفورد» في «وادي هدسون» تقع على الجانب الشرقي من «نهر هدسون»، وتبعد قرابة مائة ميل شمال «مدينة نيويورك». تشبه «الهامبتونز»، لكنها أقل فخامة بعض الشيء. يوجد هنا أسر عريقة الثراء، وأخرى حديثة العهد به. وهناك، في آخر الممر الطويل الخاص، بعد مجموعة من أشجار البتولا، يقبع منزل «عائلة مرتون»، على امتداد مرجه الأخضر الشاسع كالكَعْكَعَة على الطبق. يظهر جزء من المسبح في اليسار، وفي الخلف وهد وأشجار كثيفة على جانبي المكان تضمن الخصوصية. هذا عقار نخبوي بامتياز.

المكان يسبح في سكونه. أشعة الشمس واهية في الخارج تُلاطف بعض السحب الضبابية. إنها الرابعة بعد الظهر من اثنين عيد الفصح؛ في أي مكان آخر، يُجهز الأطفال بنهم على الشكولاتة أرنبية الشكل خاصتهم، والبيضات المغلفة بالرقائق المعدنية، بينما يحصون المتبقي لهم، ويراقبون كم تبقى في سلات أشقائهم. لكن لا أطفال هنا، لقد كبر الأطفال ورحلوا. ليس ببعيد، دعوني أخبركم. فلقد كانوا هنا جميعهم البارحة لعشاء أحد عيد الفصح.

يبدو المكان مهجورًا. لا يوجد أي سيارات في المدخل، إنها موضوعة خلف أبواب المرأب الذي يمكنه استيعاب أربع سيارات. يوجد هناك بورشه 911 مكشوفة السقف، التي يحب «فريد مرتون» قيادتها، لكن في الصيف فقط، حتى يتسنى له رمي مضارب الجولف خاصته داخل الحقيبة. في الشتاء،

يفضل اللكزس. أما زوجته، «شילה»، فلديها مرسيدس بيضاء بكسوة داخلية مصنوعة من الجلد الأبيض. تحب ارتداء واحد من أوشحتها الكثيرة الزاهية من ماركة هيرمس، وتتفقد أحمر شفاهها في مرآة الرؤية الخلفية، والخروج لمقابلة أصدقائها. لكنها لن تفعل ذلك بعد الآن.

منزلٌ بهذه الفخامة، بهذه النظافة -له أرضية لامعة من الرخام الأبيض تحت ثريا دقيقة التفاصيل متدرجة الطبقات عند المدخل، وزهور نضرة على مائدة جانبية- ستُجزم بأن هناك مجموعة من الخدم للنظافة. لكن هناك خادمة واحدة فقط، «إيرينا»، التي تأتي مرتين أسبوعياً. تعمل بجد من أجل المال. ولكنها معهم منذ زمنٍ طويل -أكثر من ثلاثين عاماً- إلى حد أنها تكاد تكون فرداً من العائلة.

لا بد وأنه بدا رائعاً قبل كل ذلك، فهناك خيط من الدماء يتوجه من غرفة المعيشة إلى أعلى السلم باهت اللون المغطى بالسجاد. وفي اليسار، في غرفة المعيشة الجميلة، يوجد مصباح صيني كبير مُحطم على السجادة الفارسية، غطاؤه مائل. أبعد قليلاً إلى الأمام، بعد طاولة زجاجية صغيرة ذات ارتفاع منخفض، ترقد شילה مرتون في منامتها ساكنة تماماً. ميتة، بعينين مفتوحتين، وعلامات على رقبتها. لا دماء عليها، لكن رائحته الكريهة في كل مكان. شيء مريع قد حدث هنا.

في المطبخ الكبير المضيء في آخر المنزل، كانت جثة فريد مرتون ممددة على الأرض وتحتها بركة من الدماء الداكنة اللزجة، ويطن الذباب بهدوء حول أنفه وفمه. لقد ذُبِح، وطُعن بشراسة لمرات عديدة.

من قد يُقدِّم على مثل هذا الفعل؟

1

قبل أربع وعشرين ساعة..

وقف «دان مرتون» مرتدياً سترته كحلية اللون على قميصٍ أزرق فاتح مفتوح الرقبة مع بنطال أنيق من الجينز الداكن، وأخذ يتفقد نفسه باهتمام في المرأة الطويلة في غرفة النوم. وخلفه، زوجته «ليزا» تسأله: «هل أنت بخير؟».

ابتسم لها بفتور عبر المرأة وقال: «بالطبع. لمَ قد لا أكون؟».

أشاحت بوجهها بعيداً. يعلم أنها لا تستسيغ فكرة عشاء عيد الفصح في منزل أهله مثله هو الآخر، استدار ونظر إليها، إلى فتاته الجميلة ذات العينين البنيتين. لقد تزوجا منذ أربع سنوات، وخلال تلك المدة واجها التحديات. لكنها وقفت بجانبه، وهو يعلم أنه محظوظ لوجودها. إنها تجربته الأولى في الحب غير المشروط، إلا إذا أحصينا الكلاب.

كبح شعوراً بالضيق. إن مشكلاتهما المالية مصدر قلق وموضوع نقاش دائم، دائماً ما تحاول ليزا التخفيف عنه بالكلام على الرغم من ذلك، وجعله يؤمن بأن الأمور ستتحسن، هذا على الأقل وهي لا تزال في الغرفة. لكن عندما لا تكون بالجوار، تبدأ الشكوك في التسلسل، ويعجزه القلق.

إن ليزا سليلة أسرة متواضعة من الطبقة المتوسطة -وهو ما كان سبب رفض أهله لها في البداية، لكنه لم يهتم، إن أهله عكسه؛ متعجرفون- لذلك لم يكن لديها آمال كبرى. حين التقيا، لم تكن حتى تعرف من هو لأن دوائرهما

ليست مشتركة. سمع أخته الصغيرة «چينا» تقول لأختها الكبيرة «كاثرين» دون أن تدركا أنه قد يسمعهما: «إنها الوحيدة التي ستقبل به».

ربما هذا صحيح. لكن زواجه، على الأقل، ناجح. عليهم جميعًا الاعتراف بذلك. وقد نما ولع عائلته بليزا رغمًا عنهم وعن كبرياتهم. سألته ليزا والقلق يبدو على وجهها: «هل ستحاول التحدث مع والدك؟».

أشاح بنظره بعيدًا وأغلق باب خزانة الملابس قائلاً: «لو تهيأت فرصة». إنه يكره طلب المال من أبيه. لكنه لا يرى حقًا أن لديه أي خيار آخر.

تتطلع كاثرين مرتون -لم تأخذ اسم عائلة زوجها- كل عام إلى عشاء عيد الفصح في منزل والديها، وإلى كل المناسبات الأخرى التي يجتمعون فيها للاحتفال في المنزل الفخم في بريكن هيل. ستُخرج والدتها الأطباق المميزة والفضية، وستُوضع باقة من الزهور النضرة حديثة القطف على مائدة العشاء الرسمية، وسيُشعر كل هذا كاثرين أنها راقية وثرية. إنها الابنة البكر والمفضلة؛ جميعهم يعرفون ذلك. إنها أعظمهم عملًا، الوحيدة التي يفخر بها أبواهم بالفعل، طيبة -طبيبة جلدية بدلًا من جراحة قلب- لكن، تظل طيبة. لطالما كان دان خيبة للآمال، وچينا، حسنًا، چينا هي چينا.

وضعت كاثرين قرطين لأولويين متساءلة عن المفاجأة التي يمكن أن تكون چينا قد أعدتها لهم اليوم. إن أختها الصغيرة تعيش في منزل صغير مستأجر في ضواحي أيلسفورد وتتردد على مدينة نيويورك للبقاء مع الأصدقاء، نمط حياتها يشوبه الغموض ويسبب الكرب الجسم لأبويها. يقول دان عن چينا إنها خارجة عن السيطرة، لكن كاثرين تعرف أكثر. إن چينا تستخدم نمط حياتها وسيلةً للتحكم. إن لديها القدرة على أن تسبب الصدمات ولا تمنع في استخدام ذلك. چينا بالتأكيد سيئة السلوك، ليست مثل كاثرين. ليست مهذبة أو متوقعة. لا، إنها خارجة عن المألوف. عندما كانوا أطفالًا، كانت لتفعل أي شيء بتهور بالغ. في الوقت الحاضر، يهدد والدهم دائمًا بقطع إعانة چينا، لكن جميعهم يعلمون أنه لن يفعل ذلك لأنها ستعود مجددًا إلى المنزل وهو ما لن يستطيعوا تحمله أبدًا. تشك العائلة في الانحلال وتعاطي المخدرات، لكنهم لن يسألوا أبدًا لأنهم لا يريدون أن يعرفوا حقًا.

نظرت كاثرين الجالسة على مقعدها عند مرآة تسريحتها إلى الأعلى حين دخل زوجها «تيد» غرفة نومهما. لقد كان هادئًا بعض الشيء طوال اليوم، طريقته المهدبة لإظهار امتعاضه، لكنه لن يعترف بذلك أبدًا. إنه لا يريد الذهاب إلى عشاء عيد الفصح في منزل أبويها الفخم. إنه يفتاظ من تطلعهم، كل عطلة، إلى ذلك العشاء. لا تستهويه المشاحنات الخفية المتراشقة في أثناء تلك العشاءات، يردد دائمًا فور ركوبهما سيارتهما عائدين أدراجهما أسفل المدخل الطويل: «رباه، كيف يمكنكِ تحمل هذا؟».

تدافع عنهم، وتجيّب دائمًا: «إنهم ليسوا بهذا السوء».

وتحاول التقليل من الحديث في الأمر بينما يمضون بعيدًا. نهضت واقفة الآن وتوجهت إليه وقبلته على خده وقالت: «حاول أن تتمالك نفسك قدر المستطاع».

- هذا ما أفعله دائمًا.

لا، لا تفعل. هكذا فكرت ومضت بعيدًا.

- اللعنة، إنني حقًا لا أريد الذهاب.

قالت جينا لـ «چاك» الجالس جوارها في مقعد الراكب بينما تقود تجاه بريكن هيل. لقد ركب القطار من مدينة نيويورك وأقلته هي من محطة قطار أيلسفورد. سيبقيت الليلة في منزلها. قال چاك وهو يلاطف فخذه ويمسدها: «إذًا، توقفي جانبًا. يمكننا إضاعة بعض الوقت، ندخن سيجارة حشيش، ونجعلك تسترخين».

نظرت إليه ورفعت أحد حاجبيها وقالت: «أعتقد أنني بحاجة إلى الاسترخاء؟».

- تبدين فقط حادة المزاج بعض الشيء.

قالت على نحو لعوبٍ بابتسامة: «تَبًّا لك».

أكملت القيادة حتى وجدت منعطفًا تعرفه وأخذته بغتة، بينما تتأرجح سيارتها بفعل المطبات طوال الطريق حتى أوقفتها جانبًا تحت شجرة كبيرة. كان چاك قد أشعل سيجارة حشيش بالفعل، ويستلها بعمق، قالت وهي تقترب لتأخذها منه: «سندخن حين نصل إلى هناك. ربما هذا شيء جيد».

- إنني لا أعرف لماذا تريدان معادة أهلك بشدة هكذا. إنهما يدفعان فواتيرك.

- يمكنهما تحمل ذلك.

قال: «فتاتي الجامحة».

وانحنى للأمام يقبلها، وأخذ يحرك يديه تحت سترتها الجلدية السوداء أسفل قميصها ممسداً بلطف، شاعراً بالنشوة من الآن. وقال: «إنني لا أطيق صبراً لأرى نوعية الأناس الذين ربوك».

- أوه، ستنبهر. إنهم متعالون للغاية إلى الحد الذي ستتخيل أن يظهر مصباح في كل مرة يفتحون فيها أفواههم.

- لا يمكن أن يكونوا بهذا السوء.

أخذت نفساً عميقاً آخر وناولته سيجارة الحشيش قائلة: «لا خوف من أُمِّي أظن. لكن أبي وغد. كانت الأمور ستصبح أسهل لو لم يكن بالقرب».

أجاب وهو يخطئ في استشهاده من قصيدة للشاعر فيليب لاركين: «الآباء، إنهم يحطمونك».

إنه يسيء فهم معظم الأشياء، أخذت حيناً تفكر وهي تنظر إليه من خلال ضباب الدخان وتذوب من ملمس أصابعه. لكنه مسلٌّ، وجيد في الفراش، وهذا جيد بما يكفي حتى الآن، ولديه المظهر المناسب، مثيّرٌ للغاية وفض. إنها لا تطيق صبراً لتعرف العائلة عليه.

2

لقد فعلت «روز كاتر» شيئاً غيباً. ما فعلته وما يجب عليها فعله الآن دائم التردد على تفكيرها. تفكر في ذلك متأخراً في الليل حيث من المفترض أن تكون نائمة، تفكر في ذلك في المكتب حيث من المفترض أن تعمل، تفكر في ذلك وهي تحاول التخفيف عن نفسها بمشاهدة التلفاز.

فكرة حضور عشاء عيد الفصح مع والدتها وخالتها «بربرا» متظاهرة بأن كل شيء بخير تبدو أكثر مما يمكن أن تحتمله. ستلاحظ والدتها أن هناك خطباً ما. إنها تلاحظ كل شيء. لقد أشارت كثيراً إلى أن روز تبدو متعبة مؤخراً وأنها فقدت بعض الوزن. دائماً ما تحاول روز إزاحة القلق جانباً محاولة توجيه الحوار إلى شيء آخر لكن الأمر يزداد صعوبة أكثر وأكثر. لقد بدأت بتقليل زياراتها لوالدتها بالفعل، لكن لا يمكنها التغيّب عن عشاء عيد الفصح، تفقدت نفسها في المرأة، بدا بنطالها الجينز -الذي كان ضيقاً- أكثر اتساعاً. قررت أن توازن ذلك بارتداء حمراء منفوخة فوق قميصها، سيفي هذا بالغرض، مشطت شعرها البني الطويل، ووضعت القليل من أحمر الشفاه لتضيء وجهها الشاحب، وحاولت رسم ابتسامة. تبدو متكلفة، لكن هذا أقصى ما يمكنها فعله. حين وصلت إلى منزل والدتها، بدأ الأمر فوراً، القلق الأمومي، طرح الأسئلة. لكن والدتها لا يمكنها مساعدتها، ولا يمكن أن تعرف الحقيقة أبداً. لقد أقحمت روز نفسها في هذه الفوضى بنفسها، ويجب أن تُخرج نفسها منها.

نظرت «إيلين كاتر» إلى ابنتها نظرة واحدة وهزت رأسها قائلةً وهي تتلقى معطف ابنتها: «انظري إليك، إنكِ شاحبة للغاية. ألا تبدو شاحبة قليلاً يا بربرا؟ وبصراحة يا روز لقد أصبحت نحيفة للغاية».

قلبت بربرا عينيها إليها وابتسمت لروز قائلة: «أرى أنك تبدين رائعة، لا تنصتي إلى أمك. إنها تبالغ في القلق».

ابتسمت روز لخالتها وقالت: «شكراً بربرا. لا أعتقد أنني أبدو بهذا السوء، أليس كذلك؟».

والتفتت لتنظر إلى نفسها في مرآة الردهة وعدلت من شعرها قليلاً.

ابتسمت إيلين بدورها بينما يغرق داخلها في الارتياح، وأرسلت إليها أختها نظرة خاطفة تؤكد أنها لاحظت التغيرات الظاهرة على ابنة أختها، بغض النظر عما قالته تَوًّا. إيلين لا تتخيل الأمور، إن روز تبدو مُنهكة بالفعل. لقد فقدت حيويتها مؤخراً. تحاول ألا تقلق، لكن على من غيرها ستقلق؟ إنها أرملة وروز هي ابنتها الوحيدة. ليس لدى بربرا أي أطفال، لذا لا يوجد أي بنات أو أبناء أخت لها لتثير الجلبة بشأنهم. إيلين وحيدة بحق في هذا العالم، لولا وجود هاتين الاتنتين وصديقتها أودري.

قالت إيلين: «حسناً، سنتناول عشاءً جميلاً الليلة. هيا تعاليا إلى المطبخ، إنني على وشك سقاية الديك الرومي بالحساء».

سمعت إيلين بربرا تسأل روز بينما يشققن طريقهن إلى الغرفة الأخرى: «ما آخر الأخبار؟».

- لا يوجد الكثير، فقط العمل.

- هذا الحديث لا يشبهك. ماذا تفعلين لتستمتعي؟ أليس حبيب هذه الأيام؟ كانت إيلين تسترق النظر إلى وجه ابنتها بينما تعد الديك الرومي ورائحة اللحم المشوي معهودة ومطمئنة. كانت روز فيما مضى محبوبة للغاية، لكنها لم تعد تتحدث عن الأصدقاء أو الأحباب. إنه فقط العمل، والعمل، والعمل.

- لا يوجد أحد في الوقت الراهن.

قالت بربرا موافقة بابتسامة: «أعتقد أن إدارة مكتب الحمامة الخاص بك يتطلب منك الكثير».

- ليس لديك أدنى فكرة.

اقترحت إيلين برفق: «هناك شيء يُدعى الموازنة بين العمل والحياة».
أجابت روز: «ليس إن كنتِ محامية شابة».
لكن إيلين تساءلت إذا ما يوجد أكثر من ذلك.

كانت «أودري ستانيسك» مستاءة بسبب إصابتها بأنفلونزا ربيعية مرهقة. لم تهتم بتلقي لقاح الأنفلونزا لهذا العام وهو ما تندم عليه أشد الندم الآن. داخل منزلها المتواضع، كانت تستلقي في فراشها مرتدية أكثر منامة مريحة وباهتة لديها، شعرها معقوف للخلف بعصابة رأس. لكن، وعلى الرغم من مرضها، طلاء أظفارها رائع. إنها مستلقية على عدة وسائد، والتلفاز مفتوح في الخلفية، لكنها لا تتابعه، هناك سلة مهملات ممتلئة بالناديل المستعملة وعلبة مناديل لم تُستعمل موضوعة على المنضدة بجانب صورة مؤطرة لابنتها «هولي». إنها تشعر بالبوأس التام، فأنفها يسيل كالصنبور وتشعر بالألم في جسدها كله. كان من المفترض أن تحتفل أودري بعشاء عيد الفصح مع بقية أفراد العائلة في منزل أخيها فريد، وكانت تتطلع إليه بخاصة هذا العام لأنها كانت ستستمتع به أكثر من المعتاد وهي تعلم ما تعلمه الآن. ستفتقد تلك الوجبة اللذيذة بجميع مكوناتها، وكعكة الليمون المفضلة لديها التي تعدها إيرينا. إنها لخسارة بحق فأودري تستلذ بالطعام التي تعده.

لكن فيما عدا إصابتها بالأنفلونزا، أودري سعيدة بعض الشيء هذه الأيام. إنها ترتقب حصولها على مكسب مالي استثنائي قريباً، مكسب مالي استثنائي بحق. من المؤسف للغاية أن يموت أحدهم في سبيل حصولها على ذلك. ستصبح ثرية. إنها مسألة وقت.

مكتبة
t.me/soramnqraa

3

وقفت كاثرين على عتبة منزل والديها وتيد بجوارها يهتز بتوتر بعض الشيء، رنت جرس الباب. الوضع هكذا دائماً؛ تظل تتساءل كيف سيتصرف الجميع متمنية أن يسير كل شيء على ما يرام. لكنها لن تسمح لأحد أن يفسد عليها اليوم.

لديها هي وتيد منزل جميل في أيلسفورد، لكنه أبعد ما يكون عن أن يضاها في الجمال. لديهما المنزل الذي يمكن لدخل اثنين مهنين -طبيبة جلدية وطبيب أسنان- تحمل تكلفته. أما منزل والديها، حيث ترعرت هي وشقيقاها، فهو أقرب إلى القصر، وبصفتها الابنة الكبرى، تود الحصول على هذا المنزل بعد موت والديها، تود العيش هنا، في بريكن هيل، حيث الراحة والثراء، واستضافة شقيقها في أمسيات العطلات وأولادها من حولها. هذا ما تتخيله، وفي خيالاتها لا تبدو متقدمة في العمر أبداً، ليست أكبر بكثير مما تبدو عليه الآن. بالتأكيد لا تبدو متقدمة في العمر إذا ما عاش والداها حياة مديدة وماتا بأسباب طبيعية. ولكن هذا هو الغرض من الخيالات؛ بطبيعتها إنها ليست واقعية أبداً. إنها تريد المنزل وكل ما فيه من أطباق، وتحف، وقطع فنية. لم يعدها والداها بالحصول على المنزل قط، أو حتى ألمحا إلى أنهما سيتركانه لها. لكنهما لن يتركاها لدان، لم يكن ليريده على أي حال، وحيناً على الأرجح ستفسد المكان، وإن لم تفعل، سيفعل أصدقاؤها. لم تكن والدتها لتفرض حيناً وأسلوب حياتها على جيرانها الأثرياء، كاثرين متأكدة من ذلك.

فتحت والدتها الباب ورحبت بهما بابتسامة ليدخلا. كانت تلبس سروالاً أسود، وتنتعل حذاء أسود بكعب عالٍ، وقميصاً أبيض من الحرير، ووشاحاً باللونين البرتقالي والزهري من ماركة هيرمس حول رقبتها. تفحصت كاثرين وجه والدتها سريعاً لترى كيف ستبدو هي الأخرى حين يتقدم بها العمر، فرأت عيني زرقاوين دامعتين، وبشرة جيدة، وشعرًا مقصوصًا بعناية. إن والدتها متماسكة رغم كبر سنها، لكن المال يساعد بالتأكيد.

قالت وهي تميل للأمام لتضم والدتها ضمة مهذبة أكثر منها حميمة: «مرحبًا يا أمي».

- مرحبًا يا عزيزتي. أنتما أول من يحضر.

ثم استدارت لترحب بتيد، وقالت بعد ذلك: «تفضلًا. سأحضر لكما شيئًا لتشرباه».

سألتهما والدتها وهي تدلف بنشاط إلى حجرة الطعام في الجانب الأيمن من البهو: «ماذا تحبان أن تشربا؟ شمبانيا؟».

دائمًا ما تقدم والدتها المشروبات بحيوية في الإجازات.

- بالطبع.

قالتها كاثرين وهي تنزع عنها معطفها الربيعي وتعلقه في الخزانة بينما يفعل زوجها الشيء نفسه. ولا يخلعان حذاءيهما أبدًا: «ماذا عنك يا تيد؟».

قال موافقًا مبتسمًا: «نعم بالطبع».

فكرت كاثرين في أنه دائمًا ما يكون جيدًا في البداية. وفقط يبدأ في الشعور بالانفعال بعد فترة من الوقت. صبت شिला الشمبانيا في الكؤوس، وحملوا كؤوسهم الفوارة وساروا عبر البهو الواسع متجهين إلى غرفة المعيشة على الجانب الآخر حيث جلسوا على الأرائك الأنيقة وأشعة الشمس تتمايل من خلال النافذة الضخمة. أخذت كاثرين تتأمل، كما تفعل كل مرة، المنظر البديع في الخارج فوق المرج الأخضر، والحديقة التي بدأت في الإزهار بالانرجس البري والتوليب. كانت لتعني أكثر بالحديقة لو كانت تخصها.

سألت كاثرين: «أين أبي؟».

- في الأعلى، سيكون هنا خلال دقيقة.

قالت والدتها وابتسمت بتوتر، وقالت لكاثرين بصوتٍ خفيض وهي تضع كأس الشمبانيا خاصتها على طاولة صغيرة: «في الواقع، هناك شيء هام أريد التحدث إليك بشأنه، قبل أن ينزل والدك».

قالت كاثرين متفاجئة: «أوه؟».

واعترى وجه والدتها شيء ما، الضيق ربما. كاثرين ليست متأكدة ما هو، لكنه جعلها متأهبة، ثم دق جرس الباب، فكرت كاثرين: هذا لا يمكن إلا أن يكون دان، فحيناً دائماً ما تتأخر.

وكأنها كانت تقرأ أفكارها، استدارت والدتها إلى الباب الأمامي وقالت: «لا بد وأن هذا دان».

ونهضت لفتتح الباب بينما رفعت كاثرين حاجبها لزوجها وهمست له قائلة: «أتساءل ما الذي تود التحدث بشأنه؟».

هز تيد كتفيه واحتسى من الشمبانيا خاصته، وانتظرا حتى انضم إليهما دان وليزا في غرفة المعيشة. تعانقت كاثرين وليزا بسرعة، بينما أوما الرجلان بالتحية لبعضهما بعضاً، جلس دان وليزا على الأريكة المقابلة، وذهبت أمهما لتحضر كأسَي شمبانيا لهما، لاحظت كاثرين أن دان يبدو مشدوداً أكثر من المعتاد. إنها تعلم أنه يمر بوقت عصيب، وتساءلت إذا ما كانت أهمهم ستطلعهما هما أيضاً على ماهية هذا السر. لكن حين انضمت أمهم إليهم مرة أخرى، تحدثت عن أشياء عامة، وسأرتها كاثرين.

رن جرس الباب مرة أخرى بعد عدة دقائق -ثلاث رنات قصيرة حادة- معلنة قدوم جينا. لم يظهر والدهم بعد، وأخذت كاثرين تتساءل بعدم ارتياح إذا ما كان هناك خطب ما.

ظلوا في غرفة المعيشة يستمعون إلى حديث والدتها مع جينا على الباب، سألت والدتها: «ومن الذي لدينا هنا؟».

فكرت كاثرين باستياء: رائع. لقد أحضرت جينا شخصاً. بالطبع فعلت، إنها دائماً ما تفعل هذا معظم الأوقات. في المرة الماضية، أحضرت «صديقة لها». نظرت كاثرين إلى تيد ولوت قسمات وجهها واستمعت.

أجاب صوت رجلٍ بهدوء وثقة: «چاك برنر».

قالت والدتها بأدب مفرط إلى حد الجفاء قليلاً: «مرحباً في منزلنا».

ثم سمعت كاثرين وقع الخطوات الثقيلة لنزول أبيها أعلى السلم، نهضت واقفة وتجرعت جرعة كبيرة من كأس الشمبانيا، وأومأت إلى تيد ليقف هو الآخر، وقف مكرهاً، ونقل كأس الشمبانيا خاصته إلى يده اليسرى، ومعاً توجهها إلى البهو، رحبت كاثرين بوالدها أولاً، تقدمت إلى الأمام وعانقته حين وصل إلى آخر السلم وقالت: «أهلاً أبي، عيد فصيح سعيداً».

عانقها أبوها سريعاً، وبينما كانت تعود أدراجها، قال مرحباً للجميع وذهب وصافح تيد بقوة. مصافحة لا دفع فيها، مصافحة رسمية للغاية، ظل دان وليزا في غرفة المعيشة وتوجه الاهتمام إلى الثنائي الواقف عند الباب، لاحظت كاثرين الكحل الأسود الكثيف حول عينيّ جينا والخصلة الأرجوانية الجديدة في شعرها، ورغم ذلك، جمالها صارخ، طويلة بقوامها المشدود في بنطالها الجينز الأسود الضيق المعتاد، وزوجين من الأحذية عالية الكعب، ومعطف أسود من الجلد كالذي يرتديه راكبو الدراجات النارية. تبدو وكأنها خرجت تَوّاً من المشهد الموسيقي المجنون في نيويورك. شعرت كاثرين هنيهة بالخوذة المعتادة من الاستفزاز، أو ربما الغيرة. فلا يمكن لكاثارين ارتداء ذلك أبداً، ثم ذكرت نفسها أنها لم تكن لتود هذا قط. لدى كاثرين ذوقها الخاص -ذوق حسن، وكلاسيكي، وباهظ- وهي سعيدة به. إنه يعكس من تكون.

جينا نحاة، نحاة موهوبة. لكنها لا تأخذ الأمر على محمل الجد إلى حد أن تكون ناجحة فيه. إنها أقرب إلى هاوية موهوبة، فتاة حفلات تبحث عن عذر لتتسكع في مدينة نيويورك. وهي تعلم أن والديها خائفان من أن يفسدها الوسط الفني في مدينة نيويورك. لا يوجد أيُّ من أعمال جينا معروض في منزل والديها لأنهما يجدانها مخلة بالآداب. تعرف كاثرين أن والديها في موقف حرج، فهما يريدان أن يكونا فخورين بابنتهما الموهوبة، ويريدانها أن تكون ناجحة، لكنهما مُحرجان من كل ما يصدر عن تلك الموهبة الواضحة.

چاك يبدو شخصاً ستُعجب به جينا. غامض، ومثير، وفي حاجة إلى حلاقة ذقنه، يرتدي بنطال جينز، وقميصاً، ومعطفاً جلدياً بُني اللون، تستطيع كاثرين أن تشم رائحة الحشيش تفوح منهما الاثنين من مكانها عند السلم. رmqهما والدهم بنظرة متجهمة.

وقالت جينا ببتهاج: «أهلاً أبي. چاك، هذا أبي».

أوماً چاك فقط سريعاً، وهو مرتخي الأعصاب، ولم يخطُ حتى خطوة إلى الأمام ليمد يده للمصافحة. إنه طويل بقوام مشدود كچينا وترى كاثرين أنه مسترخٍ أكثر من اللازم بكثير في موقف كهذا، لا ذوق لديه.

قالت شيلا وهي تتوجه إلى غرفة الطعام: «تعاليا معي. هناك شمبانيا». نظر فريد مرتون إلى كاثرين وكأن لسان حاله يقول: «من هذا بحق الجحيم، وماذا يفعل في منزلي؟» ومن ثم، حيا دان وزوجته.

بعد مرور وقت قصير، كان دان يقف في حجرة المعيشة يرتشف الشمبانيا خاصته متظاهراً بالاهتمام بالأشجار خلف النافذة. جميع السيدات في المطبخ يعددن الوجبة لتقدميها على المائدة. انضمت إليهن إيرينا، المربية السابقة، العاملة المستأجرة حالياً، التي دُعيت إلى العشاء، ولتنظف الفوضى بعد ذلك. تيد يحاور بمهارة چاك المشكوك في أمره إلى حد ما على الأريكة أمام نافذة حجرة المعيشة بينما يقف فريد بجوار دان يستمع. لقد علموا أن چاك «فنان تشكيلي هام» وله العديد من الوظائف غير المسماة في اقتصاد العمل الحر التي تحول دون أدائه عمله الخاص. لا يستطيع دان أن يتبين إذا ما كان چاك صادقاً أم محتالاً مُدعيًا، فبمعرفته لأخته، إنه إما أن يكون چاكسون بولوك القادم، وإما فاشلاً ما تعرفت عليه الليلة الماضية في حفلة ما ودعته بكل تلقائية إلى حفل عشاء العائلة في اليوم التالي.

اقترب دان من والده وقال بصوت خفيض: «أبي، كنت أتمنى لو أمكننا التحدث بعد العشاء في مكتبك».

التقت عيناه بعيني أبيه، لكنه أشاح بعيداً. إن أباه يُرهبه. دائماً ما شعر دان، كونه الابن الوحيد، بهذا الضغط الهائل الملقى عليه، كان من المفترض أن يكمل مسيرة العائلة ويتولى زمام العمل يوماً ما. وقد فعل كل ما بوسعه ليرتقي إلى مستوى التحدي، وعمل بجِد. لكن والده، الذي جنى الملايين من صناعة الروبوتات، قرر مؤخراً -وفجأة- بيع شركته بدلاً من تركها لدان ليتولى زمامها. لقد فعل دان كل ما طُلب منه، لقد عُيِّن هناك في عدة أقسام مذ كان في المدرسة الثانوية منتظراً أن تكون ملكه يوماً ما، حصل على ماجستير في إدارة الأعمال، بذل جهداً مضنياً. لكن أباه لم تعجبه طريقة إدارته للأمور، وكان مهيمناً وعنيذاً، ودائماً ما كان يمنيهِ بالفرص ثم يسحبها سريعاً. تسبب

بيع شركة مرتون للروبوتات في إحباط دان، وتركه عاطلاً بلا عمل، وحُطِّمت ثقته بنفسه. لا يزال لا يعلم ما عليه فعله. لقد حدث هذا الأمر منذ ستة أشهر، ومنذ حينها وهو متخبط ويعاني أزمة مالية، ولم يسفر مسعاه للحصول على وظيفة عن شيء حتى الآن، وبدأ الإحباط ينال منه.

لم ييغض أباه قط كما يفعل الآن، في هذه الدقيقة بالتحديد. إنه في هذه الفوضى بسبب والده، وهو لا يستحق ذلك. إن دان يتساءل حتى إذا ما قد باع والده الشركة عن قصد. قال لدان في اليوم الذي أعلمه فيه بخبر نيته بيع شركة مرتون للروبوتات الصادم: «أنا رجل أعمال أولاً وأخيراً. وهذا عرض جيد للغاية لي، عرض لا يمكنني رفضه».

ولم يفكر حتى فيما يمكن أن يعني هذا لابنه. رد والده الآن بصوت عالٍ أكثر من اللازم: «ما الذي تريد التحدث بشأنه؟». شعر دان بالاحمرار المبالغ يتنشر أعلى عنقه، ضريبة محاولته الكتمان. إنه يعلم أن الحوار بين تيد وچاك قد انتهى. دائماً ما يوبخه والده حين تسنح له الفرصة، يفعل هذا من أجل المتعة. شعر دان بانتشار الاحمرار في أنحاء وجهه وقال: «لا تهتم».

لن يتحدث إلى والده اليوم. لم تعد لديه الشجاعة لهذا الأمر. قال والده: «لا، لا تفعل هذا، لا تبدأ شيئاً لن تنهيه. ما الذي تريد أن تتحدث إليّ بشأنه؟».

حين لم يجب، قال والده بجفاء: «دعني أضمن، إنك في حاجة إلى المال». اجتاح شعورٌ بالغضب دان، وأراد لو يلکم والده في وجهه. لا يعرف ما يمنعه، لكن شيئاً ما دائماً يفعل.

قال والده بقسوة: «نعم، إنني لا أعتقد ذلك». في هذه اللحظة، نادتهم أمهم قائلة: «العشاء على المائدة. تعالوا لتجلسوا من فضلكم».

سار دان أمام والده، بوجه أحمر، متوجّهاً إلى غرفة الطعام، وكان قد فقد شهيته.

4

تؤدي إيرينا معظم المهام، تُحضر الطعام بهدوء وكفاءة إلى حجرة الطعام -الخضار، والبطاطس، والأطباق الجانبية، والصوصات، ومرق اللحم- بينما تحمل شيلا الديك الرومي المشوي على طبق سرفيس مزخرف وتضعه بحرص بجانب فريد، تتساءل إيرينا متى سيصبح الأمر شاقاً عليها. إن الطائر ثقيل بحق وشيلا لم تعد شابة. إنها تخشى اليوم الذي ستلوي فيه شيلا كاحلها وهي تنتعل تلك الأحذية ذات الكعب العالي وتسقط أرضاً وفوقها الديك الرومي. يقطع فريد اللحم دائماً، إنه أمر يأخذه على محمل الجد بصفته رجل المنزل. يقف فريد، بينما يجلسون جميعهم، ينتظرون، يقبض على سكين اللحم بينما يقص قصة ما ثم يصمت هنيهة لإيضاح فكرته، ولا يعبأ بأن الطعام يبرد.

يجلس فريد في مقدمة المائدة وشيلا في الجانب المقابل. كاثرين، وتيد، وليزا على جانب فريد الأيمن، بينما جينا، وچاك، ودان على جانبه الأيسر. إيرينا هي أقربهم إلى المطبخ، محصورة بشكلٍ مائل بين دان وشيلا. سيكون هذا عبئاً كبيراً، قالت شيلا بأن نلحق مائدة إضافية بالمائدة الرئيسية، رغم أن إيرينا هي من ستفعل ذلك. لو كانت أودري -أخت فريد- هنا كانت ستضاف المائدة الإضافية. لكن أودري ليست هنا الليلة؛ إنها مريضة بالأنفلونزا الربيعية.

بينما يُقطع فريد اللحم، تتابع إيرينا الآخرين الجالسين على المائدة دون أن يلحظ أحد. إنه لمن السهل فعل ذلك إذا ما كنت العاملة المستأجرة التي

تعمل مع العائلة مذ كان الأطفال يلبسون الحفاضات. لا يوليها أحد اهتمامًا كبيرًا، لكنها تعرفهم كلهم حق المعرفة. شيلا تخفي ارتجافها؛ من الواضح أنها قلقة حيال شيء ما. تعلم إيرينا بأمر أدوية مضادات القلق الخاصة بشيلا في خزانة العقاقير في الحمام. من الصعب إخفاء أسرار كتلك عن الخادمة. وتتساءل لم بدأت شيلا في تعاطيها. وجه دان أحمر داكن، وكأنه وُبَّخ من جديد، وهو الوحيد الذي لا يشاهد فريد وهو يُقطع الديك الرومي، وأحضرت جينا دمية أخرى معها، رجل هذه المرة. وكاثرين، حسنًا، كاثرين مُنعمَة بالكريستال، والصيني الفاخر، والفضة المتلألئة. إنها الوحيدة التي يبدو عليها الاستمتاع. وتيد في أفضل سلوك له؛ يمكن لإيرينا أن تشعر بمحاولته لضبط نفسه.

شعرت إيرينا بوخزة في قلبها وهي تشاهدهم جميعًا. إنها تحب الأولاد، وتقلق عليهم، بخاصة دان، على الرغم من أنهم أصبحوا بالغين وانتقلوا من المنزل، ولم يعودوا بحاجة إليها.

قُدِّم الطعام وبدأت الوليمة، بدأ الجميع في تناول الطعام، لحم الديك الرومي الداكن (لحم العضلات) واللحم الفاتح، وبطاطس محشوة وسكالوب، ولحم خنزير بارد، ومعجنات الزبدة، وسلطات، وصوصات، ويتحدثون كما تفعل أيُّ عائلة أخرى. يثرثر فريد بشأن يخت جديد يخص صديقًا. انتهت إيرينا إلى أنه يرتشف الكثير من النبيذ -أفضل شاردونيه في القبو- بتعجل، وهذه علامة لا تبشر بالخير أبدًا.

أنهت جينا طعامها، وضعت سكينها وشوكتها بشكل مائل على طبقها المطلي بالذهب وأدارت نظرها حول المائدة. لقد كان دان هادئًا، لاحظت أنه لم يتفوه بكلمة، وكانت ليزا زوجته الجالسة قبالة تتابعه بقلق. خمنت جينا أن دان ووالدهم قد تبادلوا الحديث بالفعل في وقت سابق، هناك أجواء من التوتر المعهود تحوم في الأرجاء. يبدو أن أهم تثرثر أكثر من المعتاد، علامة أكيدة على أن هناك خطبًا ما. شعرت بيد چاك اليمنى تتسلل أعلى فخذها تحت غطاء المائدة. كاثرين تبدو على طبيعتها، كالأميرة دائمًا، وهي تضع لؤلؤها، وزوجها الوسيم المثالي يمضغ الطعام بأدب بجانبها. كان والدها

يداوم على شرب النبيذ بلا توقف ويبدو أنه يفكر في شيء ما. إنها تعلم تلك النظرة.

ثم طرق كأسه بشوكتة ليجذب انتباه الجميع. إنه يفعل هذا حين يود أن يعلن عن أمر ما، وهو رجل يحب أن يعلن عن الأشياء. إن لديه غرورًا بشعًا، يستمتع بنشر الأخبار الصادمة، ومشاهدة رد فعل ذلك على وجوه الجميع. هذه طريقته في إدارة عمله على ما يبدو، وطريقته في إدارة عائلته. توجهت جميع الأعين إليه بعدم ارتياح. حتى عينا دان، تعلم چينا أن دان عانى هذا بما يكفي، بالتأكيد لا يوجد شيء آخر يمكنه أن يفعله بدان، لذا ربما هذا دورها، أو دور كاثرين. وجدت نفسها تخمن.

قال والدها وهو ينظر إلى كل واحد منهم على المائدة: «هناك أمر يجب عليكم معرفته».

وجدت چينا كاثرين تنظر إليها كأنها تفكر في الأمر ذاته، إنه أنتِ أو أنا. استغرق والدهم بعض الوقت ليثير قلق الجميع، ثم قال: «لقد قررت أنا ووالدتك بيع المنزل».

دور كاثرين إذًا، ألقت چينا نظرة خاطفة على كاثرين، تبدو وكأنها تلقت ضربة على حين غرة في جوفها. من الواضح أنها لم تكن لديها أدنى فكرة أن هذا سيحدث، وهو ما صدمها. بُهت وجهها وتبلدت ملامحها. كانوا جميعهم يعلمون أن كاثرين أرادت هذا المنزل يومًا ما. حسنًا، يبدو أنها لن تحصل عليه.

ألقت نظرة على والدتها، لكن شيلا كانت تنظر إلى الأسفل متحاشية عيني ابنتها. فكرت چينا: هذا إذًا السبب وراء كل تلك الثروة. إنها كانت على دراية بأن هذا سيحدث، شعرت بموجة من الغضب. لماذا هو نذل هكذا؟ لماذا تدعه والدتها يفعل هذا دون فعل أي شيء؟

حاولت كاثرين تمالك نفسها، لكن لا يمكنها أن تخدع أحدًا وهي تقول: «لماذا تريد بيعه؟ ظننت أنك تحب هذا المنزل».

قال فريد مرتون: «إنه ضخم علينا نحن الاثنين فقط، نريد أن نقلل المساحة ونحصل على شيء أصغر. يحتاج هذا المكان إلى الكثير من الرعاية».

قالت كاثرين، بصوت يزداد جرأة، وغضب بدأ في الظهور: «ماذا تقصد؟ أيُّ رعاية؟ إنك حتى لا تؤدي أيَّ عمل بنفسك؛ هناك شركة للبستنة، وخدمة لإزالة الثلج، وتؤدي إيرينا أعمال التنظيف كافة. أيُّ رعاية تتحدث عنها؟». نظر إليها والدها وكأنه لاحظ انزعاجها للتو، وقال: «ماذا، هل أردته لنفسك؟».

رأت جينا اللون الوردى وهو يتفشى على وجه كاثرين الأبيض، وقالت كاثرين: «الأمر فقط... أننا كبرنا في هذا المنزل. إنه منزل العائلة». قال والدهم وهو يعيد ملء كأس نبيذه: «لم أكن أعرف قط أنكِ مرهفة الشعور إلى هذا الحد يا كاثرين». تحول وجه كاثرين الآن إلى اللون الأحمر من شدة الغضب. وسألت: «ماذا عن إيرينا؟».

وألقت نظرة خاطفة على مربيتهم العجوز على الجانب الآخر من المائدة، ومن ثم عادت لتتأمل إلى والدها. تحدث كما لو أنها ليست على المائدة، كأنها ليست بالغرفة: «ماذا عنها؟». - ستدعها ترحل هكذا؟

وضع والدها كأس نبيذه على المائدة، وقال: «أعتقد أننا سنبقيها بشكل محدود. لكن يا كاثرين، إنها تأتي هنا مرتين أسبوعياً فقط كما هو معتاد. هذا لن يقتلها».

- إنها جزء من العائلة!

نظرت جينا إلى إيرينا نظرة خاطفة، كانت ساكنة تماماً، وهي تشاهد والدهم، لكن هناك لمعة ما في عينيها. فكرت جينا: كاثرين محقة، إنهم قطعاً مدينون لها بشيء، إنها فعلياً من ربّتهم.

- إنني آسف على إحباط توقعاتك. (ولا يبدو عليه الأسف مطلقاً) لكننا اتخذنا القرار.

قالت كاثرين بحدة: «أنا لم أفعل».

- جيد. دعيني إذاً أخبرك شيئاً عن التوقعات. من الأفضل ألا يكون عندنا أيُّ منها، لأنها ستخذلك، مثلما توقعت أنا من دان أن يتولى زمام شركة العائلة يوماً ما، لكنني بعثتها بدلاً من مشاهدته يهدمها.

شهقت ليزا بصوت مسموع، ونظر دان إلى والده شاحب الوجه مُطبق الفم. أخذت أمهم تهز رأسها بشكل لا يكاد يلاحظ وكأنها تقول لزوجها ألا يتحدث عن هذا الأمر، تجاهلها كما يفعل دائماً. فكرت جينا: إنها ضعيفة للغاية أمامه، لطالما كانت. هناك أوقات كرهوها فيها جميعهم بسبب ذلك، لأنها لم تدافع عنهم، لأنها لم تحمهم. حتى في الوقت الراهن، يبدو الأمر وكأن أمهم ليست موجودة هنا حتى. لقد اتخذ هذا القرار دونها رغم ما يقوله. كان يمكن لجينا أن تشعر بچاك بجانبها يتابع في حرج. لقد أنزل يده عن فخذهما. لكن هذه البداية فقط. عيد فصح سعيد للجميع. هذا بالأخص سيكون ذكرى مشهودة.

- وجينا.

كان يوجه نظرة حادة إليها، كانت تنتظره. لقد كانت موضع غضبه من قبل. لكنها لن تجفل أمامه. إنه فقط متنمر. متنمر دنيء، وجميعهم يعرفون هذا.

قال وهو ينحني للأمام باتجاهها على المائدة محدقاً إليها: «لقد كان لدينا آمال كبرى لك أيضاً. كل تلك الموهبة المزعومة، يا لها من هراء. إلى متى تتوقعين مني أن أساعدك؟».

ردت سريعاً: «الفن يأخذ بعض الوقت».

قال بازدرء: «لقد كنتِ خيبة للآمال».

تظاهرت أنها تجاهلت ما قاله، رغم تألمها من سماع ذلك.

- بصفتنا والديك، لدينا توقعاتنا نحن أيضاً. إنه سلاح ذو حدين. نحن توقعنا أكثر من أولادنا. أردنا أن نكون فخورين بكم.

انفجرت فيه كاثرين قائلة: «يجب عليك أن تكون. هناك الكثير لتفخر به. إنك فقط لا تستطيع رؤيته. لم تستطع قط».

أجاب بنبرة مؤيدة: «هذا صحيح. إننا فخورين بك يا كاثرين. أنت طبيبة على الأقل. لكن أين أحفادي؟».

ساد صمت قصير ناتج عن الصدمة، ثم قال تيد مفاجئاً الجميع: «لا أصدق هذا. (ووقف فجأة) إننا راحلان».

وأمسك كاثرين من مرفقها ونهضت واقفة جواره، وهي لا تستطيع النظر في عين أيٍّ منهم، وتركا المائدة سائرين خلف ظهر فريد إلى البهو. قال فريد: «نعم، اهربا، هذا تصرف ناضج للغاية».

دفعت شيلا بكرسيها إلى الخلف وأسرعت خلف كاثرين وتيد، وظل الآخرون على المائدة، لم يزالوا في ذهول، ثم قام دان، ورمى منديله على الأرض بتحدٍّ وترك المائدة هو الآخر، وهرعت ليزا خلفه. قالت جينا: «نحن راحلان أيضًا».

ونهضت وتبعها چاك مطيعًا. ستفوتهم جميعًا التحلية. على المدخل، نظرت جينا مرة أخرى إلى غرفة الطعام، اختفت إيرينا داخل المطبخ، لكن والدها لا يزال يجلس بمفرده في مقدمة المائدة يتجرع جرعة كبيرة من النبيذ. كم تكرهه. أدارت ظهرها إليه. كانت كاثرين ترتدي معطفها بينما تحاول والدتها أن تجعلهما ينتظران حتى تأتي إليهما بفطيرة ليأخذاها معهما إلى المنزل.

قالت كاثرين: «لا، لا بأس يا أمي. إننا لا نريد أيّ فطائر».

قال تيد: «شكرًا على العشاء يا شيلا»، ثم خرجا من الباب بأسرع ما يمكنهما.

قبّل دان أمه على وجنتيها على عجل، ورحلا هو وليزا بالسرعة نفسها، وأغلقا الباب خلفهما، ثم جاءت إيرينا فجأة إلى الردهة من المطبخ، وارتدت معطفها، ورحلت دون أيّ كلمة، بينما تشاهد شيلا مدهوشة صامتة، ومن ثم، كانت هي وچاك فقط في المنزل مع والديها، غيرت جينا رأيها، وقررت مواجهة أبيها.

5

استطاعت كاثرين بطريقة ما أن تصل إلى سيارة تيد دون أن تنهار، ولكن فور أن جلست على الكرسي وربطت حزام الأمان، بدأت الدموع في الانهمار. التفت إليها تيد في قلق، ثم مال إلى الأمام نحوها وجذبها إليه لتهدئتها، ولبرهة ظلت مرتمية بين ذراعيه ووجهها على صدره. لقد أثار تعليق «أين أحفادي؟» حفيظتها، فلقد كانا يحاولان أن يرزقا بطفل منذ ما يقرب من عامين حتى الآن، ما جعل هذا الموضوع حساسًا للغاية. لا علم لوالدها بذلك، لكنه ربما خمن الأمر. إنه قاسٍ للغاية وبارع بحق في رصد مواضع الضعف. والمنزل، إنها غاضبة للغاية من أنهما سيبيعيانه، وهو لا يفعل ذلك بسبب الرعاية كما يقول، إنما سيبيعه لكيلا يتسنى لها الحصول عليه، كما باع الشركة لكيلا يحظى بها دان.

ابتعدت كاثرين عن تيد حتى يتمكن من القيادة، وعلى الفور ربط تيد حزامه وأشعل المحرك عائدًا إلى الخلف، ثم أدار سيارته إلى الشارع مسرعًا بالخروج من الممر الطويل. إنها المرة الأولى التي تتوق فيها كاثرين مثله إلى الفرار من هذا المكان، أخذت كاثرين نفسًا عميقًا وقالت: «إنك محق، لا أعلم كيف كنت أحتمل هذا. على الرغم أن ما حدث اليوم كان أسوأ بكثير مما هو معتاد».

- إن والدك أحمق حقير، لقد كان دائمًا كذلك.

- أعرف.

- ووالدتك، بالله ما خطبها؟ أليس لديها أي شجاعة أبدًا؟

كان كلاهما يعلم إجابة هذا السؤال، ثم قال تيد بعد أن هدا قليلًا: «إنني آسف بشأن المنزل، أعلم كم أردت الحصول عليه».

لم تجبه كاثرين وأخذت تحقق بياض إلى الطريق أمامها خارج نافذتها، لا تصدق أنها لن تحصل عليه أبدًا، ثم سألتها تيد: «هل هذا ما أردت أن تخبرك به؟».

- ماذا؟

- حين وصلنا في البداية، قالت والدتك إن هناك شيئًا تود أن تخبرك به.

- علمي علمك.

- إن عائلتك تشبه المسلسلات الدرامية اللعينة، هل يمكن أن يحدث أسوأ من ذلك؟

- ربما هي مريضة، ربما لهذا السبب سيبيعان المنزل.

لا تريد ليزا حتى أن تسأل. إنها تهاب ما قد تعلمه. لكن في طريقهما للمنزل استجمعت شجاعتها وسألت دان: «هل سنحت لك الفرصة للتحديث مع والدك قبل أن...».

- لا (بصوت صارم).

ثم نظر إليها وألان صوته قائلاً: «لقد حاولت، لكنه لم يكن في مزاج جيد. لو علمت أنه سيحدث ما حدث، ما كنت لأهتم».

أخذت ليزا تنظر خارج نافذتها بينما كان زوجها يقود، ثم قالت بكراهية: «إنه لعين للغاية»، وهي تعلم أن زوجها يعتقد الأمر نفسه. إنها تشعر بالأسف حيال كاثرين، فلقد كان تصرفه معها مريعًا. لكن بقدر ما تشعر بالسوء من أجلها، كان جزء صغير منها مسرورًا - أو ربما مرتاحًا - أنه انقلب على إحدى ابنتيه لمرّة. هذا مطمئن. يقلل هذا من احتمال أن دان كان هو السبب وراء بيع فريد لشركة العائلة. لقد حاولت أن تحافظ على إيمانها بزوجها، لكن الأمر يزداد صعوبة مؤخرًا وهي تشاهد تخبطه بعد بيع والده للشركة، عاطلاً عن العمل، وفاقداً الاتجاه، بالإضافة إلى فعلته المتهورة بمدخراتهما. كل هذا جعل الشكوك تساورها بشأن إذا ما كان دان رجل أعمال جيدًا بالأساس.

حين تزوجته من أربع سنوات، كان لديه منصب جيد في شركة فريد، براتب سخي، وعلاوات، ومستقبل لامع. لم يكن سعيدًا هناك قط -لقد جعل والده من حياته هناك جحيمًا- لكنهما اعتقدا أن فريد سيتقاعد في نهاية المطاف وسيتولى دان أمر الشركة يومًا ما، كان العالم ملك أيديهما حينها، وحين باعها فريد دون علمهما منذ عدة شهور، كان الأمر أشبه بالموت، ولم يتجاوز دان الحزن بعد. لقد فعلت ما بوسعها لتعزيته، ودعمه، ومساندته، ومساعدته على إيجاد طريق جديد، لكنه عانى دائمًا الاكتئاب، ومنذ وقت بيع الشركة، والأمر يزداد سوءًا. هناك بعض الأيام التي بالكاد تعرفه فيها.

قالت ليزا الآن: «هذه ضربة تحت الحزام، ذكر أمر الأحفاد».

أجاب دان موافقًا: «نعم».

- هل تظن أنه كان يعلم بأن لديهما صعوبة في الحمل؟

- أشك في ذلك، لا يمكن أن تكون أخبرته. ربما أخبرت أمي، لكنها بالتأكيد أخبرتها أن تبقي الأمر سرًا.

- لقد أكدت لي كاثارين أنها لن تخبر والدتك، لكنني أتساءل إذا ما كانت فعلت.

نظر دان إليها وقال: «لقد أخبرتك لأنك طيبة، لكن ما كانت لتخبرهما. على الأرجح خمن ذلك بالخطأ».

صمتت ليزا هنيهة ثم قالت: «لقد أرادت المنزل أليس كذلك؟».

هز دان رأسه موافقًا وقال: «لطالما أرادت المنزل. إنني لا أهتم بأي شكل كان، حتى لو احترق المنزل عن بكرة أبيه ما كنت لأهتم».

ثم تابع بصوتٍ كئيب: «وكأن لدينا الكثير من الذكريات السعيدة هناك».

سألته ليزا وهي تمعن النظر إليه: «هل أنت بخير؟».

كانت هناك سيارة قادمة باتجاههما، لكنها مرت، وعاد الطريق خاليًا من جديد أمامهما.

أجابها دان وهو يحكم قبضته على عجلة القيادة: «أنا بخير».

رمقته بعدم ارتياح قائلة: «حسنًا».

ما الذي سيفعلانه الآن؟ لقد وضعوا آمالًا على أن يقرضهما والد دان بعض الأموال إلى أن يتمكن من الوقوف على رجلبيه من جديد، ولكن هذا لن يحدث.

6

حين وصل دان وليزا إلى منزلهما، تحدثا قليلاً ثم آوت ليزا إلى غرفة لتقرأ، لم ينضم دان إليها، لا يستطيع الجلوس دون حراك وتركيزه منعدم، لم يعد قادراً على التركيز على أي شيء هذه الأيام إلا مشكلاته، يفكر فيها بشكلٍ لا نهائي وبقلق شديد، لكن ليس بأي شكل فعال. والآن، وبعد ما حدث في منزل والديه، يشعر برغبة ملحة في فعل شيء حاسم - شيء نهائي - أي شيء ليجد خلاصاً.

لكنه احتفظ بتلك الأفكار لنفسه.

توجه إلى غرفة المعيشة وصب كأس شمبانيا لنفسه وأخذ يسير جيئةً وزهاباً، لم يهتم بإضاءة الأنوار، وأخذ الظلام يحل ببطء على الغرفة.

لا يستطيع أن يرى طريقه إلى بداية جديدة، لا يزال يشعر وكأنه في حالة صدمة، أنه لم يتعاف بعد من ألم إخبار والده له أنه سيبيع الشركة. في البداية كان يأمل أن يبقيه المالكون الجدد على الأقل لعام أو اثنين. وملأه بعض الطموح المؤقت في أنه سيزدهر في الشركة التي باعها والده وسيرقى بها إلى آفاق أعلى. لكن أخبر بأنهم ليسوا في حاجة إلى خدماته، وهذه كانت الضربة الثانية، سخر منه والده قائلاً: «ماذا توقعت؟».

لم يكن الخبر سهلاً على ليزا هي الأخرى رغم محاولتها الجسورة إظهار عكس ذلك، فلطالما كانت ملاذه الآمن.

إن لم يتمكن من العثور على عملٍ مربح قريبًا، سيصبحان في ورطة بالغة. لقد حصل على ماجستير في إدارة الأعمال، ولديه خبرة جيدة. إنه يحتاج إلى وظيفة في منصب تنفيذي، وهذه الوظائف لا تأتي بسهولة، لا يمكنه أن يذهب بكل بساطة ويعمل في مغسلة للسيارات. لقد سحب بتهور قدرًا كبيرًا من المال من مدخراتهما الخريف الماضي -على الرغم من اعتراض مستشاره المالي- وأودعها في رهن عقاري خاص ذي فائدة أكبر من المعتاد، ثم باع والده الشركة بعد ذلك وخسر هو وظيفته، وعلى خلاف استثماراته السابقة، التي كانت تمتاز ببعض المرونة فيما يتعلق بالسحب، لا يمكنه سحب أمواله إلى حين انتهاء مدة الرهن، وخذله والده مرة أخرى في الوقت الحالي، فهو لن يقرضه حتى قرضًا قصير الأجل.

لكن هناك شيئًا واحدًا يدفعه إلى المضي قدمًا، ويمده بالأمل في المستقبل، وهو أن لديه ميراثه ليتطلع إليه. لكن كم سيطول الأمر حتى يتسنى له الحصول عليه؟ إنه بحاجة إلى الأموال في الوقت الراهن، ووالداه يملكان ثروة طائلة. تنص وصايتهما على تقسيم الميراث بالتساوي بين الأبناء الثلاثة، على الأقل هذا ما دُفِعوا إلى تصديقه، على الرغم من أن والديه كانا يفضلان بعضهم على بعض، في المقدمة بالتأكيد تأتي كاثرين، ودان أقلهم تفضيلًا، وهو يعلم ذلك. وهما يثرثران طوال الوقت بشأن جينا، لكنه يعلم أنها تحل في المرتبة الثانية، إنها ابنتهما الجميلة، «الموهوبة»، رغم أسلوبها الشائن أحيانًا.

لو كان والده أبًا طبيعيًا، وليس وغداً بالكامل، كان يمكنه أن يطلب جزءًا من ميراثه مقدمًا. هذا ما قد يفعله أب حقيقي، كان يمكنه حينها أن يفتح مشروعه الخاص. لكنه لا يمكنه أن يحصل حتى على قرضٍ لعينٍ من والده. لقد حطمه والده، وكان يستمتع بفعل ذلك. جلس دان على كرسي ومكث مدة طويلة في الظلام يمعن التفكير في وضعه المزري، وفي النهاية، نهض من فوق كرسيه وذهب وأطل برأسه داخل الغرفة التي تقرأ فيها ليزا وقال: «سأتجول بالسيارة».

عادة ما يفعل هذا ليلاً؛ يساعده هذا الأمر على الاسترخاء. بعض الأشخاص يفضلون العدو، لكنه يفضل القيادة. يهدئه الأمر. إنه يشبع احتياجًا ما داخله. وضعت كتابها جانبًا، وقالت مقترحة: «لَمْ لا تذهب لتمشي بدلًا من ذلك؟ يمكنني أن آتي معك».

قال مُصرّاً وهو يهز رأسه: «لا، اقرئي أنتِ كتابك، ولا داعي لانتظاري. إنني فقط أريد تصفية ذهني».

وفور أن ركب السيارة، أشعل المحرك وأغلق هاتفه الجوال.

سمعت ليزا صوت الباب وهو يُغلق وعادت بتركيزها مرة أخرى إلى الرواية، لكنها وضعتها جانباً سريعاً مرة أخرى؛ لا يمكنها التركيز، لم تكن تتمنى أن يذهب دان للقيادة في توقيت كهذا، بخاصة بعد احتسائه للشراب. لماذا يفعل ذلك؟ لماذا يُفضل الذهاب للقيادة مسافات طويلة بدلاً من قضاء وقته معها؟ إنها تعلم أنها عادة، وأنها تساعد على أن يهدأ، لكنها تتمنى لو يجد طريقة أخرى للتعامل مع الضغط، المشي أو العدو سيكونان أفضل من القيادة، ولديهما أيضاً دراجة تمارين ممتازة في القبول. إنها تتفهم قلقه، على الرغم من أنها قلقة هي الأخرى. إن لم يقرضهما فريد المال قريباً، سيكونان في ورطة حقيقية. لو كان دان قد تمكن من الحصول على وظيفة أخرى، ما كانا ليصبحا في هذا الوضع. لقد ارتادت الجامعة، ويمكنها العثور على وظيفة، لكن حينما عرضت الأمر عليه، بدا أنه جُرح. لم يحب كيف سيبدو الأمر. إن لديه كبرياء. لكن هذا لا يفيدهما بشيء الآن.

فور أن تبدأ ليزا في القلق، لا يمكنها أبداً أن تتحكم في أفكارها بعد ذلك. إنها لا تعلم كيف تسير عملية بحثه عن عمل لأنه لا يخبرها، ويجيبها بإبهام كلما سألته. إنها تعلم أنه لجأ إلى شركة بحث تنفيذي -شركة توظيف- وأحضروا له بعض مقابلات العمل في البداية، لكن لم يعد هناك الكثير مؤخراً. لقد أمضى أسابيع في مكتبه في الطابق العلوي يعث بأوراق سيرته الذاتية، لكن يمكنها أن تحصى على أصابع يدها الواحدة عدد المرات التي ارتدى فيها بدلة وذهب إلى مقابلة عمل. لقد كانت مقابلات «استطلاعية» لتقييم إذا ما كان مناسباً، ولا تعلم بتاتاً إذا ما حضر مقابلات للمتابعة بعد ذلك. لماذا لم يعد يتلقى مزيداً من المكالمات من شركة التوظيف؟ هل الأمور بطيئة إلى هذا الحد مثلما يقول؟ وضعت جانباً الغطاء الخفيف، ونهضت، وخرجت من الغرفة، صعدت السلم حيث الطابق الثاني وتوجهت إلى مكتبه في آخر الردهة. هذه مساحته الخاصة. إنها لم تفعل ذلك من قبل قط، لم تتطفل عليه بتاتاً، وهي تعلم أنها تتعدى الحدود، لكن لا يمكنها منع نفسها،

أضاءت المصباح على مكتبه بدلاً من إشعال الأضواء العلوية تحسباً لعودته فجأة إلى المنزل.

إن حاسوبه المحمول مغلق، فتحته، لكن لا فكرة لديها عما تكون كلمة السر، سريعاً كفت عن محاولاتها، وأغلقت الشاشة، لاحظت أن مفكرته اليومية على المكتب، فجذبتها إليها لتتفحصها. تفقدت تاريخ اليوم. يوم الأحد، الحادي والعشرون من شهر إبريل. صفحات الأسبوع الماضي خالية. قلبت الصفحة، لا يوجد أي شيء للأسبوع المقبل أيضاً، قلبت عدة صفحات إلى الأمام، لا يوجد أي ميعاد، إلا واحد بعد ثلاثة أسابيع مع طبيب الأسنان، ثم رجعت إلى الخلف بعد تاريخ اليوم. تلك الصفحات خالية هي الأخرى. لكنها متأكدة أنه كان لديه مقابلات، على الأقل اثنتان، في شهر مارس. إنها تتذكره بوضوح حين كان يرتدي بدلته رمادية اللون، مظهره أنيق، وخرج من المنزل، وتذكر يوماً آخر خرج فيه مرتدياً بدلته الكحلية، كلتا المرتين كانتا فقط في الشهر الماضي، لكن لا يوجد أي تسجيل لأي من المرتين في المفكرة. ربما لا يدون المواعيد في مفكرته، ربما جميعها على هاتفه؟ لكن ثمة ميعاداً مع طبيب الأسنان في المدونة، وميعاداً مع طبيب منذ عدة أسابيع مضت. رجعت إلى الخلف عدة شهور، هناك فقط ميعادان مكتوبان، كلاهما مع شركة التوظيف. أخذت تتذكر كيف كانت تأمل في تلك الأيام أن يحصل على وظيفة جيدة، وأفضل ما في هذا الأمر، أنه لن يكون مع والده. صبّت تركيزها مجدداً على المفكرة. لا وجود لأي ميعاد آخر منذ هذين الميعادين الأولين مع شركة التوظيف منذ ستة شهور.

أخذ قلبها يرتجف. ترى هل كان يكذب عليها طوال الوقت؟ هل كان يرتدي بدلة أنيقة وربطة عنق، ويحمل حقيبة أوراقه الصغيرة الباهظة ليذهب ويرتشف قدحاً من القهوة بمفرده في مكان ما لعدة ساعات؟

حين عاد تيد وكاثرين إلى منزلهما من عشاء عيد الفصح الشنيع، شاهدا شيئاً على نتفليكس ليصرفا ذهنهما عما حدث. والآن، وبينما كانت شارة النهاية تصعد أعلى الشاشة، التفت تيد إلى زوجته وسألها إذا ما كانت تود أن تشاهد شيئاً آخر. كان يشعر أنها ليست مستعدة بعد لتنام. أجابته: «لست متعبة».

- ولا أنا أيضًا. هل تودين أن أعد لك مشروبًا؟

هزت رأسها رافضة، وقالت: «لا، لكن افعل ذلك إذا كنت تريد أنت».

- لن أفعل إذا لم ترغبين.

- أتساءل إذا ما كان هناك شيء آخر أرادت أمي أن تتحدث إليّ بشأنه.

كان بإمكان تيد سماع القلق في صوتها، وأخذ يفكر: يا له من عيد فصيح لعين، ثم أجابها بصبر: «لَمْ لا تذهبين لزيارتها غدًا؟ إنه اثنين عيد الفصح، واليوم لديك عطلة. يمكنك أن تعرفي حينها. لا جدوى من إجهاد نفسك أكثر الليلة».

لكنه يعرف زوجته. إنها كالكلب الذي يبحث عن عظمة حين تعقد العزم على شيء. لن تدع الأمر يمر. تصبح أكثر تمسكًا بالأشياء قليلًا، مثل الحمل. لكنه قد سمع أن العديد من السيدات يصبحن كذلك حين يفشلن في أن يحملن. أخذ يفكر كيف قضت الأشهر القليلة الماضية؛ متابعة دورتها الشهرية، والذهاب إلى عيادة الخصوبة أول شيء في الصباح، قبل العمل، وأخذ عينات دم منها، ومتابعة بويضاتها. أما دوره فلم يكن شاقًا هكذا، كان هناك فقط الإحراج الناتج عن تقديم عينة من السائل المنوي للفحص. بعد أول ثلاثة أشهر من متابعة الدورة الشهرية، وبمعرفتهما للتوقيت المناسب، فعلا الأمر بالطريقة التقليدية، على الفراش في المنزل. لكن كثفا الوتيرة في الشهر الأخير، فلقد كانت المرة الأولى التي يجربان فيها التلقيح الصناعي. كان قد ذهب في الميعاد المحدد لتقديم عينة أخرى، لكن عدا ذلك، لم يكن هناك الكثير ليفعله، يأمل أن ينجح الأمر، وأن تتوقف هذه التدخلات قريبًا، بدلًا من أن تزداد قوة. إن لم يكن أي شيء آخر، إنها تفسد حياتهما الزوجية. قالت كاثرين مقتحمة أفكاره: «سأتصل بها فحسب».

- تأخر الوقت يا كاثرين. تخطت الساعة الحادية عشرة.

- أعلم، لكنها لن تكون قد أخذت إلى النوم بعد. إنها دائمًا ما تقرأ ليلاً.

تابعها وهي تلتقط هاتفها الجوال من فوق طاولة صغيرة وتتصل بوالدتها، يأمل في أن تكون مكالمة قصيرة مطمئنة حتى يتمكننا من الإخلاء إلى النوم بعد ذلك. لكن شيلا ذكرت أن الأمر هام، ثم قال لنفسه بأنه كان على الأرجح بخصوص بيع المنزل، ولا يوجد أي شيء آخر. قالت كاثرين وهي تلتفت إليه في قلق: «إنها لا تجيب على هاتفها».

- ربما أخلدا إلى النوم، وتركته في الطابق السفلي، جربي الهاتف الأرضي.
هزت كاثرين رأسها قائلة: «لا، لا أريد أن أصادف التحدث إلى والدي».
ثم بدت أنها تفكر في أمرٍ ما، وقالت: «ربما يجب أن أذهب إلى هناك».
قال مُعترضًا: «كاثرين يا حبيبتي، لست بحاجة إلى فعل ذلك. إنها على الأرجح قد تركت هاتفها في مكانٍ ما فقط، إنكِ تعرفين ما هي عليه».
لكن كان يبدو على كاثرين القلق، فتابع تيد قائلاً: «من المرجح أنها أرادت أن تتحدث إليك بشأن المنزل. يمكنك الانتظار حتى الغد».
لكن كاثرين قالت: «أعتقد أنني سأذهب إلى هناك بسرعة».
- حقًا؟

اقتربت منه وقالت: «لن أتأخر طويلًا. إنني فقط أريد أن أتحدث إلى أُمي، وأعرف ما أرادت أن تخبرني به. عدا ذلك، لن أستطيع أن أخلد إلى النوم أبدًا».
تنهد تيد ثم عرض قائلاً: «هل تودين أن آتي معكِ؟».
هزت رأسها بالنفي وقبلته وقالت: «لا، لِمَ لا تذهب إلى النوم؟ تبدو متعبًا».
تابعها تيد وهي ترحل، وفور أن وصلت سيارتها إلى آخر الشارع، ابتعد عن الباب، وبينما كان في طريقه إلى صعود الطابق الثاني، لاحظ أنها تركت هاتفها على طاولة الردهة.

7

وقف المحقق «رايس» من شرطة أيلسفورد على المدخل الطويل يعاين القصر الواقع أمامه. إنه يوم الثلاثاء بعد عطلة عيد الفصح، بعد الحادية عشرة صباحًا بقليل، وكانوا قد استُدُّعوا إلى ما وُصِفَ على أنه حمام دماء. بجواره، تقف المحققة «بار»، شريكته، تتابع موضع نظره. قالت بار: «امتلاكك للكثير من الأموال يمكن أن يكون شيئًا سيئًا أحيانًا».

المكان مزدحم؛ حضر كل من الإسعاف، ودورية الاستكشاف، ومصلحة الطب الشرعي خلال الدقائق القليلة الماضية، حُدِّدَ المكان بشريط أصفر، وبدأت الصحافة في التجمع عند نهاية المدخل الطويل، وقريبًا، بلا شك، سيظهر الجيران، اقترب شرطي في زي رسمي من دورية الاستكشاف، وقال: «صباح الخير أيها المحققان».

حياه رايس بإيماءة.

- الموقع آمن.

قال رايس: «أخبرني التفاصيل!».

- الضحيتان هما فريد وشيلا مرتون، زوجان كبيران في السن. أحدهما يرقد في حجرة المعيشة، والآخر في المطبخ، كانا يعيشان بمفردهما.

ثم ألقى رايس نظرة خاطفة على المحققة بار ملاحظًا بلا شك بشرتها النضرة وعينيها الزرقاوين اللتين لا تزالان مشرقتين، ثم ابتسم قليلًا؛ يعلم أن بار أكثر صلابة من الكثيرين. إن لديها فضولًا شديدًا تجاه جرائم القتل

والاقتراب من الأمور المتعلقة بالموت. وهذا أمرٌ مفيد للغاية. لكنه يتساءل عما سيحدث إن صار لديها عائلة، فهي لا تزال في الثلاثين من عمرها. هل ستستمر في لصق صور الجثث ومسارح الجريمة على حائط مطبخها؟ يأمل ألا تفعل ذلك. إن رايس متزوج ولديه طفلان في المنزل، ولو أتى بفعلٍ مشابه، لقدمت زوجته الرقيقة دعوى للحصول على الطلاق. يحاول الإبقاء على توازن، يحاول ألا يجلب العمل معه إلى المنزل، لكنه لا ينجح في هذا دائمًا.

قال الشرطي: «عثرت عليهما العاملة المستأجرة، واتصلت بالطوارئ الساعة العاشرة وتسعة وثلاثين دقيقة صباح اليوم. إنها في السيارة الدورية إذا أردتما التحدث إليها. (وأشار إلى السيارة بذقنه ثم عاد ينظر إلى رايس) يبدو أنهما ميتان منذ فترة».

- حسنًا، شكرًا.

ترك رايس وبار أمر العاملة المستأجرة مؤقتًا، وتوجهها إلى المنزل. أخبرهما الشرطي الآخر المتمركز عند الباب الأمامي لمتابع حركة الدخول والخروج أن ينتبها لآثار الأقدام الملطخة بالدماء، انتعل رايس وبار جوارب سميكة وقفازات ودخلا البهو الأمامي، وفور أن دلفا بحرص إلى الداخل، اشتتم رايس رائحة الدماء.

أدار نظره حوله ببطء ليعلم موقعه في المنزل. هناك قدمان فقط من آثار الأقدام الملطخة بالدماء الحديثة قادمة من المطبخ، يمكن له رؤيته في آخر المنزل، عبر الردهة نحوهما، وتخفت حين تصل إلى الباب الأمامي. هناك مجموعة أخرى أقل وضوحًا لآثار أقدام ملطخة بالدماء تبدو أنها تتوجه من المطبخ إلى أعلى السلم المغطى بالسجاد.

نظر إلى يساره، إلى غرفة المعيشة، رأى مصباحًا محطمًا على الأرض. بعد ذلك، يجثو خبير على ركبتيه بجانب جثة لامرأة، سار -وهو يتفادى آثار الأقدام الملطخة بالدماء- إلى هناك وتبعته بار، وجلس القرفصاء بجانب الخبير. إن الضحية ترتدي منامة ومعطفًا خفيفًا، رأى رايس العلامات حول رقبتها، والكدمات البارزة، والعينين اللتين يتخللهما اللون الأحمر، وقال: «قُتلت خنقًا».

هز الخبير رأسه موافقًا.

- أيُّ أثر لما خُنِقَتْ بواسطته؟

أجاب الرجل الآخر: «ليس بعد، بالكاد بدأنا».

لاحظ رايس أن أصابعها خالية من أي خواتم، ولمح هاتفًا جوالًا ملقى تحت طاولة جانبية، ثم نهض واقفًا من جديد، وانتظر حتى تتمكن بار من أن تلقي نظرة عن قرب وتحاول أن تتصور ما حدث في تلك الغرفة، أخذ رايس يتصور أن المرأة فتحت الباب، ثم أدركت خطأها حينها، وولت مدبرة إلى غرفة المعيشة. لكن هناك مقاومة، لماذا إذا لم يسمع زوجها أي شيء؟ ربما كان نائمًا بالأعلى، وصوت سقوط المصباح وتحطمه كُتم بواسطة السجادة السمكية. نهضت بار من دراستها الصامتة للجثة، وعاد الاثنان إلى البهو مرة أخرى. ومن هناك، نظر رايس إلى غرفة الطعام، ورأى أدراج البوفيه مسحوبة للخارج ومتروكة مُعلقة، وفي آخر الردهة الطويلة الممتدة من البهو إلى آخر المنزل، رأى رايس مجموعة من الأشخاص في حُلل بيضاء يتجولون في أنحاء المطبخ، تقدم رايس نحوهم، ملاصقًا للحائط لتفادي آثار الدماء، وبار خلفه مباشرةً.

هذا حمام دماء بالفعل، وتسببت رائحته ومنظره في إرباكه قليلًا، حتى إنه للحظة قد حبس أنفاسه، ثم ألقى نظرة خاطفة على شريكته ليرى رد فعلها، ورأى عينيها الثاقبتين تتفحصان كل شيء، ثم عاد بتركيزه مرة أخرى إلى المشهد أمامه.

كان فريد مرتون يرقد على بطنه على أرضية المطبخ في منامة غارقة في الدماء، مطعونًا عدة مرات في ظهره ويبدو أنه قد دُبح. حاول رايس، وهو ينحني فوق الجثة، أن يحصي عدد الطعنات قدر استطاعته، ووجد أن هناك ما لا يقل عن إحدى عشرة طعنة. جريمة متوحشة وشرسة توحى بأنها جريمة عاطفية أكثر منها جريمة سرقة، إلا إذا كان سارقًا يعاني مشكلات في التحكم بغضبه. همهم رايس قائلاً: «يا إلهي»، ففي هذا المكان، لا يمكن لأي شخص سماعهم وهم يصرخون. نظر إلى الأعلى، ورأى المحققة الجنائية المتمكنة للغاية، «ماي بانرجي»، رئيسة فريق الطب الشرعي.

سألها رايس: «أليكَ أي فكرة منذ متى وهما راقدان هنا؟».

أجابته بانرجي: «أعتقد يومًا على الأقل. سنعرف أكثر بعد التشريح، لكن تخميني هو أنهما قُتلا في وقتٍ ما من مساء يوم الأحد أو باكراً من صباح يوم الاثنين».

سألها رايس بينما كان يجول بناظره حول المطبخ: «هل هناك أي أدلة على سلاح الجريمة؟».

لأنه لا يرى أي سكين ملطخة بالدماء في أي مكانٍ يمكنه رؤيته.
- ليس بعد.

أخذ رايس يحاول فك شفرات ما قد يمكن أنه حدث بينما كانت بار تؤدي دراستها الصامتة المعهودة. هناك لطخات هائلة من الدماء على الجدران، والسقف، والطاولة، والأرضية، بالإضافة إلى خيط من الدماء متوجه خارج المطبخ. وسأل بانرجي: «ما تصورك لما يمكن أنه قد حدث؟».

- أظن السارق كان ينتعل جوارب سميقة، ربما أكثر من زوجين، دون حذاء، أو ربما كان ينتعل حذاء وفوقه غطاء قدم. بهذه الطريقة لا يمكننا أن نحصل أبدًا على أية آثار صالحة، أو حتى مقاس حذاء أكيدًا. (هز رايس رأسه موافقًا) ويمكنك أن ترى أنه توجه إلى الخزانة الموجودة تحت الحوض، فالدماء منتشرة في كل بقعة عليها، ودخل إلى غرفة الطعام من هنا، (أشارت إلى مدخل المطبخ المفتوح مباشرة على حجرة الطعام بعيدًا عن البهو الرئيسي) وتوجه أيضًا إلى غرفة المكتب من المطبخ، (وهي تشير برأسها نحو الجزء المقابل من المنزل) وذهب إلى آخر الردهة وصعد السلالم. يبدو أنه فتش المكان بالكامل بعد جريمتي القتل بحثًا عن المال والأشياء القيمة، ثم خرج من الباب الخلفي كما يمكننا أن نرى من لطخات الدماء هناك، وعلى مقبض الباب الخلفي، وفي الفناء الخلفي حيث توجد بقعة كبيرة من الدماء على منطقة من الحشائش هناك حيث من المرجح أنه بدل فيها ملابسه. بعد ذلك، لا يوجد أي أثر.

- كيف استطاع الدخول إلى المنزل؟ أي علامة على اقتحام المكان؟

- لا نزال نفحص محيط المنزل، لكن لا شيء واضح إلى الآن. قالت العاملة المستأجرة إن الباب الأمامي كان مفتوحًا حين حضرت إلى هنا، لذا ربما الضحية هي من فتحت للقاتل، (ثم التفتت إلى حوض المطبخ تحت النافذة، وقالت) أما آثار الأقدام الحديثة الواضحة للغاية المتوجهة من الجثة إلى الحوض ثم خارجًا إلى الباب الأمامي، فهي تخص العاملة المستأجرة.

أدرك رايس أن الضحيتين كانتا ترتديان منامتيهما، وعلى الأرجح كانا في فراشهما بالفعل، وربما أحكمت شيلا مرتون عليها رداءها وهبطت السلالم لتفتح الباب للقاتل. من الواضح أيضًا أنها من قُتلت أولًا حيث لم تنتقل إليها أي دماء من القاتل الذي كان مغطى بها بعد قتل الزوج. إنهم يحتاجون إلى معرفة ما سُرِق، بالتحديد. وربما يمكن أن تساعد العاملة المستأجرة في هذا الأمر.

سأل رايس وهو ينظر إلى بار: «ماذا تظنين؟».

قالت بار وهي تحديق إلى الجثة الذبيحة على أرضية المطبخ: «تبدو وحشية أكثر من اللازم لأن تكون جريمة سرقة. أقصد، هل اضطروا إلى طعنه كل تلك المرات؟ ربما يُفترض أن يبدو الأمر جريمة سرقة، وهو ليس جريمة سرقة بتاتا».

هز رايس رأسه موافقًا، وأضافت بار: «لقد بالغوا في الأمر حقًا معه مقارنة بها. لقد بالغوا في الفتك به في رأيي».

- هذا يدل على أن الغضب كان له، وليس لها.

- ربما، وكانت هي فقط هناك في طريقهم.

- على الرغم من أن الخنق أمر شخصي إلى حد ما هو الآخر. دعينا نتحدث إلى العاملة المستأجرة.

وبينما كانا يخرجان من المنزل ويسيران نحو الممر الطويل، نظر رايس للأعلى إلى الأشكال الداكنة التي تدور فوق رأسيهما، كان هناك خمسة طيور أو ستة تحوم فوقهما عاليًا في الهواء. سألت بار وهي تحجب عينيها وتحديق إلى الطيور التي تحوم: «ما هذا؟».

أجاب رايس: «نسور رومية، على الأرجح شمت رائحة الدماء».

8

كانت إيرينا تجلس بمفردها في المقعد الخلفي لإحدى سيارات الدورية وهي متكورة داخل سترتها الربيعية محاولة أن تتدفأ، فعلى الرغم من أن اليوم مشمس، فإنهم لا يزالون في شهر إبريل، ولا تزال هناك نسمة هواء باردة، أو ربما هي الصدمة. إنها ترتعش، وتشعر بالغثيان أيضًا. لا يمكنها أن تتوقف عن التفكير في فريد وشيلا. كل تلك الدماء، ورائحتها الكريهة، النظرة التي كانت تملو وجه شيلا، محدقةً إليها، وكأنها تريد قول شيء ما. على الأرجح عرفت شيلا من قاتلها، لكن لن يكون بمقدورها أن تخبر أي شخص، وبينما أخذت إيرينا تنتظر وهي ترتجف، لاحظت أن هناك دماء على حذائها، ثم فتح شرطي باب السيارة وأطل برأسه داخلها، وقال: «يريد المحققان التحدث إليك الآن إن كنتِ لا تمانعين».

هزت رأسها موافقة وخرجت من السيارة، كان هناك شخصان يسيران نحوها، رجل طويل ذو شعر داكن، يبلغ من العمر أربعين تقريبًا، وامرأة أقصر قامة وأصغر عمرًا، كان كلاهما في ملابس مدنية. ازدردت إيرينا بتوتر. قال الرجل: «مرحبًا، أنا المحقق رايس وهذه المحققة بار من شرطة أيلسفورد. على حد علمي، أنتِ من وجدتِ الضحيتين؟».

هزت رأسها موافقة.

- هل تمانعين لو طرحنا عليك بعض الأسئلة؟

- هزت رأسها مرة أخرى، ثم أدركت أنها حركة محيرة فقالت وهي ترتعش كورقة في مهب الرياح: «لا مانع لدي».
- التفت رايس إلى بار، وقال: «هناك بطانية في حقيبة السيارة، هل يمكنك إحضارها؟».
- وثبت بار مسرعة، وعادت ببطانية صوف كحلية اللون، وأسدلتها على كتفي إيرينا المرتعشتين. قال لها رايس: «إنها الصدمة».
- ثم نظر إلى الفناء وقال: «لَمْ لا نذهب ونجلس في مقصورة الحديقة؟ يمكننا التحدث هناك».
- شقوا طريقهم عبر الحديقة إلى الهيكل الجميل حيث جلست، وهي مسدلة البطانية عليها، على مقعد في مواجهة المحققين. لقد اعتادت أن تلعب هنا مع الأطفال منذ وقتٍ طويل مضى.
- سألته بار: «هل يمكن أن نخبرينا باسمك من فضلك؟».
- إيرينا «دابروفسكي».
- قالت إيرينا اسمها وأخذت تشاهد المحققة وهي تدونه. ربما تحمل إيرينا اسمًا بولنديًا، لكن إنجليزيتها رائعة وبلا لكمة، فلقد جاء والداها بها إلى الولايات المتحدة منذ أن كانت طفلة، قال رايس: «أنتِ على حد علمي خادمة عائلة مرتون؟».
- هزت إيرينا رأسها مؤيدة.
- منذ متى وأنتِ تعملين لديهم؟
- منذ وقتٍ طويل، بدأت عندما ولد طفلهم الأول، عملت في البداية مربيةً مقيمة لعدة سنوات حتى ذهب الطفل الأخير إلى المدرسة، ثم أكملت مدبرةً للمنزل، ثم في الوقت الحالي خادمتهم، وآتي إلى هنا مرتين في الأسبوع.
- تعرفين إذًا العائلة جيدًا.
- جيدًا للغاية. إنهم مثل عائلتي.
- قالت ذلك ثم أدركت أنه يُفترض بها البكاء الآن، لكنها فقط لا تستطيع الشعور بأي شيء، ثم أخذت تتنشق الهواء المنعش في محاولة منها لتبديد رائحة الدماء.

قالت بار برفق: «لا بأس، خذي وقتك».

قالت إيرينا أخيرًا: «أنا فقط لا أستطيع تصديق الأمر».

سأل رايس: «متى كانت آخر مرة رأيت فيها الزوجين حين؟».

- كان يوم الأحد على عشاء عيد الفصح. لقد كنت هناك طوال يوم السبت أنظف، فلقد كانا يستعدان لاستقبال جميع أفراد العائلة على عشاء عيد الفصح، وأرادت شيلا ألا يشوب المكان شائبة، لذلك كان لدي تنظيف إضافي لأفعله، ثم عدت مرة أخرى يوم الأحد لأنضم إليهم على العشاء.
- من حضر إلى العشاء؟

- كان الأولاد جميعهم هنا. كاثرين الكبرى، وزوجها تيد، ودان الابن الأوسط، وزوجته ليزا، وچينا الصغرى، وأحضرت حبيبًا معها. دائمًا ما يجتمعون في المنزل لتناول العشاء في أمسيات العطلات معًا، إنه أمر متوقع. عادة ما تأتي أخت فريد، أودري، أيضًا، لكنها لم تكن هناك يوم الأحد، (ثم نظرت إيرينا إليهما وسألت) هل علم الأولاد بالأمر بعد؟ هل أخبروا؟

- ليس بعد.

- سيفجعهم هذا للغاية.

قالت بار: «حقًا؟» وهي تنظر من مقصورة الحديقة إلى المنزل الذي يساوي الملايين. فكرت إيرينا في كونه قولًا يفتقر تمامًا إلى اللباقة، ونظرت إلى رايس وكأنها أرادت إيصال هذه الفكرة إليه، ورأت بار ذلك ولم يبدُ عليها الاهتمام، فتابعت قائلة: «أتصور أنهم على وشك أن يرثوا كمًّا هائلًا من الأموال».

أجابت إيرينا بفتور: «أعتقد هذا».

قال رايس: «لقد جئت إلى هنا هذا الصباح. هل كان هذا من أجل تنظيف المنزل؟».

أشاحت إيرينا بوجهها إلى المنزل وقالت: «نعم، آتي عادةً يوم الاثنين والخميس، لكن الاثنين كان عطلة، لذا لم آت حتى اليوم».

- هلا أخبرتنا ما حدث حين وصلت إلى هنا، خطوة بخطوة.

أخذت إيرينا نفسًا عميقًا وزفرته وقالت: «وصلت بعد الساعة العاشرة والنصف بقليل، كان المكان هادئًا جدًّا، ولم يكن أيُّ من السيارات في المدخل،

طرقت الباب مثلما أفعل عادةً، لكن لم يفتح أحد، فدخلت إلى الداخل لأن الباب لم يكن موصداً، لذا افترضت أنهما في المنزل».

- تابعي.

- بمجرد أن دلفت إلى الداخل، لاحظت الرائحة ورأيت الدماء في البهو، كنت خائفة، رأيت المصباح على الأرض، ثم رأيت شيلاً.

- هل اقتربت من جثتها؟

هزت رأسها موافقةً وهي تتذكر، ونظرت إلى يدها التي ما زالت ترتعش على حجرها. وقالت: «لكنني لم ألمسها، (ازدردت وهي تحاول منع نفسها عن التقيؤ) ثم ذهبت إلى المطبخ، و... رأيتها».

- هل دخلت إلى المطبخ؟

شعرت فجأة بالدوار، وقالت: «لست متأكدة».

قالت بار: «الأمر فقط أنه يوجد دماء على أسفل حذائك».

نظرت إلى بار متفاجئة، وقالت: «لا بد وأني فعلت، لقد كان الأمر صادمًا ومربكًا للغاية. لكن نعم، أتذكر الآن، ذهبت إلى حيث يرقد فريد ونظرت إليه». وازدردت مرة أخرى.

- هل لمسته، أو لمست أي شيء في المطبخ؟

نظرت إلى يديها في حجرها، وقلبتهما، وكأنها تتفقد إذا ما كان هناك أي دم وإش عليهما، لكنهما نظيفتين، فقالت: «لا أظن ذلك».

سأل رايس بإصرار: «لم تذهبي إلى الحوض؟».

شعرت بالأمور تختلط عليها الآن، ثم قالت: «بلى، لقد خفت من أن أتقيأ، لقد تقيأت بالفعل في الحوض، ثم نظفته بعد ذلك».

إنها تعلم أن أقوالها متناقضة بعض الشيء، لكن ماذا يتوقعان؟ إنها لم تتعرض لمثل هذا الموقف من قبل، ولقد أفقدها هذا الأمر أعصابها بالكامل.

قال رايس: «لا بأس، هل تعلمين إذا ما كان للزوجين مرتون أي أعداء؟ هل يمكنك التفكير في أي شخص يمكنه فعل هذا؟».

هزت رأسها نافية وقالت: «لا، لا أعتقد أنه كان لديهما أعداء».

ثم سكتت هنيهة، وأضافت وهي تنظر إليهما: «لكن لا يمكنك الجزم في الأمر أبدًا، أليس كذلك؟ أقصد، أنني آتي في الوقت الحالي من أجل تنظيف المنزل فقط، ولم أعد أعيش هنا».

- ماذا عن أجهزة الحماية المنزلية؟ هل كان هناك أيُّ منها؟
- لا، توجد بعض كاميرات المراقبة الموضوعة حول المنزل، لكن على حد علمي، لم تعمل قط، إنها فقط من أجل الاستعراض.
- سألت بار: «هل يبقيان أيُّ أشياء قيمة في المنزل؟».
- نظرت إليها إيرينا بدورها ولسان حالها يقول إن هذه المحققة الشابة لا بد وأنها حمقاء بعض الشيء، وأجابت: «المنزل ممتلئ بالأشياء القيمة، إن اللوحات وحدها تساوي الكثير، وهناك الفضة، ومجوهراتها، وما إلى آخره».
- سألها رايس: «ماذا عن الأموال؟».
- هناك خزانة في مكتب فريد الموجود في الطابق الأرضي في آخر المنزل، لكن لا أعلم على وجه التحديد ما يبقياها داخلها.
- والآن نود منك أن تصحبينا في جولتنا داخل المنزل وتتحقق إن كان ثمة أيُّ شيء مفقود، هل تعتقدين أنك قادرة على فعل ذلك؟
- همست قائلة: «لا أريد الرجوع إلى المطبخ مرة أخرى».
- قال رايس: «أعتقد أننا يمكننا تجاوز الذهاب إلى المطبخ حاليًا. هل هناك أيُّ شخص آخر يعمل في المكان، بستانى ربما؟».
- هزت رأسها نافية، وقالت: «إنهما يستخدمان شركة لخدمات البستنة».
- سألت بار: «هل يصادف أن يكون معك أرقام هواتف الأبناء الثلاثة؟».
- أخرجت إيرينا هاتفها وهي تقول: «نعم، بالطبع».

9

أخذ رايس يشاهد إيرينا وهي تحقق إلى جثة شيلا مرتون على الأرض بينما يدها على فمها، ثم قالت أخيرًا: «دائمًا ما كانت تضع خاتمين كبيرين من الألماس، خاتم خطبتها، وواحدًا آخر في يدها اليمنى، (ثم رفعت رأسها للأعلى ونظرت إليهما قائلة) لقد اختفيا».

لقد كشفت جولة سريعة داخل المنزل برفقة العاملة المستأجرة صورة أوضح لما حدث، فلقد وجدوا أن الفضة قد فُقدت من حجرة الطعام، لكن على الرغم من ذلك لم تُمس أيُّ من اللوحات، حتى أثمنها، ونُهب مكتب فريد، لكن يبدو أن المُقتحم لم يلحظ الخزانة التي كانت مخفية وراء لوحة لمنظر طبيعي، ومع ذلك، يحب أن تُفتح حتى يتأكدوا.

ثم صعد رايس وبار السلم إلى الطابق الثاني وهما يخطوان بحذر تجنبًا أن يسيرا على خيط الدماء، وفي أثناء صعودهم، كان هناك ثريا مُتدلية في المنتصف لاحظ رايس حين استوى معها أنها لا غبار عليها، ثم دخلوا غرفة النوم الرئيسية التي كانت تقع في الجزء الأمامي من المنزل، والتي بها نافذة تمتد من الأرضية حتى السقف وتطل على العشب والحدائق. إنها غرفة كبيرة بفراش ضخم وخزانات ملابس باللون اللوزي ذاته. كانت الأدراج مفتوحة عن آخرها، وكانت الملابس داخلها قد تناثرت على الأرض، وأُفرغت المحتويات الموجودة بإحدى حقائب اليد بعشوائية على الفراش غير المرتب، وكان يوجد على سطحها الجلدي باهت اللون بعض لطخات الدماء، وأُفرغت محفظات فريد وشيلا من النقود، والبطاقات الائتمانية، وألقي بها على الأرض.

كان صندوق المجوهرات على خزانة ملابس شيلا مفتوحًا ومائلًا وكأن أحدهم قد نكته بسرعة، وهو ما أكدته لطخات الدماء عليه، وقف رايس بجانب إيرينا وأخذًا ينظران معًا إلى داخله الفارغ، ثم قالت له إيرينا: «كان لديها عدد من الخواتم المرصعة بالألماس، وبعض الأقراط والأساور باهظة الثمن، وبعض اللآلئ، لكن من المحتمل أن تكون قد وضعتهم داخل الخزينة في الطابق السفلي. سيكون لدى شركة التأمين سجل بذلك».

شكر المحققان إيرينا حينما عادوا مرة أخرى إلى الخارج، وبينما كانا يتجهان إلى سيارتهما، أخذ رايس يفكر في أنهما سيتمكنان من الإمساك بهما إذا حاولوا استعمال بطاقات الائتمان أو بيع المجوهرات المسروقة. أي من فعل هذا الأمر، فلقد أخذ فقط الأشياء التي كان من السهل حملها، ومن السهل تحويلها إلى أموال.

لكنها جريمة وحشية للغاية، لذلك ربما ليست جريمة سرقة من الأساس بتاتا.

توقف المحققان خارج عيادة كاثرين مرتون في مركز المدينة، وقد أرسل رايس شرطييين آخرين إلى منزلي كل من الابنتين الآخرين ليطلقا طريقة الوفاة المريبة؛ لتبليغهما بمقتل والديهما قبل أن يعلما بالأمر من الأخبار. ووفقًا لما قالته إيرينا، ليس لدى دان أو جينا مقر عمل في الوقت الحالي.

كان مبنى مزدحم يضم العديد من الممارسين المختلفين الذين يتشاركون المكان، وجد المحققان الاستقبال في الطابق الثالث، وأظهرا هويتهما، وطلبا رؤية دكتور كاثرين مرتون، اتسعت عينا موظفة الاستقبال حين رأت شارتيهما، وقالت وهي تترك المكتب: «سأخبرها في الحال».

وحين عادت، قالت: «هل تمانعان لو انتظارتماها في الغرفة ج في آخر الردهة. ستأتي إليكما خلال عدة دقائق».

توجه رايس وبار إلى غرفة الفحص، ولم يضطرا إلى الانتظار طويلاً؛ فلقد سمعا طريقة خفيفة على الباب ثم دخلت الغرفة امرأة في بداية الثلاثينيات من عمرها ترتدي معطفًا أبيض، أخذ رايس يتفحصها بعناية، إن مظهرها جذاب ولها ملامح عادية، وشعر داكن اللون، مفروق على الجانب، يصل إلى كتفها، وتضع لؤلؤًا حول عنقها، كانت عيناها يملؤهما الاستفسار.

قالت المرأة: «أنا دكتور مرتون، أخبرتني موظفة الاستقبال أنكما تريدان مقابلتني».

قدم رايس إليها نفسيهما وقال: «أخشى أن لدينا بعض الأخبار السيئة». بدا أنها ستتداعى، فاقترح رايس قائلاً: «ربما من الأفضل أن تجلسي». وبسرعة غاصت كاثرين في الكرسي البلاستيكي، بينما ظل هو وبار واقفين.

نظرت إليهما وقالت: «ما هي؟».

- أخشى أنهما والديك؛ لقد عُثر عليهما ميتين في منزلهما. قال هذا وصمت إلى أن تستوعب الأمر تمامًا بينما أخذت كاثرين تحديق إليه بدورها مستنكرة، ثم صاحت قائلة: «ماذا؟». أجاب رايس بقدر استطاعته من لطف: «لقد قُتلا».

بدت صدمة كاثرين صادقة، وانتظرا قليلاً حتى تستوعب الخبر، ثم أجابت أخيراً، في ذهول: «ماذا حدث؟».

- يبدو أنها سرقة خرجت عن المألوف؛ نُهبَت الأموال، والبطاقات الائتمانية، والمجوهرات.

- لا أصدق هذا.

ثم نظرت إليهما وسألت بخوف: «كيف ماتا؟».

لا توجد طريقة سهلة لقول ذلك، وستعرف الأمر قريباً على كل حال، فقال رايس بهدوء: «شُنقت والدتك، وذبح والدك وطُعن عدة مرات».

همست كاثرين مرتون: «لا...» وهي تهز رأسها بأسى بينما يدها على فمها وكأنها قد تتقيأ، وحين أصبحت قادرة على الحديث، قالت بصوت مختنق: «متى... متى حدث ذلك؟».

- لا نعلم بعد. وجدتهما السيدة دابروفسكي قرابة الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم، وذكرت أنه كان هناك عشاء عائلي في أحد الفصح، هل هذا صحيح؟

هزت رأسها موافقة وقالت: «نعم، كنا جميعاً هناك».

- وهل كان كل شيء على ما يرام هناك؟

- ماذا تقصد؟

- هل كان هناك أيّ علامة على وجود خطب ما؟ هل بدا والداك مختلفين، أو مضطربين، أو أن هناك ما يقلقهما؟
- لا، كان كل شيء كالمعتاد.
- في أيّ وقت خرجت من منزلهما؟
- أجابت كاثرين بشرود: «قراءة الساعة السابعة».
- هل تواصلت مع والديك في أيّ وقت بعد ذلك؟
- هزت رأسها بالنفي وقالت وهي تحديق إلى الأسفل على حجرها: «لا».
- إننا نعتقد أنهما قُتلا في وقت ما متأخر من مساء يوم الأحد أو باكراً من صباح يوم الاثنين.
- ثم سألتها بار بلا أيّ مراعاة: «كم تقدر ثروة والديك في رأيك؟».
- نظرت إليها كاثرين في دهشة، ثم قالت: «لقد كانا ثريين، لكن لا أعلم بالتفصيل كم تقدر ثروتهما».
- تقريباً إذا؟
- لا أعلم، يجب عليك أن تسألي محاميهما، «والتر تيمبل»، من شركة تيمبل بلاك للمحاماة.
- ثم نهضت كاثرين من كرسيها مُعلنة انتهاء المقابلة قائلة: «يجب... يجب أن أخبر أخي وأختي».
- هز رايس رأسه متفهماً، وقال: «يجري إخبارهما الآن أيضاً، إننا آسفان للغاية لخسارتك».
- ثم ناولها بطاقته، وهو يقول: «سنواصل معك لاحقاً، من أجل التحقيق بالطبع، سنرى طريقنا للخارج».

10

شاهدتهما كاثرين وهما يرحلان، ثم نهضت وأغلقت باب غرفة الفحص، وانهارت مرة أخرى على المقعد. بالكاد يمكنها التقاط أنفاسها، تشعر بالدوار، والغثيان، ولا تستطيع التفكير. لكنها يجب أن تتمالك نفسها، فلديها مرضى ينتظرونها وستتساءل «سيندي» موظفة الاستقبال عما حدث لها. لكن هذا صعب للغاية، ثم أخذت تتساءل عما ظن فيها المحققان، هل أمكنهما الشعور بأنها كذبت عليهما؟

يجب أن تتحدث إلى دان وچينا، وستطلب من سيندي إعادة جدول مواعيد المرضى. سيتفهمون حين يعرفون السبب. لن يتوقع أحد منها أن تستمر في مواصلة عملها بعد ما حدث. سمعت طرقًا خفيفًا على الباب، فأجابت: «نعم». فتحت سيندي الباب بتردد وسألت بقلق واضح: «هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟».

قالت كاثرين بصوتٍ مُثقل: «لقد قُتل والدائي».

اتسعت عينا سيندي في زعر وذهول، وعقدت الصدمة لسانها فلم تقل شيئاً.

وأردفت كاثرين بلهجة أمرة: «هل يمكنك إذا سمحت أن تعيدي جدول جميع مواعيدي؟ سأحتاج إلى إجازة لعدة أيام. عليّ الذهاب الآن».

مرت كاثرين أمام سيندي سريعًا وتوجهت إلى مكتبها لتعلق معطفها الخاص بالأطباء، وترتدي معطف المطر، آخذةً حقيبة يدها، وهرعت أمام

المرضى في غرفة الانتظار دون تحييتهم إلى المصعد خارج عيادتها، ثم توجهت مباشرة إلى سيارتها في موقف السيارات، وفور أن جلست داخل السيارة، أخذت نفساً عميقاً، وأخرجت، بيدين ترتعشان، هاتفها من محفظتها واتصلت بتيد.

لحسن الحظ لم يكن معه أي مريض وأجاب هاتفه قائلاً: «أجل؟». حاولت كاثرين كتم نحيبها لكنها لم تفلح، فسألها تيد سريعاً: «كاثرين، ما الأمر؟».

- لقد كانت الشرطة هنا تَوَّأ، في مكتبي.
ثم بدأت في الذعر وقالت وأنفاسها سريعة ومتلاحقة:
- إن والديّ ميتان. لقد قُتلا. في منزلهما.
ساد صمت تام على الجانب الآخر من الهاتف للحظة، من الواضح أن تيد دُهِش هو الآخر، ثم قال أخيراً: «هذا... هذا... أوه يا كاثرين، كم هذا فظيع! ماذا حدث؟».

- يعتقدون أنها سرقة.
- انتظري هناك، سأتي لاصطحابك.
- لا، لا تفعل ذلك. يجب أن... سأذهب إلى منزل دان وليزا، سيكونان قد علما بالنبا الآن. هل من الممكن أن تقابلني هناك؟ وسأتصل بجينا وأطلب منها أن تنضم إلينا.
أجاب تيد بصوت حازم: «حسنًا، هذا... لا يُصدق، أقصد... لقد رأيتهما ليلة يوم الأحد».

ترددت قائلة: «بالنسبة إلى هذا الأمر».

مكتبة

t.me/soramnqraa

- ماذا بشأنه؟
- يجب علينا أن نتحدث.
- ماذا تقصدين؟
- فقط لا تخبر أحداً أنني ذهبت إلى هناك متأخراً في تلك الليلة، حسناً؟ أنا... أنا لم أخبر الشرطة بذلك، سأشرح لك لاحقاً.

استيقظت جينا بعينين غائمتين على طنين هاتفها الجوال، فتحت عيناً واحدة وأبصرت المكان الخالي المفترض أن يكون چاك نائماً فيه -هذا فراشه، وشقته، ورائحته المثيرة على الغطاء- ثم وصلت إلى هاتفها الملقى على الأرض. يا إلهي! لقد تأخر الوقت، لا بد وأن چاك قد ذهب إلى العمل وتركها نائمة. لقد كانت كاثرين أختها هي من تتصل، أجابتها جينا قائلة: «ماذا؟».

- جينا، هل تحدثت الشرطة إليك بعد؟

- ماذا؟ لا، لماذا؟

- أين أنت؟

كان يمكن لجينا سماع الفجيرة في صوت أختها، وأجابتها: «إنني في منزل چاك في نيويورك، لماذا؟».

- أوه، إن لدي بعض الأخبار السيئة.

اعتدلت جينا في جلستها على الفراش وأبعدت شعرها عن جبهتها، وقالت: «ماذا؟».

- لقد مات أبي وأمي، لقد قُتلا.

أخذت نبضات قلبها في التسارع فجأة، وقالت: «اللعنة! حقاً؟».

أخبرتها كاثرين بإيجاز أن تأتي وتقابلهم في منزل دان، نهضت جينا من فراشها، وارتدت بعض الملابس، وذهبت إلى المطبخ لتترك ملحوظة لچاك، لكنه قد ترك واحدة لها بالفعل.

مرحباً أيتها الرائعة..

ابقي قدر ما تشائين، أو توجهي إلى المرسم حين تستيقظين.

قررت جينا ألا تكتب الملاحظة، وأنه من الأفضل أن تخبره بالأمر عبر الهاتف.

رأت ليزا من خلال نافذة المطبخ سيارة كاثرين تقف عند مدخلهما، ثم التفتت ونظرت إلى زوجها، إنه منفعل للغاية منذ أن علما بالخبر، وأخذ يحوم بقلق في انتظار مجيء كاثرين، وبوصولها، بدا موشكًا على أن يصاب بالذعر. نهبت ليزا إلى الباب لتفتحه لكاثرين، لكن دان تقدمها، وفتحه، وقابل كاثرين عند المدخل.

سمعت ليزا كاثرين تقول: «لندلف إلى الداخل».

تبدو كاثرين شاحبة ومفجوعة، ومن الواضح أنها كانت تبكي، كان هذا ما دار بخلد ليزا، ثم سمعت صوت سيارة أخرى ونظروا جميعهم إلى الشارع، ورأت ليزا تيد في سيارته الرياضية مكشوفة السقف في هذا اليوم الإبريلي لطيف الطقس. لم تنتظر كاثرين زوجها ودخلت مباشرة إلى المنزل وتبعها دان، انتظرت ليزا تيد على الباب ودون أن يتفوها بأي كلمة دلفا إلى الداخل. ويبدو على تيد، هو الآخر، الصدمة.

إن أمارات الفجيرة البادية على وجه كاثرين أحرزت ليزا التي تمتص ضغط الآخرين كإسفنجة. توجهت إلى كاثرين -التي تعدها أختًا لها- وعانقتها عناقًا حارًا بعينين ملؤهما المواساة، ومن ثم توجهوا جميعًا إلى غرفة المعيشة. قالت كاثرين: «إن جينا في طريقها. لقد اتصلت بها لتنضم إلينا، لكنها في نيويورك. وكان عليّ إخبارها».

وغاصت كاثرين داخل أحد المقاعد وألقت حقيبتها أرضًا عند قدميها. ألقت ليزا نظرة على دان بينما كانت تهتم بالجلوس على الأريكة، ووجدته يذرع غرفة المعيشة جيئة وذهابًا بخطوات واسعة، أما تيد فقد ذهب ليقف بجوار كاثرين، وأرعى يده باحتواء على كتفها.

قالت كاثرين وهي تنظر بحدة إلى دان: «لقد قُتلا على الأرجح مساء يوم الأحد». وهناك شيء في الطريقة التي نظرت بها إلى دان لم تحبها ليزا. صاح دان قائلاً: «لا أستطيع تصديق ذلك!». رمقته ليزا باضطراب بسبب توتره الشديد.

قالت كاثرين: «أعلم، ولا أنا أيضًا، ولكن جاء محققان تَوًّا إلى مكثبي». ثم قالت بصوت حاد بعض الشيء: «وأخبراني أنهما سيفتحان تحقيقًا بشأن جريمة القتل».

قال دان متوقفاً عن السير فجأة: «يا إلهي... هذا... سريالي!». أشارت ليزا إليه أن يأتي ويجلس بجوارها على الأريكة، فأذعن لها، ملقياً جسده على الأريكة.

حدثت كاثرين إليه وقالت: «هل أخبراك أن إيرينا هي من عثرت عليهما؟». هز دان رأسه نائفاً بقلق، وأمسك بيد ليزا وأحكم قبضته عليها. بدأت ليزا تُدرك الأمر أخيراً. **إن كليهما ميتان.** إنها لا تصدق الأمر هي الأخرى، لا تصدق حظهم السعيد. هذا يغير كل شيء، ثم ألقت نظرة خاطفة على زوجها وهي تفكر أن الأمور ربما ليست سيئة إلى هذا الحد في نهاية المطاف. ربما أصبحا ثريين.

سألها دان: «ماذا قال المحققان؟».

- يبدو أنهما يفكران في أنها جريمة سرقة تحولت إلى العنف. ثم تابعت بصوت يشوبه الهستيريا «إن أُمِّي سُنِقت. وأبي... لقد ذبح أبي، وطُعن عدة مرات».

- يا إلهي! هذا مريع. لم يخبرانا بذلك.

وهو يقف فجأة من جديد ويمرر أصابعه في شعره الداكن. نظرت ليزا إلى كاثرين برعب. لم يسمعا تلك التفاصيل من الشرطيين عند الباب، ما سمعاه هو أن فريد وشيلا قُتِلَا، لكن لم يخبراهما كيف، والآن وبعد أن عرفت كيف، تشعر بأنها على وشك أن تتقيأ.

نظر دان إلى كاثرين ثم قال بتردد: «لكن... هل تعلمين ما يعنيه هذا؟». شاهدت ليزا زوجها وهي تحاول ثني نفسها عن التقيؤ بوضع يدها على فمها، قالت كاثرين وكأنها لا تفهم ما يقصده: «ماذا؟».

- نحن أحرار. لقد تحررنا جميعنا منه.

ظهرت على كاثرين خيبة الأمل والغضب وأجابته موبخة: «سأتظاهر بأنك لم تقل ذلك، وسأترك أفكاراً كتلك لك».

رمقته ليزا بعدم ارتياح، وشعور الغثيان يزداد داخل معدتها. تمنّت لو كان دان لديه مثل ضبط نفس كاثرين. إن ليزا متيقنة أن الفكرة ذاتها كانت أول ما فكرت فيه كاثرين حين علمت بالنبأ، لكنها أكثر حكمة من أن تقول ذلك.

11

بينما توجهت ليزا إلى المطبخ لتعد القهوة، قال دان لكاثرين وتيد: «إيرينا المسكينة».

قالت كاثرين موافقة وهي تحديق إلى الفراغ: «لا بد وأن العثور عليهما في هذه الحالة كان شيئاً مريعاً».

ثم نظرت إلى تيد سريعاً وكأنها تذكرت شيئاً ما ورأى دان يدَي تيد وهما تربتان كتفها مطمئنتين.

سأل دان: «ما الذي يجب فعله الآن؟».

قالت كاثرين: «لا أعلم».

أشعره عدم تقينها بالاضطراب لحظة. لو كاثرين لا تعلم ماذا تفعل، كيف سيتصرفون إذا؟ ثم بعد ذلك بدا أنها تماكنت نفسها وقالت: «يجب أن ننظم جنازة».

- صحيح.

- وسيود المحققان أن يتحدثا إلينا جميعاً بالطبع.

كرر دان: «يتحدثان إلينا، لماذا؟ (ثم لماذا تنظر إليه كاثرين هكذا؟ وتابع مُحْتَجاً) أنا لم أفعلها!».

نظروا إليه في دهشة. لم قال ذلك؟ يجب أن يسيطر على نفسه. إن كاثرين باتت تشاهده بتمعن وتيد ينظر إليه بعدم ارتياح.

فجأة أصاب دان الإرهاق وانهار على الأريكة ومال برأسه للخلف، وسقط فيما يشبه أحلام اليقظة السارة. إن والديه ميتان. لا مزيد من العشاءات العائلية، لا مزيد من طلب المال، ورفض طلبه، لا مزيد من الإهانات المهينة من والده له أمام الآخرين، وفور أن تنتهي الجنازة وتستقر الأوضاع، هناك تركة بانتظارهم للتعامل معها. أخذ يتساءل من سيكون القائم على تنفيذ الوصية. على الأغلب كاثرين. أو ربما والتر، محامي والده. الشيء المؤكد هو أنه لن يكون هو.

كل تلك الأموال الرائعة في طريقها إليهم. كان يمكنه الشعور بصدره يتمدد من السعادة. يمكن لكاثرين أن تتظاهر كما يحلو لها، لكنه متأكد من أنها سعيدة بهذا الأمر قدر سعادته. يمكنها أن تحظى بالمنزل الآن جزءًا من حصتها. أما هو، فيريد حصته أموالاً. ستتنبس ليزا الصعداء بخروجها من تحت عجلة أبيه الساحقة أخيرًا، وبخروجها من كل هذه الضائقة المالية المُنهكة. يمكنهما أن يصبحا سعيدين مرة أخرى. أما بالنسبة إلى تيد، فليس لدى دان أيُّ شكوك أنه سعيد بكقيتهم على الرغم من نظرة القلق المصطنعة البادية على وجهه؛ لم يكن يطيق أباهم، ويقدر تيد الأشياء الرفيعة؛ دائمًا ما كان دان يغار من سيارته الرياضية، بي إم دبليو Z3، مكشوفة السقف. لكنه كان يواسي نفسه دائمًا أن هذا ما يفعله أطباء الأسنان؛ شراء سيارات رياضية بغية تعويضهم عن وظائفهم المملة غير السارة. الآن يمكن لتيد التقاعد إذا أراد ذلك. أما جينا، فلن تتظاهر حتى بالأسف لأنهما رحلا.

الحقيقة هي أنهم أفضل حالًا الآن لأن والديهم قُتلا. بلا أيِّ سنين طوال -ربما عقود- من الانتظار من أجل الحصول على ميراثهم. بلا سنين لا حصر لها من الزيارات الواجبة الخائقة إلى دار المسنين، لا مزيد من مجارة أبيه في آرائه بعد الآن. لقد جُنُّوا كل ذلك، ويمكنهم أن يبدؤوا في العيش الآن. لو لم يكن الأمر غير لائق بالمرة، لوجب عليهم حقًا أن يقيموا احتفالاً. إنه يشعر برغبة في وضع زجاجة شمبانيا في الثلجة.

انصرف تيد عن دراسته لدان حين رجعت ليزا بصينية من أكواب القهوة، واللبن، والسكر. تسود الحجرة أجواء غريبة، وهي تسبب عدم ارتياحه. وكان يفكر أيضًا فيما قالت له كاثرين على الهاتف. لم لا تريد أن يعرف أيُّ شخص

أنها ذهبت إلى هناك متأخراً في تلك الليلة؟ إنها بالتأكيد حمقاء في هذا الأمر. بالطبع يجب أن تخبر الشرطة، سيساعدكم هذا في وضع جدول زمني أفضل لما حدث. يجب عليه أن يتحدث معها بخصوص هذا الأمر فور أن يصل إلى المنزل.

حاول أن يقرأ تعبيرات وجه ليزا بينما كانت تضع الصينية على طاولة صغيرة، لكن وجهها كان متوارياً خلف شعرها البني السميك المتأرجح إلى الأمام. إن دان يتصرف بغرابة بعض الشيء، يبدو عليه الحماس المفرط، ويريد تيد أن يعرف إذا ما كان هو الوحيد الذي لاحظ هذا، ثم نقل نظره من دان إلى كاثرين وهو يتساءل إلى أي مدى يفهم أيًا منهما. لقد تشارك كاثرين، ودان، وچينا طفولة غير عادية، طفولة ثراء وألم حيث كان يُحجم والداهم عن إظهار حبهما لهم، وتفضيل أحدهم على الآخر. مما تسبب، كما أخبرته كاثرين، في خلق فجوات وتنافسات طويلة الأمد بينهم، لكنها في الوقت نفسه وحدث شملهم بطريقة غريبة. ليس لدى تيد أي إخوة، لذا لا يعلم كيف تسير الأمور. حاولت كاثرين أن تشرح له علاقتها بأخيها وأختها، لكن بصفته طفلاً وحيداً، يصعب عليه استيعاب الأمر. هناك أشياء تحدث هنا لا يفهمها. أخذت كاثرين كوب قهوة، وانشغل كل واحد منهم بكوبه للحظة.

قال دان وهو يحمل كوب قهوته: «يجب أن نتصل بإيرينا. اطلبي منها أن تأتي إلى هنا. (وارتعش كوبه قليلاً وهو يُدنيه من فمه، وأضاف) في نهاية المطاف، إنها فرد من العائلة، يجب أن تكون هنا في أوقات كهذه، (ثم بدا عليه القلق) ألا تظنون أنه من الغريب أنها لم تتصل بنا؟».

قالت كاثرين: «سأتصل بها».

وأخذت تفتش داخل حقيبتها الموضوعة عند قدميها عن هاتفها الجوال. علاقة الأغنياء بعمالهم المستأجرة هو أمر آخر لم يستطع تيد فهمه قط. إنهم يقولون إن إيرينا فرد من العائلة. لكن مما لاحظته، لم يكن فريد وشيلا يعاملانها إلا عاملة منزلية ليس إلا. لقد انحازت إيرينا إلى الأولاد ورحلت معهم حين انفجر عشاء عيد الفصح. يبدو أنهم، على الأقل، يفكرون فيها بحب. ذكرت كاثرين له من قبل أن إيرينا هي فعلياً من ربتهم جميعاً، وأنها كانت حاضرة أكثر بكثير من أمهم، وأخذ يتساءل إذا ما ستكون إيرينا هي الأخرى سعيدة سرّاً بتواتر الأحداث فور أن تتخطى الصدمة. ستخرج من الأمر فارغة اليدين، لكن ربما هناك شيء من أجلها في الوصايا.

الوصايا، هذا ما يفكرون فيه جميعًا. على الرغم من عدم ذكر أيٍّ منهم لها بعد، وأخذ يتساءل عن سييادر بالحديث عنها أولًا، على الأرجح حينًا.

إن السعادة بموت أحدهم أمرٌ يصعب الإقرار به، لكن تيد يعلم أنه يمكن للمرء أن يسعد بذلك. كان تيد في الثانية عشرة من عمره حين توفي والده بسبب التليف الكبدي، ومع ذلك شعر بالخلاص. كانت أمه ملائمة تمامًا لما يجب أن تكون عليه الأرملة المكلومة، لكن حين كانا بمفردهما في منزلهما ليلاً وبينما هو في غرفة نومه، كان يسمعها تدندن في أرجاء المنزل وتبدو سعيدة للمرة الأولى منذ سنوات. إنه أول من يعترف بأن العالم سيكون أفضل حالًا إذا خلا من أشخاص بعينهم.

وضعت كاثرين هاتفها وقالت: «إيرينا قالت إنها ستأتي على الفور، ويمكننا البدء في تحضير مراسم الجنازة حين تصل حينًا إلى هنا». هز دان رأسه وقال: «ربما يمكن لإيرينا أن تطلعنا على ما حدث هناك، وما قالته الشرطة، بما أنها من عثرت عليهما. (وحين لم يجب أحد، نظر دان بدوره إليهم جميعًا) ماذا؟ أليس لديكم فضول؟».

تيد لديه، وأخذ يتساءل من قتل فريد وشيلا، وإذا ما كانت الجريمة بدافع السرقة من الأساس. إنه يريد أن يعرف ما يمكن أن تخبرهم به إيرينا، وهو متأكد من أنهم جميعًا يريدون أيضًا، ثم وجد نفسه ينظر إلى دان ويتساءل. إنه يتذكر الحوار الذي دار بينه وبين والده في غرفة المعيشة يوم أحد الفصح، والاحمرار الذي أخذ يتسلل أعلى عنق دان بسبب غضبه من قلة حيلته. إن تيد يعلم بأمر ضائقة دان المالية فلقد أخبرته كاثرين التي كانت ليزا تطلعها أولًا بأول كيف أنهما في حاجة ماسة إلى الأموال، ويعلم تيد أن كاثرين كانت قلقة على دان مؤخرًا.

يتساءل متى بالتحديد قُتل فريد وشيلا، وعاد بذاكرته إلى مساء يوم الأحد بعد ذلك العشاء العائلي البائس. كانت كاثرين قد ذهبت إلى هناك، بينما أخذ هو إلى النوم. لم يعرف متى عادت لأنه كان قد غط في النوم، وقد استيقظ من نومه لفترة وجيزة حين جاءت ودخلت إلى الفراش بجانبه، وهمست له قائلة: «عد إلى النوم».

همهم: «هل كل شيء على ما يرام؟».

- نعم، كل شيء على ما يرام.

وقبلته ونامت على الجانب الآخر، وفي الصباح التالي أخبرته على الإفطار أنها تحدثت هي ووالدتها الليلة الماضية، وأن والدتها قد تركت هاتفها في الطابق السفلي لهذا لم تسمع اتصالها. مكتبة سُرَّ مَنْ قرأ سألها تيد: «ما الذي أرادت أن تتحدث إليك بشأنه؟».

- أرادت أن أتحدث إلى أبي بخصوص جينا، إنه يريد قطع إعانتها، وطلبت مني أن أتدخل. إنها لا تريد أن تنتقل جينا إلى المنزل.

كان تيد ينظر إلى زوجته الآن وهو يشعر بقليل من الاضطراب في معدته. لقد خطر بباله تَوًّا فقط أن زوجته ربما تكون قد فاتتها جريمة القتل بوقت قصير. ماذا لو كانت قد وصلت في منتصف الأمر؟

كانت لتصبح ميتة هي الأخرى.

12

كانت أودري تشعر بتحسّن كبير بسبب تعافيتها من الأنفلونزا الكريهة، وكانت العلامة الوحيدة المتبقية من هذه الأنفلونزا هو الاحمرار الناتج عنها حول أنفها، وبينما كانت في طريقها إلى متجر البقالة لشراء بعض الحليب والخبز، كان راديو السيارة مفتوحًا وبدأت تذاع فقرة الأخبار، كانت القصة الرئيسية فيها عن زوجين ثريين قُتِلَا في بريكن هيل، رفعت أودري مستوى الصوت، وأخذت تفكر كيف أن هذه الواقعة قريبة للغاية من منزلها.

لم تُنشر أيُّ أسماء أو عنوان للضحيتين، فقررت أودري التوقف عند ميدان ما لتتصل بفريد لتسأله عما يعرفه بخصوص هذا الأمر، وحين لم تتلقَّ أيَّ إجابة من الخط المنزلي، حاولت الاتصال بجواله المحمول، لكن حوَّلت إلى البريد الصوتي، كانت لا تزال غير مكتثرة بالأمر، لكنها قررت بدافع الفضول التوجه إلى بريكن هيل، إنها لا تعيش بعيدًا عن المنطقة على الرغم من أن منزلها يقع في حي أقل ثراءً بكثير.

قادت خلال المنطقة المتعرجة المألوفة الخاصة ببيوت الأثرياء، وعندما اقتربت فقط من منزل فريد وشيلا، بدأت في رؤية كل التحركات، كان هناك عديد من سيارات الشرطة المتوقفة عند نهاية المدخل الخاص بالمنزل إلى حد أنها لم تتمكن من صف سيارتها هناك وعادت أدراجها مرة أخرى بينما كان قلبها يخفق بشدة، وبدأت تُدرك الأمر أخيرًا حين رأت سيارة إسعاف، وبعض السيارات الأخرى بالقرب من المنزل، وشريطًا أصفر، وجموعًا من الناس.

اضطرت إلى إيقاف السيارة على جانب الطريق بضع دقائق لتستوعب ما يحدث أمامها بينما كانت يداها ترتعشان على عجلة القيادة. إن فريد وشيلا هما الزوجان اللذان قُتلا! يبدو هذا مستحيلًا؛ فريد قُتل! إنه آخر شخص يمكن لها أن تتخيله ضحيةً لجريمة قتل، لقد كان دائمًا مثالًا للقوة والرهبة.

هذا يغير كل شيء إذًا؛ ستحصل على أموالها أقرب قليلًا مما توقعت.

أمسكت هاتفها، واتصلت بمنزل كاثرين لأنها ليس لديها رقم هاتفها المحمول، لكن لم يُجب أحد. لكن أودري أدركت أنه من المحتمل أن تكون في العمل، نسيت أمر البقالة، وقررت التوجه إلى منزل دان أولًا نظرًا إلى أنها لم تتلقَ أيَّ إجابة من هاتف منزل كاثرين. إنها تعلم أنه سيكون هناك تجمع للعائلة إما في منزل دان وإما في منزل كاثرين، ولن يخبرها أحد بالأمر.

بعد رحيلهما من مكتب كاثرين مرتون، رجع رايس وبار مرة أخرى إلى مشهد الجريمة. كانت النسور الرومية لا تزال تحوم في الأفق بأجسادها السوداء في السماء فاتحة الزرقة، لمح رايس بار وهي ترمق الطيور بعدم ارتياح، ثم رأى الطبيب الشرعي، «چيم ألقاراز»، وتوجه هو وبار إليه ليتحدثا معه.

قال الطبيب الشرعي: «هذه جريمة فوضوية إلى حد كبير».

وهز رايس رأسه موافقًا.

- سننقل الجثتين بعد قليل، وستدخلان المشرحة في وقت لاحق من ظهر اليوم. وعلى الأغلب سنبدأ بالأنثى. لمَ لا تأتيان صباح الغد؟ سنكون قد توصلنا إلى شيء بحلول هذا الوقت.

اقترب رايس من ماي بانرجي التي كانت تعمل في المطبخ داخل المنزل. لا يزال فريد مرتون مُلقى على أرضية المطبخ، سألها رايس بينما كانت بار تقف عند مرفقه: «هل هناك أيُّ شيء مثير للاهتمام؟».

- أعتقد أننا وجدنا سلاح جريمته. هنا، ألقيا نظرة!

وقادتهما إلى الحوض وأرتهما سكينًا داخل كيس أدلة شفاف موضوعًا على طاولة المطبخ. وقالت وهي تشير إليه: «إنها سكين اللحم من حامل السكاكين هناك. لقد نُظِّفَت بالكامل ووضعت مرة أخرى في حامل السكاكين».

نظر رايس إلى السكين ثم إلى حامل السكاكين وقال: «لا بد وأنكِ تمزحين».

- لا.

- هل توجد أيُّ بصمات؟

- لا، لقد غُسِلَت ومُسِحت جيدًا. لكن لا يزال هناك بُقع متناهية الصغر من الدماء. من الصعب إزالة مثلها. سنأكد من الأمر بعد قليل.

نظر رايس إلى بار المدهوشة مثله تمامًا. هذا لا يتناسب مع مشهد الجريمة الموجود هنا. كان من المتوقع أن يأخذ القاتل السكين ويلقي بها بعيدًا في مكان لا يمكن العثور فيه عليها مطلقًا، في نهر هدسون مثلاً. لم نُظِّفَت السكينُ وأُعِيدت مرة أخرى إلى مكانها؟ ثم قال رايس: «أيُّ دليل على ما استعمل أداة لخنق الزوجة؟».

- لا، لكننا ما زلنا نبحث. على كل حال، لم أنتهِ بعد من السكين.

قالت وهي تجلس القرفصاء مشيرة إلى بعض العلامات الموجودة على الدماء في الأرض: «انظر هنا! لقد كانت السكين موضوعة على الأرض بجانب الجثة لوقتٍ طويل. يمكنك أن ترى حدودها حيث الدماء جافة. لقد كانت هناك ربما ليوم أو أكثر قبل أن تُلْتَقَط، وتُنْظَف، وتُرْجَع مرة أخرى إلى حامل السكاكين».

صاحت بار قائلة: «ماذا؟!».

قال رايس: «ليس بواسطة القاتل إذًا؟».

هزت بانرجي رأسها نافية وقالت: «ليس إلا إذا رجع مرة أخرى، ولا دليل على ذلك».

قالت بار: «العاملة المستأجرة. إن آثار أقدامها الملطخة بالدماء تتجه مباشرة إلى الحوض».

هز رايس رأسه يُفكر، ثم قال: «ربما هي من فعلتها. وهناك سبب وحيد لما قد تفعل ذلك».

أكملت بار أفكاره قائلة: «لحماية أحدهم».

عض رايس على شفته السفلى وسأل: «ماذا عن بقية المنزل؟».

- لدينا عدة مجموعات من البصمات لرفعها بسبب تجمع أفراد العائلة والعاملة المستأجرة في عشاء عيد الفصح على الأغلب. لن نُزيل أيًا من آثار عجلات السيارات عند المدخل.

- حسنًا، شكرًا لك.

ثم قال رايس لبار: «لنلقِ نظرة مُفصلة في أنحاء المنزل».

وصعدا مرة أخرى إلى الطابق العلوي. كان لا يزال هناك عاملان في غرفة النوم الرئيسية يرفعان البصمات، نظر أحدهما إلى الأعلى حين رأى المحققين وقال: «هناك لطخات دماء، لكن لا يوجد أيُّ بصمات على المحافظ، أو حقيبة اليد، أو الأدراج، أو صندوق المجوهرات. أيًا ما يكون قد فعل هذا فقد كان يلبس قفازين».

هز رايس رأسه بلا أيِّ دهشة، ودخل هو وبار الحمام الملحق بالغرفة، فتح رايس خزانة الأدوية وأخذ يتفقد بينما يلبس قفازين العقاقير على الرف، ثمة مجموعة من العقاقير المتوقع وجودها في خزانة أدوية أي زوجين كبيرين في السن. هناك وصفة لمسكن قوي للألم خاصة بفريد، ثم حمل رايس قارورة أخرى خاصة بشيلا مرتون، تفقد التاريخ، لقد عُبِّئَت الوصفة منذ ما يقل عن أسبوعين. «ألبرازوالم Alprazolam». ونظر إلى بار وقال: «هل لديك أيُّ فكرة عما يكون ألبرازولام؟».

نظرت إلى القارورة في يده وهزت رأسها بالإيجاب وقالت: «ذاناكس Xanax، إنه عقار قوي مضاد للقلق».

- انظري إلى التاريخ! ما الذي كانت شيلا قلقة للغاية بخصوصه مؤخرًا؟

وضع رايس القارورة مرة أخرى داخل الخزانة، ودونت بار اسم العقار والطبيب الذي وصفه في مدونتها، وتفقدا بشكلٍ ممنهج بقية المنزل، ويبدو أنه فيما عدا الطابق السفلي وغرفة النوم الرئيسية، أن المعتدي لم يمس بقية المكان. في الطابق نفسه الذي توجد فيه غرفة النوم الرئيسية، توجد غرفة نوم إضافية، وحمام آخر، وغرفة كبيرة أخرى تحوي غرفة جلوس مُلحقة بها وحمامًا كانت غرفة إيرينا حين كانت تعيش معهم. إنهما يعرفان ذلك من جولاتهما السابقة مع إيرينا. دخل رايس غرفة إيرينا القديمة وهو يفكر في العاملة المستأجرة.

لقد غادرت المنزل منذ وقت طويل. إن أدراج الخزانة خالية، وخزانة الملابس خاوية؛ لا وجود لأي كتب، أو بقايا على الرفوف، ولا شيء في الحمام الملاصق أو غرفة الجلوس. لم تُسكن الغرفة لسنين. وجد نفسه يتساءل كيف كان الأمر لإيرينا حين كانت تعيش هنا. على الرغم من أن هذا جناح فاخر، فإنها كانت ما تزال العاملة المستأجرة المستعدة للاستيقاظ ليلاً إذا ما فزع أحد الأطفال في أثناء نومه واحتاج إلى من يهدئه، وللإستيقاظ باكراً في الصباح لتعد الفطور ووجبات المدرسة، ومن ثم التنظيف وتلقي الأوامر. أخذ يتساءل عن مدى قرب إيرينا من العائلة. ربما كانت أقرب إلى البعض من الآخرين. كيف كانت تسير الأمور هنا؟ هل يثق بها أي من الأولاد؟ كل هذا وهو يفكر في سكين اللحم التي أُعيدت مرة أخرى إلى مكانها.

خرجوا من الغرفة وصعدوا السلالم إلى الطابق الثالث حيث غرف الأطفال القديمة، هناك ثلاث غرف واسعة هنا في الأعلى، وغرفة ألعاب سابقة، وحمامين. لقد أُفرِغوا من أي شيء يخص طفولة أبناء آل مرتون، وحُولوا إلى غرف ضيوف جذابة، وأُعيد تزيينهم ليبدو أنه لم يكن هناك أي أطفال. كل هذا جعل رايس يفكر في منزله المزدهم ويتساءل أين ذهبت كل أغراضهم: الصور، والمعدات الرياضية، والكتب، ومشاريع المدرسة، ومجسمات الليجو، والعرائس، ودمى الحيوانات المحشوة. هل خُزِنُوا بعيداً في مكان ما في القبو؟ قالت بار: «يبدو أنهما لم يكونا عاطفيين بتاتاً».

13

كان لدى جينا الطريق بأكمله من مدينة نيويورك لتفكر فيما حدث. إن والديها ميتان، وهذا يغير الأمور بشكل جذري لهم جميعًا.

فكرت أولاً كيف سيؤثر الأمر عليها، ستحصل على ثلث تركة والدها. هذا مال كثير. لا تعلم تحديدًا المدة التي سيستغرقها الأمر لتسوية التركة وبيعها. تعلم فقط أن الأمر يستغرق بعض الوقت، لكن كم من وقت؟ من المفترض أن تستمر الإعانة التي تحصل عليها في الوقت الحالي حتى تحصل على حصتها. ستصبح غنية. يمكنها شراء مكان في مدينة نيويورك، شقة صغيرة ربما، على الجانب الشرقي السفلي للمدينة.

فكرت في دان بعد ذلك، من بين ثلاثتهم هو الأضعف، عاطفيًا وعقليًا، لطالما تساءلت هل كان ذلك بسبب طريقة نشأتهم، أم هل هو فقط ولد هكذا. جميعهم مختلفون تمامًا مع أنهم نشؤوا في الأسرة اللعينة نفسها. لكنهم لم يعاملوا بالطريقة نفسها، لذا هناك هذا الأمر. ربما ندوب دان لها جذور أعمق. لكن والدهم لن يستطيع جرحه بعد الآن، سيصير غنيًا، ولن يكون عليه العمل أبدًا إذا لم يُرد ذلك.

من المضحك كيف أصبحوا جميعًا. كاثرين، الكبرى، هي أكثرهم تقليدية. كادّة في عملها، ومحافضة، ولا تريد إثارة المتاعب، بالطبع أصبحت طبيبة، بالطبع تريد المنزل، إنها تريد أن تصبح والدتهم. حسنًا، ربما هذا قاسٍ بعض الشيء.

يعتقد الجميع أن كاثارين غير مؤذية، لكن حينما تعرف أفضل.

يعتقد الجميع أيضًا أن دان قد أُتيحت له جميع الفرص لينجح، لكن حينما تعلم أن هذه ليست الفكرة حقًا. الفكرة أكثر أن والدهم كان يفسد الأمر عليه في كل مرة. لم تكن أهمهم تهتم بهم بالقدر الكافي. كان من الممكن أن تكون حنونة أحيانًا، ومرحة من وقتٍ لآخر، لكنها كانت تختفي بكل بساطة إذا ما أصبحت الأمور أكثر تطلبًا، أو صعوبة، أو حدة. ليس الأمر أنها تذهب إلى مكان ما، كانت فقط تختفي داخل نفسها. كان بإمكانها فصل نفسها عن أي موقف. وبووف، تختفي. لم تتصدَّ يومًا لوالدهم؛ لقد فشلت في حمايتهم وهم يبغضونها لذلك. فكرت حينما كيف كان الأمر مثيرًا للشفقة حقًا، كيف كانوا جميعًا يتوقون إلى اهتمام والدتهم، كيف أنهم استمروا في اللجوء إليها، رغم معرفتهم أنها ستخذلهم. لقد كرهوا جميعهم والدهم. وإنها سعيدة بموته. وهي متأكدة من أن الآخرين يشعرون بالمثل.

الأمر مريع، الطريقة التي ماتا بها. لكنه للأفضل حقًا. كثير من الأموال، وهي بحوزتهم الآن. لو لم يُقتل والداهم، لكانا على الأرجح سيعيشان لوقتٍ طويل.

وبينما كانت تقود شمالًا على الطريق السريع نحو أيلسفورد، ومدينة نيويورك تختفي من ورائها، بدأت التفكير في چاك. لم تترك هي وچاك المنزل مباشرة بعد رحيل الآخرين يوم الأحد. لقد جلسا وقتًا أطول، وحدث هناك شجار، اتصلت بچاك بينما كانت تغادر شقتها في طريقها إلى سيارتها، كانت تبكي طوال المكالمات بسبب كيف كانت كلماتها الأخيرة مع والديها قاسية، وكيف هي نادمة على الأمر، ثم قالت إنه سيكون من الأفضل ألا يعلم أحد بشأن هذا الشجار، والأفضل أن يقول، إذا ما سأل أحد، إنهما غادرا مباشرة بعد الجميع، وإنه كان معها طوال الليل. سيكون هذا أسهل.

كان چاك داعمًا لها، وأخبرها ألا تقلق. إنه يتمتع بتلك الخصلة الرجولية الحمائية التي تحبها نوعًا ما.

إنها تتذكر الليلة التي تقابلها فيها منذ قرابة الأسابيع الثلاثة في ملهى ليلي مطمور صاحب بالأغاني، كانت قد ذهبت إلى مدينة نيويورك للاحتفال مع أصدقائها، سكرت بسبب تعاطيها المخدرات، وإفراطها في الشرب، لكنها تعلم أنها بدت جميلة في حلبة الرقص المكتظة. تحب الاستمتاع بوقتها؛ تعترف أنها مُتعيّة بعض الشيء. لمحته يشاهدها من أحد جوانب

المكان. ذهبت مترنحة إلى المَشْرَب، وابتاع لها مشروبًا، خمنت من رائحته -طلاء وتربنتين- أنه فنان، ووجدت نفسها منجذبة إليه على الفور. لقد كان مثيرًا، وذا مظهر كئيب، ولم يتحدث كثيرًا، وأراد أن يأخذها إلى المنزل معه. كانت أكثر من موافقة، لكنها لم تكن مستعدة للمغادرة، أخبرته أن ينتظرها ورجعت مرة أخرى إلى حلبة الرقص مع أصدقائها. تحب تخطي الحدود، تحب أن يكون هناك ردة فعل. إنها فنانة في نهاية المطاف؛ من المفترض أن تتحدى الأوضاع الراهنة. كانت تعلم أنه يشاهدها. الجميع كان يشاهدها، وعندما حاول الحارس إزعاجها، توجه چاك إليها، ولف معطفه الجلدي حولها -قميصها كان ملقى في مكانٍ ما مُداسًا تحت الأقدام- وأخذها إلى منزله.

كانت مستغرقة في أفكارها إلى حد أنها وصلت إلى حي دان في أيلسفورد قبل أن تُدرك ذلك. وربما كانت تضغط دواسة البنزين على آخرها قلقة من أن تصل إلى هناك، رأت سيارة كاثرين على الممر الخاص بمنزل دان ولمحت سيارة تيد على الشارع، لا بد وأنهما وصلا منفصلين. لاحظت سيارة أخرى متوقفة عند الشارع، إنها سيارة إيرينا القديمة البالية، ثم رأت سيارة أخرى تعرفها وشعرت بموجة من الغضب. إنها تخص عمته أودري، أخت أبيها المزعجة. ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟ إنهم لا يريدونها هنا. ليس بعد.

صفت سيارتها عند الشارع وصعدت الممر. كان يمكنها رؤيتهم من خلال النافذة الكبيرة متجمعين في غرفة الجلوس. لم تكلف نفسها عناء طرق الباب، ودلفت إلى الداخل مباشرة. كانوا ينتظرونها.

حين دخلت الحجرة، بدا واضحًا أنها قاطعت حديثًا ما، كانت كاثرين تجلس على أحد الكراسي ويبدو على وجهها التوتر، وتيد بجوارها يجلس على كرسي سفرة سُحب ووضع بجانبها، أما ليزا ودان فكانا يجلسان معًا على الأريكة ويتشاركان النظرة القلقة ذاتها، وإيرينا كانت تجلس على كرسي آخر جامدة الوجه، وكانت أودري تجلس على كرسي سفرة آخر سُحب ويبدو أنها قُوطِعت في أثناء قول شيء ما.

قالت كاثرين واقفة: «چينا! (وذهبت وعانقت چينا سريعًا قائلة) لقد جئتِ إلى هنا سريعًا».

نهضت إيرينا وعانقت چينا أيضًا، عقدت أودري ذراعيها حول صدرها، يبدو أنها انزعجت من رؤية چينا، لكن مع ذلك يبدو عليها الانتصار. ما الذي يحدث هنا؟ أحضرت ليزا كرسيًا آخر من غرفة السفرة، وجلست چينا، خيم

سكون حاد على الغرفة حتى قالت كاثرين: «كانت أودري تخبرنا تَوًّا أن والدنا غير وصيته قبل موته».

أجالت أودري ستانك ناظرها حول الغرفة وهي تشاهد كل هؤلاء الأولاد المدللين، والمتعجرفة، والمستحقة، والمتأكدة للغاية من أنهم سيحصلون على ما يظنون أنهم يملكونه. لكن الآن، حان دورها. إنها من ستحصل على ما ينبغي أن يأتي إليها. وعلى الرغم من الظروف، لم تستطع كبح ابتسامتها. كانت جينا ترمقها الآن بعداء صريح. جميعهم لم يكونوا سعداء برؤيتها، حتى لو حاولوا محاولات مبدئية واهية أن يتظاهروا بعكس ذلك. لكن فريد كان أخاها الوحيد، كان العائلة الوحيدة المتبقية لها بجانب ابنتها. بينما لا تعتبر بقيتهم عائلتها.

تحدثت جينا بصوتٍ يخلو من المشاعر: «ما الذي تتحدثون عنه بحق الجحيم؟».

رمقتها أودري بنفور. إنها لم تكن على وفاق قط مع جينا التي تفعل ما يحلو لها دون أي اعتبار صارخ لتأثير ذلك على الآخرين. لكنها الآن تستمتع بسحب البساط قليلاً من تحت قدميها، حتى إنها لم تكلف نفسها عناء تخبئة سرورها وهي تقول: «في الواقع، لقد حدث ذلك الأسبوع الماضي».

شاهدت أودري عيني جينا وهما تنظران باضطراب إلى كاثرين ثم إلى دان. كانت أودري قد أَلْقَتْ تلك الأخبار الصادمة على الآخرين قبلاً، ونجم عنها ردة الفعل المضطربة نفسها من قبلهما.

قالت جينا إلى كاثرين: «ما هذا بحق الجحيم؟».

استاءت أودري من افتقار جينا للآداب لتوجّه السؤال إليها. حسناً، دائماً ما كان الوضع هكذا، أليس كذلك؟ لطالما عاملوها غريبة غير مرحب بها، متطفلة، قريبتهم الفقيرة التي لا تنتمي إلى ناديهم الصغير، وكان الأمر يغضبها. إذ لا فكرة لديهم عما مرت به مع أخيها، وماذا فعلت من أجله.

نظرت كاثرين إليها، وقالت: «أخبريها يا أودري ما أخبرتنا به».

رجعت أودري للخلف في كرسيها، ووضعت ساقاً فوق الأخرى. ستخبرهم مرة أخرى، هذه المرة من أجل جينا. على الرغم من أن الأمر مريع وقاسٍ، ما حدث لفريد وشيلا، لكن لا يمكنها منع نفسها من الابتسام قليلاً، فهذه لحظتها أخيراً.

- زرت والدكم يوم الاثنين الأسبوع الماضي، اتصل بي وأخبرني أن آتي إلى المنزل، أجرينا مناقشة طويلة، وأخبرني أنه سيغير وصيته، وأنه سيقابل والتر وسيفعل الأمر في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، بالنسبة إلى إجمالي تركته، سيذهب نصفها إليّ والباقي سيُقسَّم بين بقيتكم، أما شيلا، فلديها بالفعل قدر هائل يكفي لتعيش عليه حتى مماتها، وأن ترحل متى شاءت.

صرخ دان بشكلٍ عنيف من فوق الأريكة: «إنني لا أصدق ذلك! لمَ قد يفعل هذا؟».

أجابته أودري بحزم وهي تنظر إليه: «هذا ما أراه. وهناك الكثير متبقي لكم».

لكنها تعلم أنهم جشعون ويريدون أكثر ما يمكن لأنفسهم، ولا يريدون لها الحصول على أي شيء.

قالت جينا: «إننا لا نصدق هذا. إنك تخلقين الأمر! لطالما أردتِ الحصول على أموال والدي».

أرادت أودري أن تذمها قائلة: اسمعوا من يتحدث، إنها العاهرة الجشعة. لكن بدلاً من ذلك، أخذت نفساً عميقاً، واتسعت ابتسامتها أكثر من ذي قبل، وقالت: «إن والدتكم كانت هناك أيضاً. لم تحب الأمر هي الأخرى، لكن لم يكن هناك شيء يمكنها فعله، كانت قد وقَّعت بالفعل عقداً بما حصلت عليه السنين الماضية. وعليه، يمكن لأبيكم فعل ما يحلو له».

انفجر دان قائلاً بغضبٍ وهو يقف فجأة: «إن هذا لا يُصدق!» مما جعلها تجفل في مكانها. وتدخلت كاثرين قائلة: «لنهدأ جيمعنا من فضلكم. اجلس يا دان!».

جلس دان مرة أخرى على الأريكة، ثم تابعت كاثرين وهي تنظر بتمعن لأودري: «على حد علمي، سأكون أنا القائمة على توزيع تركة والدي، سأتصل بالتر لأعرف ما تحتوي عليه الوصية. إنني متأكدة من أنها لن تحتوي على أي مفاجآت. لكنني لن أفعل هذا الأمر في الحال. إن والدينا قد قُتلا تَوًّا، كيف سيبدو الأمر؟».

فكرت أودري: هذه كاثرين حقاً، دائماً مهتمة بكيف ستبدو الأمور، النقيض التام لأختها. لكنها محقة، سيكون من غير الملائم تماماً أن يتصلوا

بالمحامي بعد ساعات قليلة من اكتشاف الجثتين. أخذت ترمقهم جميعاً بكراهية. لطالما كانوا أطفالاً مدللين، ولم يتغير شيء وهم كبار.

يمكن لفريد أن يكون قاسياً، إنها تعلم هذا الأمر تماماً كأَيِّ شخص. لكن أودري هي أخته الصغرى وهي الوحيدة التي تعلم حقيقته، ثم أخذت تنظر حول الغرفة إلى كلِّ منهم، إلى دان، وكاثرين، وچينا. ذكرت الأخبار على الراديو أنها كانت جريمة سرقة عنيفة، لكن ماذا إن لم تكن كذلك؟ ماذا إن كان واحد منهم هو من فعل ذلك؟

باتت تبصرهم الآن بعينين جديدتين، فهي لم تفكر في الأمر حقاً من قبل. لكنها باتت تفكر الآن في جينات الأسرة؛ الخصلة السيكوباتية التي تسري في عائلة مرتون، وتساءلت إذا ما كانت مستترة داخل واحد منهم. وأخذت تفكر بقلق في أنها ربما يجب أن تكون أكثر حذراً.

14

خرجت روز كاتر في وقتٍ مبكر بعد الظهيرة من مكتبها الأرضي في «شارع ووتر» لشراء قدح من القهوة. هناك ماكينة لصنع القهوة في المكتب، لكنها متوترة بعض الشيء وتريد أن تخرج في تمشية خفيفة، دخلت مقهاها المفضل، وأخذت تنتظر بفارغ الصبر الصف القصير أمامها، وبينما تنتظر اللاتيه خاصتها، رأت على التلفاز المفتوح ذي الصوت المكتوم وراء منضدة البيع الخاصة بالمكان صورًا لقصر يملؤه رجال الشرطة وقرأت النص الظاهر أسفل الصور:

«العثور على فريد وشيلا مرتون مقتولين داخل منزلهما».

وبينما تلتقط قهوتها لتعود إلى مكتبها مرة أخرى، أخذت يداها ترتعشان ولم تستطع جعلهما تتوقفان عن ذلك.

بعد أن أنهيا المنزل، جاب رايس وبار المنطقة المحيطة بمنزل الزوجين مرتون بحثًا عن أي شخص يمكن أنه قد رأى أي شيء في وقت جريمتي القتل، وصلا إلى المنزل الموجود على الجانب الشرقي من منزل الزوجين مرتون، والذي يطل بدوره على مدخل طويل خاص، وحين نزل رايس من السيارة، لاحظ أنه لا يمكن رؤية منزل الزوجين مرتون إطلاقًا من هنا. إن فناءات المنزلين ضخمة، والمسافة بينهما بعيدة للغاية، بالإضافة إلى وجود صف من الأشجار الكثيفة بينهما.

رن رايس جرس الباب بينما أخذت بار تستطلع المكان.

فتحت الباب امرأة تبدو أنها في الستينيات من عمرها، وبدأ عليها القلق حين رأتهما، أظهرتا شارتيهما وقدمتا نفسيهما. قالت لهما المرأة: «لقد شاهدت الأخبار».

قال رايس مقترحًا: «هل لنا بالدخول؟».

هزت رأسها وقادتهما إلى غرفة معيشة كبيرة، ثم أخرجت هاتفها الجوال من جيب معطفها وأرسلت رسالة نصية إلى شخص ما، ثم نظرت إليهما وقالت: «فقط أخبر زوجي أن يأتي وينضم إلينا».

وسرعان ما نزل رجل السلم ودلف إلى غرفة المعيشة، وقدمتا نفسيهما على أنهما «إدجر وچون ساكس».

سأل رايس: «هل سمعتما أو رأيتما أي شيء خارجًا عن المألوف في ليلة أحد الفصح، أو باكراً من صباح يوم الاثنين؟».

نظرت السيدة ساكس إلى زوجها وهزت رأسها نافية، وقالت: «لا يمكننا رؤية الجيران أو سماعهم من هنا».

قال زوجها موافقًا: «إن الأجواء ساكنة للغاية وشديدة الخصوصية هناك. لم ألحظ أي شيء».

أمالت السيدة ساكس رأسها لثانية وكأنما تذكرت أمرًا وقالت: «لقد رأيت شاحنة غريبة لم أرها من قبل تمر من هنا خارجة من عند طريق منزل الزوجين مرتون».

- في أي وقت كان ذلك؟

- لا أعلم، كنا قد أخلدنا إلى النوم. لكنني استيقظت لأن ساقِي كانتا تؤلمانني ونهضت لأتناول مضادًا للالتهابات، وبالمصادفة نظرت من الشباك الأمامي لغرفة النوم ولمحت الشاحنة. لكن لا فكرة لدي كم كانت الساعة حينها. آسفة.

- في أي وقت تخلدان إلى النوم؟

- قرابة العاشرة. هذا يعني أن هذا الأمر كان في وقت ما بعد ذلك. عادةً ما أستيقظ في الليل لأتناول شيئًا لساقِي.

- كيف كانت الشاحنة تبدو؟

- كانت مختلفة تمامًا عن أنواع الشاحنات التي نراها في الجوار. إنني أعلم نوع السيارات التي يقودها الجميع، ولا يملك أحد شاحنة كترك، وجميعنا نستخدم خدمة البستنة نفسها، ذات شاحنات بيضاء، ولم تكن تشبه أيًا منها. كانت داكنة اللون، ربما سوداء، وكان هناك رسوم على شكل السنة لهب صفراء وبرتقالية على طول جانبها مثل تلك السيارات القديمة الخاصة بألعاب Hot Weels.

شكرهما رايس على وقتهما، وتحدث هو وبار مع الجيران الآخرين. هناك منزل واحد فقط يقع على الجانب المقابل لمنزل آل مرتون، وبذلك ينتهي الطريق هناك. وأخبروهما أنه لم يكن هناك أي زوار في تلك الليلة، ولم ير أي شخص هناك أو في المنازل المجاورة شاحنة بتاتا، وللحظة تساءل رايس إذا ما كان أمر الشاحنة من نسج خيال السيدة ساكس، وتطوع أحد الجيران قائلاً إنه قد رأى سيارة چينا مرتون الميني كوبر تمر أمام المدخل الخاص بمنزله خارجة من طريق آل مرتون حينما كان يتجول مع كلبه ليلة عيد الفصح بعد الساعة الثامنة بوقت قليل، دونت بار ذلك، ثم رجع رايس وبار إلى مركز الشرطة. لقد تجاوز الوقت منتصف الظهيرة، وكلاهما يتضور جوعاً، لذا توقفا في طريقهما عند مطعمهما المفضل وابتاعا قهوة وسندوتشات لحم بالجبن لرايس وسلطة دجاج لبار.

راقبت كاثرين عبر النافذة الأمامية الكبيرة لمنزل دان وليزا أودري بينما تركب سيارتها وترحل بعيداً، أخذت نفساً عميقاً ثم التفتت لتتأمل إليهم. جميعهم مرتاحون أن أودري قد رحلت أخيراً، لكن راحتهم يشوبها بعض القلق، وأخذوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً بقلق، رجعت كاثرين للخلف في كرسيها مُنهكة وأغلقت عينيها للحظة. وبادرت چينا قائلة: «إنكم لا تصدقونها حقاً، أليس كذلك؟ إنها فقط تقول ذلك في محاولة منها لإثارة شعورنا بالذنب لكي نعطيها بعض الأموال».

أجابتها كاثرين وهي ترفع رأسها وتفتح عينيها: «لا أعلم. إنك تعرفين كيف كان والدنا آخر مرة رأيناه فيها. لقد كان مريضاً مع جميعنا. لقد قال إنهما سيبيعان المنزل، وربما غير وصيته من أجل أودري. يا إلهي، أتمنى ألا يكون قد فعل ذلك».

قال دان بغضب: «يبدو أمرًا قد يفعله. أن يعطي نصف ثروته لشخص لا نحبه ليكون هناك مبلغ أقل لنا. (ثم أضاف بسخرية) إنه حتى لم يكن يحبها». اعترضت جينا قائلة: «حسنًا، إنني لا أصدق ذلك. إنها تخلق الأمر. لو كان غير وصيته من أجلها بالفعل، لكان أخبرنا على العشاء. كان سيستمع بذلك».

قالت كاثرين موافقة: «نقطة موفقة».

لقد اقتيدوا دائمًا، بشكل غير مباشر، إلى فهم أن التركة ستُقسَّم بالتساوي بين الأبناء الثلاثة، لكن ماذا لو تغيرت الأمور؟ وأدركت كاثرين أنها ليست متأكدة تمام التأكد مما تحتوي عليه الوصية، ثم أخذت تنظر إلى بقيتهم، وقالت بعد برهة: «انظروا إلينا، إلى الطريقة التي نتحدث بها وكأن كل ما نهتم به هو الأموال».

لم يستهوههم ما قالته، فمالت إلى الأمام وقالت: «اسمعوا، يجب أن نوحّد جهودنا».

ثم نظرت إلى إيرينا، التي كانت صامته منذ مجيء أودري لكنها أخبرتهم قبل ذلك ما حدث في مسرح الجريمة هذا الصباح، وقالت: «لقد قلت إن الشرطة تظن أنها جريمة سرقة تحولت إلى العنف، لكنهم على الرغم من ذلك سيستجوبوننا جميعًا على الأرجح».

ثم نظرت إلى كل واحد منهم تلو الآخر نظرة محذرة، حتى زوجها، وقالت: «أنصحكم أن تخفوا مشاعركم الحقيقية التي تضرمونها لأبينّا. حاولوا أن تظهروا عائلةً مستقرة، ولا تعربوا عن سعادتكم بالأموال، ولا يجب أن يتحدث أيُّ منا إلى الصحافة. هل هذا مفهوم؟».

هز الجميع رؤوسهم موافقين.

- والآن لدينا جنازة لنعدها، ويجب أن تتم بشكلٍ لائق.

وقضوا الساعة التالية في التخطيط للجنازة. يودون أن تنعقد في كنيسة «سانت بريدج St. Brigid Church»، الكنيسة التي كان يتردد عليها والداهم. إنهم يتوقعون مجيء عدد هائل من الأفراد، وسيُدفن والداها في المقابر القريبة ذات الأرضحة الكثيرة الخاصة بالأغنياء.

ستقول كاثرين، كونها الابنة الكبرى، بعض الكلمات عن والديها في الجنازة، ثم ناقشوا أيَّ مكان سيدعون الناس للذهاب إليه بعد ذلك. من

المفترض أن المكان التقليدي هو منزل العائلة؛ إنه الوحيد من منازلهم الكبير كفاية ليستوعب العدد، لكنه لا يزال مسرح جريمة، لذلك لن يستطيعوا إقامته هناك. واستقروا على نادي الجولف الذي كان يتردد عليه والداهم، ويمكنهم إعداد الطعام أيضًا، ستتصل كاثرين بهم وبالكنيسة أول شيء في الصباح. وأخيرًا، نهضت وهي تشعر بالإرهاق تمامًا لترحل. إنه لمن الصعب التصديق أن الساعة لا تزال الرابعة عصرًا، وفكرت كاثرين في أنها ستتذكر اليوم الذي عثر فيه على والديها ميتين باعتباره أطول يوم في حياتها، ولا يزال يتعين عليها التحدث إلى تيد أول ما يصلان إلى المنزل، حيث لن يستطيع أي شخص آخر سماع ما سيقولانه.

15

توجهت أودري مباشرة من المشهد البغيض في منزل دان إلى منزل صديقتها المقربة، إيلين كاتر. إنهما يعرفان بعضهما منذ عقود، منذ أن كانتا تعملان لحساب أخيها في شركته مرتون للروبوتات في أيام الشركة الأولى، وعلى الرغم من أن هذا كان منذ أمدٍ طويل، فإن إيلين تعرف فريد حق المعرفة، فقد كانت مساعدته الخاصة لعدة سنوات.

حين وصلت أودري، كانت إيلين في انتظارها فلقد سمعت بخبر الجريمتين مسبقًا من الرديو. أخذتا تتحدثان عن الخبر الصادم وهما تشربان القهوة في مطبخ إيلين المشمس. لا تعلمان كيف قُتل شيلا وفريد لأن تلك المعلومات لم تُذَّع بعد، وأخبرها أفراد العائلة أنهم لا يعلمون بعد. بدا الأمر غريبًا لأودري؛ أن تفعل شيئًا تفعله كثيرًا في العادة -وهو شرب القهوة في منزل إيلين- لكن بمناقشة شيء غريب جدًا عن المعتاد. كان من الواضح أن إيلين هي الأخرى مصدومة من خبر جريمتي القتل، وهي تعرف بالفعل أن أودري سترث نصف تركة أخيها يومًا ما لأن أودري أخبرتها بذلك. وعلى غرار أولاد فريد، إن إيلين سعيدة من أجلها. لكن لم تتوقعا كلتاها أن يتم الأمر بهذه السرعة. ربما تحدثت أودري كثيرًا عن كيف سيغير هذا الأمر حياتها. لكنها لم تستطع، على الرغم من وجود مأساة كهذه، أن تتحكم في كيف تُسعدُها مناقشة هذا الأمر. وتحدثتا عن زهابهما في رحلة معًا، ربما رحلة نهريّة، حول إيطاليا احتفالًا بأودري.

وقفت ليزا على الباب الأمامي تشاهد الآخرين وهم يرحلون، رأت إيرينا تتوقف عند سيارة كاثرين، بينما سار تيد إلى سيارته المصفوفة بعيدًا، واتكأ عليها مشعلًا سيجارة، وانضمت إليه جينا وأشعلت واحدة هي الأخرى. إنهما المدخنان الوحيدان في العائلة، وعادت ليزا بتركيزها مرة أخرى إلى كاثرين وإيرينا. إنهما يتحدثان بصوت خفيض. ما الذي تقولانه الآن ولم تتمكنا من قوله حين كانتا في الداخل؟ ثم شعرت بدان وراءها وبأنفاسه الحارة على رقبتها.

نظرت كاثرين مرة أخرى إلى المنزل حيث يقف دان وليزا يشاهدانها عند الباب، وكفت عن التحدث لإيرينا فجأة ودخلت سيارتها. وبعد ذلك، رحلوا جميعهم. كاثرين أولًا في سيارتها الفولفو، وتبعها تيد بسيارته الرياضية، ثم إيرينا في سيارتها التويوتا القديمة، وتخلفت جينا عنهم وانتظرت في سيارتها لتدخن سيجارة أخرى وتتصفح هاتفها.

دارت ليزا للخلف فجأة ولمحت تعبيرًا غريبًا على وجه زوجها، لكنه اختفى سريعًا. ما كان هذا؟ ولم تعد متأكدة مما رآته لأنه كان ينظر إليها الآن بنظرته المعهودة، أدار لها ظهره وذهب وهو يمرر أصابعه داخل شعره إلى المطبخ، تبعته ليزا، وصبت لنفسها قديمًا آخر من القهوة من الصينية، ثم استدارت، موجهة ظهرها إلى طاولة المطبخ، لتشاهده من كذب، وسألته: «هل أنت بخير؟».

جلس على أحد كراسي المطبخ، وأسند مرفقيه إلى الطاولة، وشبك يديه ببعضهما بإحكام. وقال: «لست متأكدًا».

أخذت تفكر كيف يمكنها أن تقول الأمر، ثم قالت: «أعرف أنك لم تكن على وفاق مع والدك. لكنني أعرف كم كنت تحب والدتك. لا يمكنني تصور مدى صعوبة هذا الأمر».

لم تفقد ليزا أيًا من والديها بعد، وحين تحين تلك اللحظة، فهي متأكدة من أن الأمر سيكون بالغ الصعوبة. إن علاقتها جيدة مع كليهما. أما علاقة دان بوالديه فكانت معقدة. كان قد قص عليها من قبل بعض القصص عن طفولته، وقد لاحظت منذ تزوجته ما يكفي ألا تشعر بأي ندم تجاه فريد مرتون لأنه خارج الصورة، إلا أنها حزينه على شيلا، فلقد كانت تحب حمايتها بدرجة كافية. لكن لم يستطع دان أن يتكئ عليها قط، فحبها كان دائمًا مشروطًا. ألم تستطع أن ترى كم جرح هذا ولدها؟

أصبحت الحياة مؤخرًا غير متوقعة بالمرة. لكن ما حدث سيغير الأمور. وربما سيتمكن دان أخيرًا من دفن والديه وما فعلاه به. عضت على شفتها السفلى وهي لا تزال تنظر إليه، وأخذت تتساءل إذا ما سينهار ويبدأ في البكاء. لو فعل، ستذهب إليه وتطوقه بذراعيها. لكنه بدلًا من ذلك، كان يحدق إلى الفراغ. يبدو أنه... فارغ. لم تره هكذا من قبل، وأشعرها هذا ببعض القلق. اقتربت منه وجلست بجانبه على الطاولة، وقالت وهي تضع يدها على ذراعه وتهزها قليلًا: «دان».

قال وهو ينظر في عينيها: «إنني أراهما طوال الوقت».

واكفهر وجهه لثانية. رجعت للخلف وقالت: «ماذا تقصد؟».

قال بصوت يهتز: «أتخيلهما كما قالت إيرينا؛ أُمي وهي مختنقة، وأبي وهو مذبح ومطعون عدة مرات».

ثم عاد ينظر بعينيهِ اللامعتين في عينيها، وقال: «أتخيل كم كان هذا مؤلمًا».

أمسكت يده بقوة على الطاولة. وهي تشعر بالغثيان قليلًا، وقالت تحته: «حاول ألا تفكر في الأمر. ولا يمكنك التفكير في ذلك، لأن الأمر انتهى. إنهما لا يشعران بأي ألم الآن. يجب أن نتطلع إلى المستقبل، ستصير الأمور أفضل لنا الآن».

لم تنوِ قول ذلك لأنه ليس مناسبًا حقًا لكن زل لسانها وقالت: «فور أن تحصل على ميراثك، لن يكون هناك داعٍ للقلق بشأن الأموال بعد ذلك. فكر كيف سيصبح كل شيء أفضل».

هز رأسه موافقًا وهو صامت. متشجعة من ردة فعله، مالت إلى الأمام قليلًا، وقالت بصوت رقيق: «ربما يجب علينا أن نسافر كما أردنا دائمًا. أعرف أنه لم يكن باستطاعتنا فعل ذلك قط في الماضي، حين كنت تعمل مع والدك. ولكن قد تكون هذه بداية جديدة لنا».

وضع يده أعلى يدها وقال: «نعم، بداية جديدة».

وقبلها. كانت لحظة سعيدة حتى توقف فجأة عن تقبيلها قائلاً: «لكن...».

- لكن ماذا؟

قال دان والقلق يبدو عليه: «ماذا إن كان والدي قد غير وصيته؟ لطالما ظننا أن التركة ستقسم بالتساوي بين ثلاثتنا. ماذا إن حصلت أودري على

النصف كما تقول؟ أو ماذا إن لم أحصل على شيء بتاتاً؟ بعد كل ما فعلت، وبعد كل ما بذلت من جهد طوال تلك السنين؟».

قالت تطمئننه: «إن فريد لم يكن ليفعل ذلك».

لكن الأمر أخافها. هل كان ليفعل ذلك؟ أخذت تفكر وهي تعود بذاكرتها إلى ما حدث في ليلة عيد الفصح المريعة.

قال دان: «وسيكون هناك تحقيق، وستأتي الشرطة إلى هنا وتطرح الأسئلة ليعرفوا المزيد عن العائلة، وسيكون هذا مريعاً».

يبدو أنه منفعّل للغاية، فكرت ليزا ثم قالت: «يجب فقط أن تتمالك نفسك يا دان، ستتخطون جميعكم هذه المحنة. وأنا هنا من أجلك».

لكن وجهه كان لا يزال قلقاً، ثم قال: «سأتصل بوالتر. إنني لا أهتم بكيف ستبدو الأمور».

ونهض وترك الغرفة، ثم طراً على تفكيرها أمر لم تكن قد فكرت فيه من قبل إلا الآن. كان قد خرج مرة أخرى ليلة الجريمة بعد العشاء للتجول بسيارته، ومكث مدة طويلة، مكثت في الفراش مستيقظة تنتظره، لكنها في النهاية غطت في النوم. ماذا إن سألتها الشرطة عن هذا الأمر؟

أجفلها صوت فتح الباب الأمامي في مكانها، خرجت من المطبخ ورأت جينا في الردهة. لم تكن قد رحلت مع البقية.

قالت ليزا: «إن دان يتصل بوالتر بشأن الوصية».

ثم التفتت وصعدت السلالم إلى مكتب دان، وتبعته جينا مسرعة.

16

كان تيد يبعد عن كاثرين بضع لحظات خلفها في سيارته. إنه ممتن لأنهما سيجلسان معًا بمفردهما. هناك الكثير ليفهمه. إن فريد وشيلا ميتان، وسيكون هناك تحقيق في جرائم القتل، وكذبت زوجته على الشرطة. لماذا تحاول أن تخفي أنها ذهبت إلى هناك في تلك الليلة؟ لمَ لا يمكنها قول ذلك؟ إن والديها كانا بخير حين تركتهما. لماذا إذاً لا تريد أن يعرف أحد بالأمر؟

صف سيارته في المدخل الخاص أمام المنزل ودخل، كانت كاثرين جالسة على الأريكة في حجرة المعيشة في انتظاره بعينين منكستين تنظران إلى الأسفل، وقف عند مدخل الحجرة، وقال: «ما الأمر يا كاثرين؟ ما الذي يحدث؟».

- اجلس!

دخل الغرفة وجلس بجانبها على الأريكة وهو ينظر إليها بقلق، قالت وهي تعقد يديها بقوة: «أعتقد... أعتقد أنني قد ارتكبت خطأ».

وبدأ يختفي الثبات الذي كانت تظهره في منزل دان وهي تتابع: «سألني المحققان إذا ما تواصلت مع والديَّ بعد عشاء عيد الفصح يوم الأحد وأخبرتتهما بالنفي».

قال وهو لا يفهم: «لَمَ فعلتِ ذلك؟».

قالت وهي تهز رأسها وكأنها هي الأخرى لا تستطيع أن تفهم لم فعلت ذلك: «لا أعلم. لقد كان تصرفاً أحمق. قلت لا فقط. أعتقد... أعتقد أنني لم أرد أن ينظروا إليّ وكأنني مشتبه بها».

وقف تيد في دعر ونظر إليها قائلاً: «كاثرين، هذا سخيف! لم قد يشتبهان بك؟ لقد كانت جريمة سرقة».

نظرت إليه وبدأت مضطربة أكثر من أي وقت مضى، وقالت وصوتها يعلو: «إنك لم تكن هناك حين كانا يخبرانني، والطريقة التي نظروا بها إليّ وكأنهما متشككان».

ثم بدأت في التحدث بشكل أسرع وتدفقت كلماتها: «سيعتقدان أنه فرد من العائلة، وسيشتبهان فينا جميعاً عاجلاً أم آجلاً بسبب الأموال. لم أرد أن يعرفا أنني ذهبت إلى هناك في تلك الليلة لأن الأمر سيبدو... سيئاً».

قال وهو يهز رأسه معترضاً على كلامها: «الأمر لا يبدو سيئاً. إنك فقط أردتِ التحدث إلى والدتك. يجب أن تخبري الشرطة بذلك».

قالت وهي تنظر إليه بعينين وحشيتين بعض الشيء: «لا، لن أفعل. لا أستطيع أن أخبرهما الآن. ليس بعدما كذبت عليهما!».

قال معترضاً ويبدو عليه القلق أكثر من ذي قبل: «ماذا لو اكتشفا الأمر بطريقة ما؟ سيبدو الأمر أكثر سوءاً».

- ماذا في ذلك! سأخبرهما أنني قد نسيت أنني ذهبت إلى هناك في تلك الليلة؟ أو أنني سهوت؟ أو أخبرهما بأن كل شيء كان على خير ما يرام وأني تحدثت مع أمي ورحلت؟ لكن ماذا إن لم يصدقاني؟

- كاثرين! لم قد لا يصدقانك؟ تأملي ما تقولينه! لا يمكن أن تكوني جادة حقاً في أنهما سيشتبهان في أنك قتلت والديك!

نهضت واقفة وأخذت في السير بشكل مضطرب داخل الحجرة، ثم التفتت إليه أخيراً وقالت: «أخبرتني إيرينا شيئاً أمام السيارة حين كنا على وشك الرحيل، أرادت أن تنبهني».

- ماذا؟ ماذا قالت؟

- قالت يبدو أن المحققين يعتقدان أنه قد يكون شخصاً يعرفه والداي. سأل قلقاً: «لم قد يعتقدان هذا؟».

- لقد سمعتهما يقولان إنهما يعتقدان أن الأمر يبدو شخصيًا.
قال لها تيد: «لقد أخبرتنا أنهما يظنان أنها جريمة سرقة تحولت إلى العنف».

سكتت لبرهة ثم قالت: «وأخبرتني أنهما يبدوان مهتمين للغاية بالميراث». توجه تفكيره، من تلقاء نفسه، مباشرة إلى دان بالتأكيد...
ثبتت ناظريها عليه وقالت بجدية شديدة: «لا أريد لهذين المحققين أن يعرفا أنني كنت هناك في تلك الليلة. ودان وچينا أيضًا لا يمكنهما معرفة ذلك، وأني أخفيت الأمر عن الشرطة».

- لم لا؟

قالت وهي تدير عينيها: «أنا لا أثق بهما».

بعد رحيل أودري، جلست إيلين كاتر وقتًا أطول في المطبخ تحديق إلى قهوتها وتفكر في جريمتي القتل، ثم نهضت وألقت قهوتها الباردة في الحوض. إن جريمة قتل فريد وشيلا مرتون جريمة مريعة للغاية إلى حد أنها لا تستطيع تصديق الأمر. إنها لا تعلم قط أي شخص قُتل من قبل. إنه شيء يحدث للغرباء على الأخبار. إنه أمر رائع لأودري بالتأكد، ستصير ثرية. دون أن تضطر إلى الانتظار طويلًا حتى تحصل على الأموال، ثم بدأت إيلين تفكر في كاثرين مرتون، التي تعد واحدة من أصدقاء ابنتها المقربين. لا بد وأنها صدمة لها ولأخويها. سيصبحون أثرياء الآن، على الرغم من أنهم لن يصبحوا أثرياء كما كانوا يتوقعون. تساءلت إيلين إذا ما سمعت روز بالأخبار بعد، والتقطت الهاتف لتتصل بها.

داخل مركز شرطة أيلسفورد، أعد رايس وبار فريقًا مختصًا ليتولى جريمتي قتل الزوجين مرتون. سيقدم قسم الدوريات بعض المساعدة، لكن معظم التحقيقات ستحدث بواسطتهم، لأن قسم الدوريات ليس بقسم كبير، وكلف رايس فريقًا صغيرًا ليفتش المنطقة المحيطة بمنزل الزوجين مرتون بحثًا عن أي دليل على ثياب ملطخة بالدماء تخلص القاتل منها، أو الأداة التي استخدمها لخنق شيلا مرتون، وسيبدؤون في التوسع تدريجيًا ليشملوا

نهر هدرسون القريب، ومناطق الغابات، والنفائات المحلية، ونشروا نشرات
شرطية خاصة بمواصفات الشاحنة الصغيرة التي يحاولون العثور عليها.
أخذوا يتفقدون كل المعلومات العامة التي وجدوها عن العائلة، لكن لا
يوجد الكثير. كان فريد مرتون رجل أعمال ناجحًا للغاية، وغطّي هو وشركته
كثيرًا في الإعلام. لكن لا يوجد الكثير عن عائلته. يبدو أنهم شديداً الخصوصية،
وأخذ رايس يتساءل عما يمكن أن يكون لديهم من أسرار.

17

اصطحب رايس بار في سيارته إلى إحدى مناطق أيلسفورد الراقية، منطقة ذات منازل مستقلة خاصة بالأطباء، والمحامين، والمديرين التنفيذيين وتطل على شوارع مرصوفة بالأشجار. إنها منطقة راقية، لكنها لا تضاهاي بريكن هيل. قالت بار: «الأغنياء على قناعة تامة أنهم لا يملكون ما يكفي دائماً ما يريدون أكثر».

قال رايس وهو يبتسم: «تعرفين الكثير من الأغنياء، أليس كذلك؟». أقرت: «ليس تماماً، لا».

أوقف رايس السيارة في الشارع أمام منزل دان وليزا مرتون. إنه منزل جميل يتألف من طابقين من الطوب الأصفر، ويبدو عليه الصيانة الجيدة كبقية العقارات هنا. هناك حديقة أمام المنزل ممثلة بالشجيرات وأزهار الربيع تحت نافذة كبيرة تطل على حجرة المعيشة، توجه رايس وبار إلى الباب الأمامي وطرقا الباب، فتحت الباب امرأة جذابة صغيرة البنية بشعر بُني وعينين بُنيتين، سأل رايس: «ليزا مرتون؟».

هزت رأسها وبدا عليها القلق، أظهر رايس شارته وقال: «أنا المحقق رايس وهذه المحققة بار. هل لنا بالدخول؟».

كان بإمكانه سماع صوت التلفاز آتياً من مكان ما، قالت ليزا وهي تفسح لهما ليدخلا: «نعم بالطبع».

ثم لفت رأسها ونادت: «دان!».

ظهر دان مرتون في الردهة الأمامية. إنه رجل متوسط القامة والبنية وله شعر أسود كثيف. يبدو مظهره عاديًا للغاية. خلفه مباشرة، تقف امرأة في منتصف العشرينيات من عمرها على الأرجح، طويلة ورشيقة ومنتشحة بالأسود من رأسها إلى أخمص قدميها. إن مظهرها لافت للنظر إلى حد ما، رفع رايس شارته مرة أخرى وكرر المقدمة ذاتها، ثم قال: «هل أنت دان مرتون؟».

هز دان رأسه بالإيجاب، وتطوعت المرأة الأخرى قائلة: «وأنا جينا مرتون». لاحظ رايس أنها لا تشبه أختها الكبرى أبدًا، والتي على نقيضها، محافظة بعض الشيء. وتذكر العقد اللؤلؤي حول عنق الأخت الكبرى الظاهر تحت معطفها الأبيض الخاص بالأطباء. أما جينا فلديها خصلة بنفسجية اللون في شعرها الأسود وكحل كثيف حول عينيها، ولا علامة على فساد مساحيق وجهها بسبب دموع أذرفت مؤخرًا. قال رايس مقترحًا: «هلا جلسنا؟».

قالت ليزا مرتبكة: «بالطبع».

وقادتهم جميعًا إلى غرفة المعيشة حيث شغل كل واحد منهم مقعدًا، جلس رايس وبار على الكرسيين بينما جلس ثلاثتهم على الأريكة، استهل رايس الحديث قائلاً: «إنني آسف حقًا لخسارتكم».

وسكت برهة ليراقبهم بتمعن، يبدو دان مرتون متوترًا، بينما أخته أقل توترًا، وتراقبه بالإمعان ذاته الذي يراقبها به، ثم قال رايس: «إننا نحقق في جريمتي قتل والديكما».

قال دان سريعًا: «إننا نريد منكم الإمساك بمن فعل هذا الأمر المريع في أسرع وقت ممكن. ما زلت لا أستطيع أن أصدق. أقصد... أننا جميعًا مفطوري القلب».

- إننا نريد طرح بضع الأسئلة فقط حاليًا، لأننا كما تعلمون، قد تحدثنا بالفعل قليلًا مع أختكما كاثارين.

- بالطبع.

وأخذ دان يستعد لدوره في الإجابة وكأنه في برنامج للمسابقات، سأل رايس وهو ينقل ناظريه بين دان وجينا: «هل تعلمان إذا ما كان لوالديكما أي أعداء؟».

كرر دان بتوتر: «أعداء؟ لا».

- رجاءً فكرا في الأمر ملياً. لقد كان والدكما رجلاً ثرياً ورجل أعمال ناجحاً على حد علمي. ربما قد أغضب أحدهم؟
- هز دان رأسه نافيّاً، وقال: «لقد كان عمل والدي فوق الشبهات أيها المحقق. كنت سأعلم لو كان هناك شيء، فلقد عملت هناك. وكنت فعلياً ذراعه اليمنى، وإلى جانب ذلك، كان متقاعدًا، فلقد باع الشركة منذ عدة أشهر».
- فهمت. هل تعلمان إذا ما كان هناك شيء يزعج أيّاً من والديكما مؤخراً؟ هل كانا قلقين حيال أيّ شيء؟
- هز دان رأسه نافيّاً وقطب جبينه، ثم نظر إلى أخته وهو يقول: «ليس على حد علمي».
- قالت أخته وهي تهز كتفها: «كيف لي أن أعلم؟ لم أكن أراهما بشكل متكرر».
- الأمر فقط هو أن والدتكما كانت بدأت في تعاطي أدوية مضادة للقلق مؤخراً.
- نظر كلاهما إليه في دهشة واضحة.
- ألا تعلمان السبب المحتمل لهذا؟
- هز دان وحيناً رأسيهما بالنفي.
- آخر مرة رأيتاهما فيها كان في عشاء عيد الفصح يوم الأحد، أهذا صحيح؟
- نعم. لقد كنا جيمعنا هناك. أنا وليزا، وكاثرين وزوجها، وإيرينا، وحيناً، و... ماذا كان اسمه مجدداً؟
- قالت چينا: «چاك».
- متى رحلتم تلك الليلة؟
- كاثرين وتيد رحلا أولاً قرابة السابعة، وأنا وليزا كنا خلفهما مباشرة، ورأيت إيرينا وهي تخرج خلفنا.
- سأل رايس ملتفتاً إلى چينا: «ماذا عنك؟».
- رحلنا بعد عدة دقائق.
- لاحظ رايس الكذبة. إنه يعلم أنها لم ترحل إلا بعد الثامنة. لكنه ترك الأمر يمضي الآن، وسأل: «هل تحدث أيّ منكما إليهما أو رأيتاهما بعد ذلك؟».

هَذَا رَأْسُهُمَا بِالْغَيْبِ.

- أَلَمْ يَبْدُ لَكُمَا أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا خَارِجًا عَنِ الْمَأْلُوفِ فِي تِلْكَ الْأَمْسِيَةِ؟ مِنْ الْمَرْجَحِ أَنَّهُمَا قُتِلَا فِي وَقْتٍ مَا مَتَأَخَّرَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

لَمْ يَتَفَوَّهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ، لَكِنْ كَانَ يُمْكِنُ لِرَايِسِ الشُّعُورِ بِشَيْءٍ قَدْ تَغَيَّرَ فِي الْغُرْفَةِ. إِنَّهُ يَرَاهُنَّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مَا حَدَثَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، سَأَلَتْ بَارَ بِالْحَاحِ: «لَمْ يَحْدَثْ أَيُّ شَيْءٍ فِي عِشَاءِ عِيدِ الْفَصْحِ؟».

أَخَذَ رَايِسُ يَفْكُرَ: لَا بَدَّ وَأَنَّهَا أَحْسَتِ الْأَمْرَ أَيْضًا. أَجَابَ دَانُ وَهُوَ يَقْطُبُ جَبِينَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَيَهْزُ رَأْسَهُ نَافِيًا: «لَا، كَانَ عِشَاءُ عِيدِ فَصْحٍ عَادِيًّا بِالْجَدِ الْرُومِيِّ وَالْكَعْكَ».

وَقَالَتْ جِينَا مُوَافَقَةً: «كَانَ كَالْمَعْتَادِ».

نَظَرَ رَايِسٌ إِلَى لِيْزَا، وَبَدَتْ مُتَجَمِّدَةً فِي مَكَانِهَا، وَنَظَرَتْهَا مُثَبَّتَةً عَلَى الْفَرَاغِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَارَ، صَمَتَ رَايِسٌ لِفَتْرَةٍ طَالَتْ حَتَّى أَشْعَرَتْ الْجَمِيعَ مَا عَدَاهُ هُوَ وَبَارَ بِعَدَمِ الرَّاحَةِ، فَقَالَ دَانُ: «عَلَى أَيِّ حَالٍ، ذَكَرْتَ الْأَخْبَارَ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ سُرْقَةً تَحَوَّلَتْ إِلَى الْعَنْفِ، وَأَنَّ أَمْوَالَهُمَا وَمَجُوهَرَاتِهِمَا سُْرِقَتْ. أَلَمْ يَكُنْ هَذَا مَا حَدَثَ؟».

- هَذَا احْتِمَالٌ وَاحِدٌ فَقَطْ.

ثُمَّ بَدَأَ رَايِسٌ فِي سُؤَالِهِمَا عَنِ الْأَمْوَالِ.

بَيْنَمَا كَانَ اللَّيْلُ يَنْسَدِلُ فِي الْخَارِجِ، جَلَسَتْ إِيرِينَا فِي مَقْعَدِهَا الْأَثِيرِ فِي بَيْتِهَا الصَّغِيرِ ذِي الطَّابِقِ الْوَاحِدِ وَهِيَ تَحْتَضِنُ قَطْعَهَا الْعَتَابِيَّ السَّمِينِ. وَهُنَاكَ رَوَايَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ لِأَنْتُونِي تِرُولُوبِ مَفْتُوحَةٌ وَمَقْلُوبَةٌ عَلَى وَجْهِهَا وَمَتْرُوكَةٌ عَلَى ذِرَاعِ الْكَرْسِيِّ. لَا يُمْكِنُهَا التَّرْكِيزُ فِي الْكِتَابِ، لَا يُمْكِنُهَا التَّفَكِيرُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فَرِيدَ وَشِيلَا، وَالْجُثَّةُ الذَّبِيحَةُ عَلَى أَرْضِيَةِ الْمَطْبَخِ الْمَمْتَزِجَةِ بِدِمَاءِ فَرِيدَ. لَقَدْ نَظَفْتَ هَذِهِ الْأَرْضِيَةَ عَدَدًا مِنَ الْمَرَّاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهَا عَلَى مَدَارِ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ، وَاعْتَادَ الْأَطْفَالُ اللَّعِبَ عَلَى تِلْكَ الْأَلْوَاكِحِ بَيْنَمَا كَانَتْ تَعْدُ الْكَعْكَ. يَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ رَائِعٍ أَنَّنَا لَا يُمْكِنُ رُؤْيَا الْمُسْتَقْبَلِ. لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَكْفَ عَنِ التَّفَكِيرِ فِيهِمْ، هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ الَّذِينَ رَبَّتَهُمْ بَيْنَمَا لَمْ يَكُنْ يَعْجَبُ بِهِمْ فَرِيدَ وَشِيلَا. مَا الَّذِي سَيَحْدُثُ لَهُمْ الْآنَ؟ سَيَكُونُ الْأَوْلَادُ بِالطَّبْعِ مَحَلَّ

اشتباه. فهناك أموال طائلة بانتظارهم. يمكن للأمور أن تصير على خير ما يرام إذا ما التزموا الصمت ولم يبدؤوا بتحريض أنفسهم على بعضهم بعضًا. من المهم ألا يكتشف المحققان كيف كانت الأمور حقًا في عائلة مرتون. لقد كانت عائلة مفككة، لكنها ظلت هناك لأن الأطفال كانوا بحاجة إليها. لقد كانت هناك، تعتني بهم، وتحميهم، وترشدهم، وتساعدهم أن يكونوا أفضل. وفي الوقت الحالي، تدخلت في مسرح الجريمة.

فور أن أوصلوا المحققين إلى الباب، ظل دان، وچينا، وليزا يحدقون إلى بعضهم بعضًا للحظة دون أن يتحدثوا وكأنه لم يرد أي شخص فيهم أن يكون أول من يبادر بإعطاء رأيه. إنهم يحتاجون إلى تفسير ما حدث تَوًّا، فعادوا من جديد إلى غرفة المعيشة، قال دان وهو يسرع الخطى في أنحاء الغرفة: «يا إلهي. إنني بحاجة إلى مشروب».

وذهب وصب لنفسه كأسًا من الويسكي عند البوفيه الذي يُستخدم بار، ثم لف رأسه ليسأل: «هل تريد إحداكما واحدة؟».

قالت كل من چينا وليزا لا، فرجع مرة أخرى إلى الأريكة وارتقى عليها، وجلست ليزا جواره. بينما ارتمت چينا على أحد الكراسي -الكرسي الذي كان يجلس عليه المحقق رايس- وقالت وهي تشاهد أخاها: «لقد كانا يؤديان عملهما، ووجب عليهما طرح الأسئلة».

قال دان: «اللعنة!».

- ما الخطب يا دان؟

- من الواضح أنهما يظنان أن واحدًا منا هو من فعلها. كل تلك الأسئلة عن كم يملك أبي من أموال ومن سيحصل عليها.

وحين أمسك بكأسه، كانت يده ترتعش قليلًا. نظرت چينا إلى ليزا، وكانت قد لاحظت الأمر هي الأخرى، قال دان: «على الأرجح سيعتقدان أنني من فعلتها. ولن يهم حينها أنني بريء بالكامل! إن الجميع يعلم كيف باع أبي الشركة من بين يدي، وحطم حياتي. سيكتشفان الأمر قريبًا جدًا. وسيكتشفان...».

ثم توقف فجأة، فسألت چينا: «سيكتشفان ماذا يا دان؟».

ونظرت نظرة إلى ليزا، التي بدت شاحبة الآن، تردد للحظة ثم اعترف:
«أنا لا نمتلك أي أموال».

تفاجأت جينا من سماعها لهذا، وتفحصته للحظة قبل أن تقول: «حسنًا،
إنك لا تعمل، وظروفك بالطبع صعبة في الوقت الحالي. سيتفهم أي شخص
هذا. لا يمكن أن تكون حقًا مفلسًا. لا بد وأن لديك بعض المدخرات. لن يظن
أنا القاتل بالتأكيد».

هز دان رأسه بانفعال، وقال: «الأمر أسوأ مما تظنين. قبل أن يبيع والدنا
الشركة وقبل أن أخسر وظيفتي، استثمرت. ومعظم مدخراتنا مقيدة به، ولا
يمكنني أن أخرج الأموال منه قبل ستة أشهر أخرى. لقد حاولت، والمتبقي
أنفقناه للعيش منه. لقد كنا نعيش من بطاقات الائتمان».

ثم صب لنفسه كأسًا أخرى، وأنهاها، ووضعها بعنف على الطاولة
الصغيرة. بدا أن ليزا تغوص أكثر في الأريكة، ولاحظت جينا أنها لا تبدو
بخير، نظر دان ببؤس إلى زوجته، وقال: «إنني آسف. إنني شخص فاشل».
ثم أمسك برأسه بين يديه.

18

عقدت شرطة أيلسفورد في التاسعة صباحًا من صباح يوم الأربعاء مؤتمرًا صحافيًا بشأن جريمتي قتل فريد وشيلا مرتون. إنه يوم ربيعي مشمس وعُقد المؤتمر في الخارج أمام المحطة. بدا الاهتمام كبيرًا، لم يقتصر الحضور على محطات الأخبار لكن أيضًا جاء عدد كبير من المواطنين القاطنين في المنطقة بأنفسهم ليسمعوا ما سيقوله، أدرك رايس أنهم يأملون في سماع أن القبض على المجرم وشيك، ستصيبهم خيبة الأمل إذا.

صعد رايس المنصة وانتظر إلى أن يهدأ التصوير ويسكن الحشد، ثم قال: «شكرًا على مجيئكم. أنا المحقق «إريك» رايس من شرطة أيلسفورد. إننا نجري تحقيقًا في مقتل فريد وشيلا مرتون اللذين قُتلا في منزلهما في بريكن هيل، وعُثِرَ على جثتيهما هناك بالأمس. وفي الوقت الراهن، نناشد المواطنين أن يخبرونا بأي معلومات يمكن أن توصلنا إلى القبض على الشخص أو الأشخاص المسؤولين عن جريمتي قتل فريد وشيلا مرتون. وإننا مهتمون تحديدًا بالحديث مع أي شخص يعرف شاحنة صغيرة داكنة اللون بألسنة لهب صفراء وبرتقالية اللون على طول جانبيها، والتي رُصدت تخرج من طريق ملكية الزوجين مرتون مساء يوم الأحد، الموافق الحادي والعشرين من شهر إبريل، (ثم أخذ نفسًا عميقًا وأكمل) إننا نحث المواطنين على الاتصال على خط المعلومات السرية، (ثم أخذ ببطء يتلو الرقم ويكرره) لن نرتاح حتى يُقدَّم مرتكبو تلك الجريمة الشنعاء إلى العدالة. شكرًا لكم».

ونزل رايس عن المنصة. بدأ الصحافيون في الصباح بطرح الأسئلة، لكن رايس أدار ظهره ودخل مرة أخرى إلى المحطة.

شاهدت أودري ستانيسك المؤتمر الصحافي على التلفاز. إنه يكشف القليل جدًا. لقد كان هناك معلومات أكثر في «صحيفة أيلسفورد المحلية» (Aylesford Record) هذا الصباح، فلقد اكتشف مراسل صحافي واسع الحيلة أن إيرينا هي من عثرت على الجثتين، وأن شيلا حُنِقتَ بينما دُبحَ فريد وطُعنَ عديدًا من المرات، لذا هي الآن تعرف، وحين قرأت هذا، وجدت أودري نفسها في صدمة. ونُهبَ المنزل وسُرقت بعض الأشياء القيمة. لم يكن هناك أي تفاصيل أكثر. حين كانت أودري في منزل دان بالأمس، لم يخبرها أي منهم أن إيرينا هي من عثرت عليهما، وكيف قُتلا. على الرغم من أن إيرينا كانت جالسة معهم هناك، ووجب عليها أن تعرف الأمر من الصحيفة.

ركبت أودري سيارتها وتوجهت إلى مركز المدينة لتقابل محامي أخيها، والتر تيمبل. ليس لديها ميعاد معه، لكنها متأكدة من أنه لن يردها خائبة، ليس في الظروف الراهنة. إنها فقط لا تطيق الانتظار دقيقة أخرى، قابلها والتر على الفور، إنهما يعرفان بعضهما منذ عدة سنوات، تبادلًا التحية بوقار، وأعربَ والتر عن جام أسفه على فريد وشيلا. لكن بدا واضحًا أن المحامي يشعر بشيء من الحرج، وتسبب هذا في قلق أودري.

استحضرت أودري شجاعته، وقالت: «لقد جاء فريد إليك الأسبوع الماضي ليقابلك بشأن وصيته، أليس كذلك؟».

توقعت تأكيدًا سريعًا، لكن والتر أشاح بوجهه وبدأ في طي الأوراق على مكتبه، كان قلقها في ذروته الآن، ثم قال: «لم أكن هنا طوال الأسبوع الماضي لأمر طارئ لذلك لم أستطع مقابلته».

شعرت بأن الدماء الموجودة في الجزء العلوي من جسدها قد سُحبت مما جعل وجهه والتر يهتز من أمامها، وسألت: «ماذا؟».

- لقد أراد مقابلي بالفعل، لكنني لم أكن متاحًا، لهذا حدد مقابلة هذا الأسبوع. لقد كان من المفترض أن يقابلني اليوم الساعة العاشرة. لكنه مات قبل...

وانخفض صوته بوهن.

مالت أودري في كرسيها، لقد تحطمت جميع آمالها. قالت معترضة: «هذا مستحيل. لقد وعدني أنه سيفعل الأمر الأسبوع الماضي».

- نعم، لقد حاول مقابلتي، لكنني لم أكن في مكتبي بسبب عمل آخر. أنا آسف.

- ربما قابل محامياً آخر؟

- لا يبدو هذا، لا.

قالت وصوتها يعلو بسبب آمالها التي أُحيلت خطأً حولها: «كان سيغير وصيته. لقد وعدني. لقد كان ينوي تغييرها لأحصل على نصف ثروته بينما يحصل أولاده على النصف الآخر. ولو كنت مت قبله، كانت ستذهب حصتي إلى ابنتي».

نظر والتر إليها بعدم ارتياح واضح، لكنه لا يقارب ما تشعر به الآن، قال والتر: «إنني آسف للغاية يا أودري. لكنه مات قبل أن يستطيع فعل أيّ تغيير في وصيته. لم يكن يعلم ما ستؤول إليه الأمور...».

جلست هناك مبهوطة، بلا حراك، وأخذ ذهولها يتحول إلى غضب. لقد كانت هذه فرصتها الوحيدة للحصول على شيء ما لها ولابنتها. والآن اختفت، هكذا في غمضة عين. مثل فريد. والآن ستؤول كل أمواله التي عمل بجد على تجميعها إلى أبنائه الثلاثة المدللين غير المستحقين.

صرخت أودري قائلة: «لقد كانت تعلم!».

قال المحامي بدهشة: «ماذا؟».

- كانت شيلة تعلم بالأمر. كانت تعلم أن فريد سيغير وصيته ليعطيني النصف. لقد كانت هناك، ولم تحب الأمر. لم تحبني قط.

بدا عليه الانزعاج الواضح، إنه لا يريد أن يكون جزءاً من هذا الأمر، ثم قالت أودري: «إنك تعلم ما لا بد وأنه قد حدث. أليس كذلك؟».

نظر في عينيها بارتياح، وتابع أودري: «لقد أخبرت الأولاد بما ينوي والدهم فعله، وواحد منهم قتلها قبل أن يتسنى له فعل ذلك. (ثم أضافت بأسى) ولم يكونوا يتوقعون أيّاً من ذلك».

قال والتر شاحب الوجه: «ما تقولينه عبث يا أودري».

نهضت واقفة فجأة وخرجت من المكتب دون أن تتفوه بأي كلمة أخرى، وبينما كانت تهبط في المصعد بغضب، كانت متأكدة. لا بد وأن شيلا قد أخبرت واحدًا منهم. لكن، أي واحد؟ أو ربما أخبرتهم جميعًا، وواحد منهم قتلها هي وفريد دون أي ذرة ندم. ستكتشف من هو حتى لو كان هذا آخر شيء تفعله في حياتها، وسيدفعون الثمن.

ذهب رايس وبار إلى مصلحة الطب الشرعي التي لا تبعد كثيرًا عن مركز الشرطة، صف سيارته في موقف السيارات ودخلا المبنى القصير، توجه المحققان إلى المشرحة، لم يعتد رايس قط منظر المعدن اللامع الموضوع أسفل صف مرتفع من النوافذ، والجثث الموضوعة على طاولات من المعدن المشابه، والرائحة الكريهة، تناول قرصًا للسعال ثم ألقي نظرة على بار ليرى تأثير الأمر عليها، لكن بدا أنها لا تشعر بأي انزعاج. أحيانًا يتساءل إذا ما كان لديها حاسة شم من الأساس، أو إذا ما كانت معتلة نوعًا ما.

كانت «ساندي فيشر»، إحدى أطباء الطب الشرعي تقف منحنية فوق جثة وهي تلبس ملابس واقية بالكامل، وقالت: «صباح الخير أيها المحققان».

لاحظ رايس أنهما حضرا في الوقت الذي كانت ما تزال تعمل فيه على فريد مرتون، فتجوف الجثة كان لا يزال مفتوحًا، وهناك معدة موضوعة على الميزان، نظر بعيدًا إلى الجثة المغطاة الموضوعة بعيدًا، خلف الطبعية الشرعية، في آخر الحجرة. لا بد وأن هذه شيلا مرتون.

قالت ساندي وهي تهز رأسها: «لقد أنهيت العمل عليها، لكن لا يزال الكثير لأفعله مع هذا».

ثم بعدت عن الجثة المفتوحة وأشارت إليهما ليذهبا إلى الجثة الأخرى، أسدل مساعد الطبعية الشرعية الغطاء عن جثة شيلا مرتون ليكشف الجزء العلوي من جسدها، قالت ساندي بينما كانوا يحدقون إلى المرأة سيئة الحظ: «هذه مباشرة للغاية. قُتلت خنقًا، على الأرجح بواسطة شيء أملس للغاية مثل سلك كهربائي».

قال رايس متأملًا: «ولا يوجد أي دليل عليه في أي مكان، أو على أنه استُخدم من المنزل، لذا من المحتمل أن القاتل قد أتى به معه. لا دليل على اقتحام المنزل، لذا ربما كان يعلم أن شيلا هي من ستفتح الباب، (ثم توقف

لبرهة محدقًا إلى وجه شيلا الميت وتابع) شخص ما جاء إلى عتبة منزلهما لابسًا قفازين، وجوربين سميكين بلا حذاء، حاملاً شيئاً ما معه ليخنقها به، ثم حين قتلها، أحضر السكين من المطبخ ومكث ينتظر نزول فريد».

هزت بار رأسها متألمة هي الأخرى، وقالت: «على الأرجح كان شخصاً يعرفهما، ويعرف المنزل».

سأل رايس: «وتوقيت الوفاة؟».

قالت ساندي: «حسنًا، بالطبع أنت تعلم أن الأمر تقدير تقريبي، لكن أفضل تخميناتي هو أنها حدثت في وقت ما بين الساعة العاشرة من مساء يوم الأحد والساعة السادسة من صباح يوم الاثنين. سأعرف أكثر فور أن أنتهي منه. لكن يمكنني أن أؤكد أن السكين من حامل السكاكين في المطبخ هي بالتأكيد سلاح الجريمة».

19

حين عاد رايس وبار مرة أخرى إلى المركز علما أنه لم تكن أيُّ من كاميرات المراقبة في منزل الزوجين مرتون تعمل، كانت العاملة المستأجرة محقة، كانت الخزانة قد فُتحت، لكن لا يبدو أنه قد عُيِّبَ بها، فلم يكن بها أيُّ مجوهرات. يشير تقرير الطب الشرعي الأولي إلى معلومات جديدة صغيرة ستساعدهما، تفحصها رايس بسرعة. هناك العديد من البصمات في المنزل، في المطبخ بخاصة، وهو أمر متوقع بعد حفلة عشاء. سيحصلان على البصمات اليوم من أفراد العائلة وإيرينا لأهداف استيعادية فلربما يكون هناك بصمة غريبة لا تنتمي إلى أيٍّ منهم، لكن رايس لا يتوقع ذلك. من الواضح أن القاتل كان حريصًا للغاية. ويجب أن يتقنيا أثر چاك هو الآخر.

أخذ رايس معطفه من الكرسي وقال لبار: «هيا، سنذهب للتحدث مع محامي فريد وشيلا».

قادا لمسافة قصيرة إلى مركز المدينة، ولم يكن بالأمر المفاجئ أن فريد مرتون كان يستخدم واحدة من أفضل شركات الحمامة في أيلسفورد. كان والتر تيمبل مشغولاً حين وصلا، لكن إظهار شارتيهما قد فعل اللازم، وقالت موظفة الاستقبال بعد عدة دقائق وهي تقودهما إلى مكتبه: «سيقابلكما الآن».

مد والتر تيمبل يديه مصافحاً لكل منهما بينما كانا يعرفان نفسيهما واستأذنهما أن يجلسا قبل أن يجلس خلف مكتبه، ثم قال: «أتوقع أنكما هنا بخصوص فريد وشيلا مرتون».

هز رايس رأسه موافقًا، وقال: «نعم، إننا نحقق في جريمتي قتلهم». قال المحامي بأسى واضح: «إنني مستاء للغاية من هذا. كان فريد صديقًا بالإضافة إلى كونه عميلًا قديمًا».

سأل رايس: «ما الذي يمكنك أن تخبرنا عنه؟».

- لقد كان فريد مرتون رجل أعمال ناجحًا للغاية، جنى ثروة من صناعة الروبوتات ثم باع شركته -مرتون للروبوتات- من أجل ثروة أخرى السنة الماضية. يبلغ صافي ثروته وقت وفاته بعد الضرائب قرابة ستة وعشرين مليون دولار.

- هذا كم هائل من الأموال.

قال المحامي موافقًا: «هذا صحيح، وتركت شيلا نحو ستة ملايين هي الأخرى».

- هل كان لدى فريد أو شيلا أيُّ أعداء كنت قد سمعت عنهم؟

رجع المحامي في كرسيه وأخفض عينيه إلى الأسفل نحو دفتر المسودات على مكتبه وقال: «لا، لا أعتقد ذلك. لقد كانا محبوبين للغاية ويحترمهما الجميع، كان فريد لطيفًا للغاية، (ثم نظر إليهما وأضاف) لقد كانا طيبين، وكنا أنا وزوجتي نتناول العشاء معهما بصورة منتظمة».

- هل لاحظت أيَّ شيء مختلف على أيٍّ منهما مؤخرًا؟ هل بدا عليهما القلق حيال أمر ما؟ هل ذكرا أيَّ شيء غير معتاد؟

هز المحامي رأسه نافيًا وقطب جبينه، وقال: «لم ألحظ أيَّ شيء. لكن ربما يجب أن تسأل زوجتي، إن لديها إلمامًا أكثر بتلك الأمور على الرغم من أنها لم تذكر لي أيَّ شيء قط. كانت هي وشيلا مقربتين. إن زوجتي، «كارولين»، في المنزل إذا أردتما أن تتحدثا إليهما».

وكتب عنوانه على ورقة وناول رايس إياها.

سأل رايس: «من سيرث ثروة الزوجين مرتون؟».

- أعتقد أنه مسموح أن أفشي لك هذا. تذهب ثروة شيلا إلى الأبناء الثلاثة بالتساوي. أما في وصية فريد، فهناك عدد من البنود المحددة، لكن إجمالي التركة سيوزع بالتساوي بين أبنائه.

- ما هي تلك البنود المحددة؟

- مليون لأخت فريد، أودري ستانسكر، ومليون آخر لمديرة المنزل التي تعمل معهم منذ وقتٍ طويل، إيرينا دابروفسكي، (سكت المحامي برهة ثم قال) وهناك شيء آخر يجب أن تعرفاه، هناك أربعة أبناء مذكورين في وصية فريد، وليس ثلاثة. ضم فريد في وصيته ابناً رابعاً له خارج إطار الزواج وارثاً مساوياً للبقية، امرأة تحمل اسم روز كاتر، ستكون هذه مفاجأة غير سارة للأبناء الشرعيين. لكن على الرغم من ذلك ستكون مفاجأة لطيفة لها على الأرجح، لا أعتقد أن لديها أي فكرة عن هذا الأمر. هل يمكنكما تأجيل التحدث إليها إلى أن أخبر الأبناء الثلاثة أولاً؟ سأحدث معهم في بداية الأسبوع القادم، بعد الجنازة.

قال رايس بينما ينهض من كرسيه: «أعتقد أن بإمكاننا فعل ذلك».

قال المحامي: «هناك شيء غريب آخر».

وغطس رايس مرة أخرى في كرسيه.

- اتصل بي دان مرتون البارحة بعد العصر. يبدو أن أودري، أخت فريد، كانت في منزل دان البارحة مع بقية أفراد العائلة بعد أن انتشرت أخبار جريمتي القتل، وأخبرتهم أن فريد قد غير وصيته ليعطيها نصفها، (ثم عض أحد شفتيه وتابع) لقد كانت هنا تَوَّأ صباح اليوم وأخبرتني الأمر نفسه. وكانت مُصرة على أنه كان ينتوي فعل هذا الأسبوع الماضي. (رفع رايس حاجبيه متشككاً) أعلم، يبدو الأمر غير محتمل، لكن كنت قد استُدعيتُ بشكل مفاجئ طوال الأسبوع الماضي، وحين رجعت، لاحظت أنه حاول مقابلي، وحين لم أكن متاحاً، حجزت له موظفة الاستقبال خاصتي موعداً آخر لمقابلي هذا الأسبوع. كان من المفترض أن يكون ذلك الميعاد صباح اليوم، الساعة العاشرة. أعتقد أننا لا يمكننا التنبؤ أبداً بالمستقبل.

بعد رحيل المحققين، ظل والتر جالساً على مكتبه يتأمل الموقف بعدم ارتياح. لقد كان قلقاً للغاية بشأن ما قالته أودري، وأيضاً بسبب وجود المحققين هنا، إنه محامي عقارات وشركات في واقع الأمر وليس معتاداً التعامل مع محققين تحقيقات جرائم قتل. لم يكن متعاوناً بشكل دقيق مع المحققين لأنه لم يرد أن يتحدث بسوء عن الميتين، لا يعني هذا أنه كان يكذب،

كان يمكن لفريد أن يكون شخصًا لطيفًا بالتأكيد، ولم يكن لديه أيُّ أعداء على حد علم والتر، لكن كان هناك شيء يغضبه منه، وهو أن فريد لم يكن شخصًا صالحًا دائمًا. لم يخبر المحققين بكل شيء قالت له أودري أيضًا مثل اتهامها لأولاد فريد بقتله، فلقد كان من المريع للغاية ذكر ذلك. من المريع للغاية حتى تخيله.

20

يبدو على كارولين تيمبل، زوجة والتر، الاستياء الواضح بسبب مقتل فريد وشيلا مرتون العنيف، وأصرت على تقديم الشاي في كؤوس صينية لائقة وكأن كل شيء طبيعي. لكن رايس يتفهم أنه لا يوجد أي شيء طبيعي في أن تُستجوب من قبل محققين جرائم قتل في غرفة معيشتك لامرأة مثل كارولين تيمبل.

سأل رايس: «ما مدى معرفتك بشيلا وفريد مرتون؟».

- إننا نعرفهما اجتماعيًا منذ عدة سنوات، عقود في الواقع.
- أخبرنا زوجك أنك وشيلا كنتما مقربتين من بعضكما بعضًا.
- هل قال ذلك؟ حسنًا، ربما بدا له الأمر كذلك. لكننا لما نكن مقربتين بصفة وثيقة، شيلا لم تكن شخصًا يبوح بمكنون نفسه. ربما كان والتر صديقًا لفريد، لكن لأكون صادقة، لم أكن أستلطفه.

سألت بار: «لماذا لم تكوني تحبين فريد؟».

ترددت للحظة ثم قالت: «إنك تعلمين كيف هم الرجال (ثم نظرت باعتذار إلى رايس) كل ما يتحدثون عنه هو العمل والجولف، ولا يتحدثون عن الأمور الشخصية. لكن شيلا أخبرتني بأمور جعلتني أبغضه».

- مثل؟

- لا أعتقد أنه كان رجلاً سهل المعشر. كان يملك صفة دنيئة (ثم ارتشفت رشفة من شايبها) أقصد، الطريقة التي باع بها شركته لكيلا يحصل عليها ابنه!

وأخبرتني بالأمر كله، كيف عمل دان بجذ، وكيف أغضبه هذا الأمر، وكيف أنه لا يستطيع أن يجد أي عمل بديل في الوقت الحالي، وكيف أخبرهم فريد أنه باع الشركة لكيلا يهدمها دان.

- لا يعامل الناس الطبيعيون أبناءهم بهذه الطريقة، ولم تكن شيلا سعيدة بذلك، وأكد لكما هذا.

- هل حاولت تغيير رأيه؟

- لا أحد يستطيع جعل فريد يغير من رأيه. لقد كان عنيداً. أشك في أنها حاولت من الأساس. فهي لم تتصد له قط.

- هل بدا على شيلا القلق مؤخراً؟

- نعم بصراحة، أخبرتني أنها بدأت في تعاطي بعض الأدوية المضادة للقلق. سألت بار بإصرار: «هل أخبرتك لماذا؟».

هزت رأسها نافية وقالت: «لا، حاولت أن أحثها على التحدث، لكن شيلا كانت قد قالت القليل ثم أحجمت. إنها شخص كتوم للغاية. أما أنا فينسب الكلام مني حين أكون غاضبة. (ثم سككت وكأنها تذكرت شيئاً وتابعت) أخبرتني آخر مرة رأيته فيها أن الأولاد لن يكونوا سعداء بوصية والدهم، أنها لن تكون كما توقعوا».

نظر رايس إلى بار نظرة خاطفة وقال: «كيف هذا؟».

- لا أعلم. لم تخبرني أكثر من ذلك. كما ذكرت لكما سلفاً، كانت تحب الخصوصية (ثم وقفت لتصب كوباً آخر من الشاي لنفسها ثم تابعت) لم يكن الأولاد على وفاق مع والدهم، وبدا أن الأمر يزداد سوءاً. لم يحبه أي منهم، لقد أخبرتني بذلك. بدا أن فريد كان يستمتع بإساءة معاملتهم. الشيء الوحيد الذي كان يهتم لأمره كان نفسه (ثم مالت للأمام وكأنها على وشك البوح بشيء هام وقالت) بيني وبينكما، إنني متأكدة من أن فريد كان سيكوباتياً. من الواضح أن الكثير من رجال الأعمال الناجحين كذلك.

لم يذهب تيد إلى العمل في عيادة الأسنان خاصته هذا الصباح، بقي في المنزل ليقدم لزوجته الدعم العاطفي والعملية فيما تخطط للجنازتين، كانت كاثرين تتحدث طوال الوقت على الهاتف، وكان الناس يأتون إلى باب منزلهما ليقدموا التعازي ويتركوا بعض الطعام، هناك العديد من المشتتات إلى الحد الذي بدأت فيه كاثرين في التذمر من صعوبة إنجاز أي أمر، وكان حاسوبها مفتوحًا على طاولة صغيرة لتطلع على أي مستجدات بشأن جريمتي القتل.

بينما يحاول تيد تقديم المساعدة قدر استطاعته، أخذ يشاهد زوجته وهو قلق بشأن ما يجب عليه فعله. إنه متأكد من أن الشرطة ستطلب استجواب كاثرين رسميًا، ومن المحتمل هو الآخر. ما الذي سيقوله لهما بحق الجحيم؟ إذا لم يستطع أن يقنع كاثرين بتغيير رأيها، هل سيكذب هو الآخر ويقول إنها كانت معه في المنزل طوال الليل؟ لا يعجبه هذا. إنه يعتقد بضرورة أن تكون صادقة مع المحققين.

لكنها كذبت عليهما بالفعل. يا له من فعل غبي، وهو غاضب منها لفعلها إياه. لم يستطع فهم أسبابها، فمما يراه، لو اعتقد المحققان أن القاتل هو أحد الأبناء، فدان سيأتي أولاً في موضع الاتهام. لقد كان يتصرف بغرابة قليلاً البارحة. لكن ليكون منصفًا، إن كاثرين هي الأخرى تتصرف بغرابة.

أخذ يفكر في المكالمات الهاتفية. لقد اتصلت كاثرين بوالدتها في ليلة يوم الأحد من هاتفها المحمول، سيكون الأمر مسجلًا على الهاتف، ألن يسألها عن هذا الأمر؟ سيتفقدان توقيت المكالمات التي لم تُجَب ويمكن أن يعتقدوا أن والديها كانا ميتين بالفعل قبل ذلك بينما هو وكاثرين يعلمان أنهما كانا على قيد الحياة لبعض الوقت بعد ذلك. كل هذا كان يتردد على تفكيره بينما كان يقف على عتبة منزله يتلقى طبقًا مغطى من أحد أصدقاء العائلة.

ثم رأى سيارة جينا تقف على جانب الشارع بينما كان يقول بعض المجاملات للمعزين، وبدؤوا في الرحيل حين بدأت جينا تقترب من الباب، لكنهم توقفوا وعانقوها وقدموا تعازيهم مرة أخرى. سألته جينا بعدما رحلوا أخيرًا: «كيف حالها؟».

كانت تقصد كاثرين. بات تيد يُبصر جينا بعينين جديدتين وهو يتساءل لماذا تخشى زوجته الوثوق بها؟ ما الذي حدث في الماضي بينهما؟ ثم قال: «بخير. إنني سعيد أنك هنا. كيف حالك؟».

- أفضل من دان.

وسارت أمامه ودخلت المنزل وتبعها تيد إلى غرفة المعيشة، ثم قالت وهي تنقل نظرها بين تيد وكاثارين: «يجب علينا أن نتحدث».

أجابت كاثارين والقلق يبدو عليها: «ما الخطب؟».

- حضر المحققان إلى منزل دان بالأمس بعدما رحلتما وكنت لا أزال هناك، وطرحا عدة أسئلة، سار الأمر بشكل جيد، لكن بدا أن دان سينهار بعد رحيلهما.

ثم جلست بجانب كاثارين على الأريكة وقالت بعد برهة: «هل تعتقدين أنه يمكنه فعلها؟».

شاهد تيد كاثارين وهي تشيح بوجهها وتقول: «لا أعلم».

ازدرد تيد، وشعر بالغثيان قليلاً، ثم أقرت جينا بدورها: «ولا أنا».

ثم سادت لحظة طويلة من الصمت المتوتر حتى قالت جينا أخيراً: «أعتقد أنه بدأ يفقد تمالكه لنفسه. يبدو أنه مقتنع بأنهما سيعتقدان أنه من فعلها، بسبب بيع والدنا للشركة و... هل تعلمان أنه مفلس؟».

نظرت كاثارين إليها وهي تهز رأسها بإرهاق.

- أكنّ تعلمين؟ لم أكن أعرف. قال إن الشرطة ستطارده وإنهم سينقادون إلى هذا الافتراض معصوبي الأعين ويقنعون أنفسهم بأنه من فعلها، ولن يستطيعوا رؤية أي شيء آخر.

قال تيد مقترحاً: «ربما يجب أن يحصل على محام؟».

التفتت كاثارين إليه وهي تهز رأسها موافقة وقالت: «ربما. لكن في الوقت الحالي، لن نقول شيئاً».

ثم التفتت إلى جينا ونظرت إليها في عينيها قائلة: «مفهوم؟».

هزت جينا رأسها موافقة قائلة: «مفهوم».

ثم سألتها كاثارين: «لم تخبروهما بما حدث في عيد الفصح، أليس كذلك؟».

- بالطبع لا.

قالت وهي يبدو عليها الارتياح بعض الشيء: «جيد»، ثم قالت وهي عاقدة حاجبيها: «إن دان ليس مخطئاً بقلقه. قالت لي إيرينا البارحة بينما كنا نرحل من منزله إنها تعتقد أن الشرطة قد لا تصدق أنها جريمة سرقة أبداً، وقد يشتبهون في واحد منا».

سألتها جينا: «لماذا لم تخبرنا كلنا بذلك؟».

- من المرجح أنها لم ترد أن تُربك دان.

شاهد تيد جينا وهي تهز رأسها ثم سألت: «أتصور أن دان قد أخبرك بالنبأ السار؟».

- أيُّ نبأ سار؟

- لقد اتصل بوالتر أمس بعدما رحلت، وقبل أن تصل الشرطة.

قالت كاثرين بحدة: «ماذا؟».

استشف تيد من صوتها أنها ليست سعيدة بفعلته. تابعت جينا: «إن أبي لم يغير وصيته لصالح أودري. لقد حجز بالفعل ميعادًا، لكنه لم يتمكن من الذهاب إليه قبل مقتله، (ثم قالت بشماتة) أتساءل إذا ما كانت أودري قد علمت بالأمر بعد».

21

عرضت چينا أن تذهب إلى متجر الأزهار لتخرج من المنزل في المقام الأول. إنها تريد أن ترحل بعيدًا عن كاثرين، هناك شيء في طريقة تولي كاثرين لجميع الأمور يثير غضبها على الرغم من أن چينا بالتأكيد لا تريد أن تتولى هي زمام تدبير الجنازة، بينما كانت چينا في طريقها إلى مركز المدينة لطلب الأزهار - من المتجر ذاته الذي اعتاد بشكل منتظم توصيل باقات الأزهار النضرة إلى منزل والديها - أخذت تفكر فيما قالته إيرينا لكاثرين، المحققان يشتبهان بالفعل في أنه واحد منهم، من الواضح بسبب الميراث. لكن هل هناك شيء آخر؟ ما الذي سمعته إيرينا بالتحديد؟ وقررت چينا زيارة إيرينا وسؤالها بنفسها بعد أن تنتهي من مهمتها في متجر الأزهار.

رن الجرس المعلق على باب متجر الأزهار حين دخلت چينا، وتفاجأت في الداخل بالألوان الزاهية ورائحة النباتات اللطيفة السارة، قضت بعض الوقت في اختيار عدد من الترتيبات المقرر عقدها أمام الكنيسة، ووقع اختيارها على أزهار الزنبق والورود، تعلم أن هذا سيسعد كاثرين، وحين انتهت، غادرت چينا المتجر وتفاجأت برؤية أودري في الشارع المقابل تحقق إليها. وتساءلت إذا ما كانت أودري تراقبها وإذا ما علمت بالفعل أنها لن تصبح ثرية في النهاية.

ابتسمت چينا لأودري ولوحت لها، ثم أدارت لها ظهرها ورحلت.

في مركز الشرطة، وقف رايس وبار يفتشان عن أي معلومات تخص أولاد الزوجين مرتون. إن كاثرين وزوجها تيد ميسورا الحال، لكنهما سيصيران في مكان آخر تمامًا بالميراث. أما تفاصيل موقف دان المالي فتشي بعلمات الكرب، لم يعمل منذ ستة أشهر، منذ أن باع والده شركته. لا بد أنه وزوجته، التي لا يبدو أنها تعمل هي الأخرى، يعيشان على مدخراتهما. وأصبحا يستخدمان مؤخرًا بطاقات ائتمان جديدة لدفع الحد الأدنى لبطاقات الائتمان الأخرى التي بلغ استخدامها الحد الأقصى، فكر رايس بسخرية كيف أن موت والديهم لم يكن ليأتي في توقيت أفضل.

أما الصغرى، جينا، فيبدو أنها تعيش الشهر بشهره، وتعتمد في أغلب الأحيان على الإعانة السخية التي يعطيها إياها والداها، وتبيع من حين لآخر بعضًا من أعمالها الفنية مقابل مبالغ متواضعة، لا توجد أي علامات على حدوث خلافات بينها وبين والديها مؤخرًا. لكن لماذا كذبت بشأن توقيت مغادرتها هي وحببيها من المنزل في أحد الفصح؟ من يجدها أكثر إثارة للاهتمام حاليًا هي إيرينا دابروفسكي، العاملة المستأجرة. لقد نظفت السكين لتحمي شخصًا ما. لقد كانت حماقةً منها، لكن ربما لم تكن تفكر بوضوح. من المؤكد أنها تظن أن الجريمتين ارتكبتا من قبل شخص قريب لفريد وشيلا، شخص تهتم إيرينا لأجله، من المرجح أنه واحد من الأولاد.

إنه يريد أن يعرف لماذا.

وضعت إيرينا هاتفها باستياء. لقد استدعيت إلى مركز الشرطة. لتجيب عن بعض الأسئلة. هناك ارتفاع غير سار من الأدرينالين يسري في جسدها الآن، لاحظت سيارة جينا وهي قادمة بينما كانت تغلق باب منزلها خلفها، ثم صاحت جينا قائلة وهي تخرج من سيارتها وتقترب منها: «إيرينا، هل لديك دقيقة؟».

أجابت إيرينا بينما اقتربت جينا منها واحتضنتها سريعًا: «إنني على وشك الخروج».

- إلى أين؟

- اتصل بي توأ أحد هذين المحققين، إنهما يريدان طرح بعض الأسئلة.

سألتهما جينا بجفاء: «ما الذي ستقولينه لهما؟».

- لا شيء. ليس لدي أي شيء لأقوله. لمَ قد أقول لهما شيئاً؟

قالت جينا وهي تتفحصها: «جيد، كنت عند كاثرين هذا الصباح. قالت إنكِ أخبرتها أن الشرطة قد تشتبه في أحد أفراد الأسرة. ما الذي قاله بالتحديد؟». أشاحت إيرينا بوجهها بعيداً. إنها لا تريد أن تتحدث عن هذا الأمر الآن، ثم قالت: «إن كل ما في الأمر فقط هو أنهما يثرثران كثيراً بشأن الميراث».

قالت جينا مطمئنة إياها: «بالطبع سيتحدثان كثيراً بشأن الأموال، لكن هذا لا يعني أي شيء. الأمر على الأرجح كان سرقة».

قالت إيرينا وهي تشعر بالدوار: «لقد سمعتهما يقولان إن فريد وشيلا ربما كانا يعرفان قاتلهما».

نظرت إليها جينا بإمعان وقالت: «لمَ يظنان هذا؟».

- يظنان أن شيلا هي من فتحت الباب للقاتل وكان هذا في وقت متأخر في الليل.

- ماذا في ذلك؟ إنكِ تعلمين كيف هي أُمي، إنها تفتح الباب في أي وقت، ولأي شخص. إنكِ تعرفين ذلك.

هزت إيرينا رأسها بالإيجاب، وقالت: «لكنها كانت جريمة عنيفة للغاية».

ثم سككت بعد ذلك، إنها لا تريد وصفها، لا تريد أن تعيشها من جديد، ثم قالت: «باعتقادهما أنها ربما تكون جريمة شخصية. أن من ارتكبها شخص كانا يعرفانه».

بدأت جينا تفكر في هذه المعلومة، فتابعَت إيرينا قائلة: «يجب عليّ الذهاب».

- تعالي إلى منزل كاثرين فور أن تنتهي لتخبرينا بما قاله.

- حسناً.

ثم قالت جينا بينما كانت إيرينا تلتفت لتذهب: «إيرينا!».

التفتت إيرينا.

- أنا وكاثرين قلقتان بشأن دان.

22

كان دان يصلح بعض التصليحات في المرأب، وعلى الرغم من درجته العلمية وطموحه في منصب إداري، فإنه يحب أن تتسخ يداه وهو يصلح الأشياء، يحب أن يُشغل نفسه وذهنه، أخذ يتفقد الآن شفرات جزازة العشب التي رفعها على الرافعة. إنه يحب الرائحة المهدئة المنبعثة من المرأب، والشحم على الأرضية الأسمنتية القريبة من رأسه، حتى العشب القديم العالق داخل شفرات جزازة العشب. لكن كل هذا لم يكن كافياً ليبقي ذهنه مشغولاً عما حدث مؤخراً. لا يمكنه أن يكف عن التفكير في المحققين اللذين كانا في منزله عصر الأمس بكل أسئلتهما وتلميحاتهما. إنه يعلم ما يفكران فيه. أكثر ما يقلقه الآن هو الرأي الذي شكله عنه. كيف بدا لهما؟ هل بدا لهما منفعلًا كما كان يشعر؟ هل بدا وكأنه يشعر بالذنب؟

إن ليزا هي الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يتحدث إليه بخصوص هذا الأمر، الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يثق به بالكامل. إنه يخاف من سؤال جينا لأنه يخاف مما قد تقوله. قالت له ليزا بهدوء في الفراش الليلة السابقة: «أعرف أن الأمر صعب، لكنهم لن يعتقدوا أنك من فعلت الأمر».

همسَ شاعرًا بالذعر يسود أحشاءه: «ماذا لو اعتقدوا ذلك؟».

نظرت إليه وعيناها البنيتان على اتساعهما، كانت الأنوار مطفأة لكن ضوء القمر الخافت يتسرب إلى الغرفة، وقالت: «دان، لقد خرجت مرة أخرى في تلك الليلة بعدما رجعنا من منزل والديك. إلى أين ذهبت؟».

ازدرد وقال: «ذهبت للتجول بالسيارة فقط. مثلما أفعل دائماً».

- أين؟

- لا أعلم، لا أتذكر. فقط في الجوار. كنت بحاجة إلى تصفية ذهني. إنك تعلمين أنني أحب التجول بالسيارة حين يكون هناك الكثير يجول في عقلي.

- متى عدت؟

- لم أتفقد الوقت. لم قد أفعل ذلك؟ لقد كان الوقت متأخراً، وكنت تغطين في النوم.

كان يعلم أنه بدا دفاعياً. وفكر أنها لا تقصد أن تستجوبه وأنها فقط تسأل لأنها كانت تغط في النوم حينها.

- ستستجوبنا الشرطة، ويجب أن تتوافق قصتنا.

- ماذا؟

(كانت تعرض -هل كانت تعرض؟- أن تكذب من أجله؟).

- أقصد... أعتقد أنك يجب أن تخبر المحققين أنك كنت في المنزل طوال الليل معي، وسأؤكد كلامك بدوري.

قال وهو يهز رأسه بامتنان: «حسناً».

كان هذا الأمر يزعجه، وقد حلت له تلك المشكلة من دون أن يضطر حتى إلى طلب ذلك منها. يمكنه أن يتنفس الصعداء قليلاً، وضعت يديها على وجهه وقالت: «إنك بحاجة إلى الاسترخاء. أنت لم تقتلها. أيّاً ما كنت تشعر به نحو والدك، إنني أعلم أنك رجل صالح. (ثم نظرت بعمق في عينيه) ما كنت لتفعل شيئاً مثل هذا قط. (ثم ابتسمت له ابتسامة صغيرة وقبلت شفتيه سريعاً وتابعت) ستصير الأمور على خير ما يرام، وحين ينجلي كل هذا، ستحصل على ميراثك ويمكننا حينها أن نضع كل هذا خلف ظهرينا».

كان دان يحدق الآن إلى الظلام الذي كان يسود شفرات جازاة العشب من الداخل، وحاول التفكير بالأموال والحرية التي سيحصل عليها، وأخذ يحاول تخيل مستقبل لامع.

كانت أودري تستشيط غضبًا في سيارتها المركونة في موقف السيارات الواقع أمام مركز الشرطة وهي تحكم قبضتها على عجلة القيادة، وأخذت تفكر في الابتسامة التي كانت على وجهه حين كانت خارجة من متجر الأزهار. لا بد وأنهم عرفوا بحلول الآن أن فريد لم يغير وصيته. إنها تريد ركل شيء ما، لكن من الصعب فعل ذلك إذا ما كانت تجلس على كرسي السائق. فكرت في الخروج من سيارتها، وركل إطارات سيارتها، لكنها لا تريد لفت الأنظار إليها. إن أنفاسها سريعة ومتلاحقة وتجاهد نفسها ألا تبكي، إنها لا تزال لا تستطيع تصديق الأمر. أن يُنتزع منها أمر كانت قد علقت الآمال عليه في غمضة عين هكذا، فقط لأن والتر لم يكن متاحًا ذلك الأسبوع. إنها تحتدم غيظًا.

لكن لا، هذا ليس صحيحًا. إنها لم تحصل على ثروتها التي تتجاوز أكثر أحلامها جموحًا لأن والتر لم يكن متاحًا. لكن لأن فريد قُتل، مع سبق الإصرار والترصد، قبل أن تتسنى له مقابلة والتر، وهناك الكثير يمكنها فعله حيال هذا الأمر الآن. إنها متأكدة للغاية من السبب وراء ذلك الفعل. فقط تريد أن تعرف من فعله.

ضاع المال الموعود، وسيحصل عليه هؤلاء الأبناء القتلة. كان يمكنها الشعور بالمرارة في فمها، فلطالما أرادت أن تكون ثرية. هذا ما تفعله النشأة في الفقر بالمرء. تمكن فريد من الخروج منه، لكنها لم تعرف. ولقد كانت هذه آخر فرصة لها. تريد أودري أن تعرف من قتل فريد وشيلا. إنها تريد أن تعرف من تحديداً أفسد عليها الحصول على الملايين من الدولارات. لطالما أُقصيت بواسطة العائلة ونبذها، ولن يخبروها بمستجدات الأحداث. لقد توقفوا عن الكلام فجأة فور أن وصلت إلى منزل دان بالأمس.

يبدو أن الشرطة تولي أمر تلك الشاحنة اهتمامًا خاصًا، وتتمنى ألا يضيع المحققان الكثير من الوقت على هذا الأمر. بالطبع أخذت المقتنيات الثمينة لأن القاتل يريد أن يُظهر الأمر على أنه جريمة سرقة، ولن يريد أن يكون الأمر واضحًا. لكن اللصوص لا يذبحون الأشخاص ويطعنونهم مرات لا حصر لها. أيًا من كان قد قتل أخاها، من الواضح أنه كان يبغضه.

جلست أمام مركز الشرطة وهي تراقب إذا ما كان سيأتي أيُّ من أفراد العائلة للاستجواب. بالطبع سيُسْتَجَوَّبون بشكلٍ رسمي، وبالطبع سيُسْتَدْعَوْنَ بعد يوم من العثور على الجثتين، هذا وقت مناسب وليس بالمبكر للغاية. أبقت عينيها مثبتتين على مركز الشرطة وهي تتساءل إذا ما كان قد فاتها أيُّ شيء بالفعل.

بعد فترة، رأت وجهًا مألوفًا يصعد مقدمة السلم الخاص بمركز الشرطة.
لقد وصلت إيرينا.

شاهد المحقق رايس إيرينا دابروفسكي وهي تجلس على كرسيها. إنهم في إحدى غرف التحقيق التي تخلو من أي شيء إلا طاولة وكراسي، كانت بار تقف بجانبه وعرضت على إيرينا أن تحضر لها بعض الماء لكن إيرينا رفضت. تسود التجاعيد وجه إيرينا، وشعرها البني القصير الآخذ في التحول إلى اللون الفضي مسحوب للخلف على شكل ذيل حصان، ويدها قويتان وخشنتا المظهر، وتخلوان من أي خواتم، وأظفارها مقصوفة وليست مطلية، يد خادمة بالفعل.

جلس رايس وتمهل بعض الوقت، ثم قال: «شكرًا لقدومك. بالطبع أنت هنا طوعية، ويمكنك الذهاب متى أردت».

هزت رأسها دون أن تصدر أي صوت ووضعت كفيها على حجرها تحت الطاولة حيث لا يمكنهما رؤيتهما.

- لقد كنتِ المربية المقيمة في منزل الزوجين مرتون منذ عدة سنوات.

- نعم، لقد أخبرتك بذلك.

- كم عدد السنوات التي قضيتها بصفتك مربية مقيمة؟

بدت أنها تفكر ثم قالت: «بدأت فور أن وُلدت كاثرين، لذا هذا يعني من اثنين وثلاثين عامًا، ثم ولد دان بعد ذلك بسنتين، وچينا بعد ذلك بأربع سنوات، أقمت في المنزل حتى بدأت چينا تترتاد المدرسة، لذا هذا يعني أن الأمر قد استغرق اثني عشر عامًا».

قال رايس: «هذا يعني أنكِ تعرفينهم جيدًا».

- نعم، لقد أخبرتك من قبل أنهم كعائلتي.

- وهل ما زلت قريبة منهم؟

- نعم بالطبع. لكنني لم أعد أراهم بكثرة كما اعتدت في الماضي.

- هل تعتقدين أنكِ كنتِ أكثر قربًا للأولاد أم للوالدين؟

بدت وكأن السؤال قد ناوش ارتياحها، فأجابت: «الأولاد أعتقد».

لم يقل رايس شيئاً وانتظرها أن تقول المزيد. إن الصمت أداة رائعة، وأخذ يراقبها بينما تفكر، ثم قالت: «كان فريد وشيلا مديريَّ، وكانا يبقيان بطريقة ما مسافة بيني وبينهما. (ثم ابتسمت قليلاً وتابعت) لكن الأطفال لا يفعلون ذلك، وكانوا جميعهم أطفالاً رائعين مُحبين».

- هل كان هناك أيُّ مشكلات في العائلة؟

كررت: «مشكلات؟».

وعرف على الفور أنه كان هناك مشكلات، وأراد أن يعرف ما هي، وقال: «نعم، مشكلات».

هزت رأسها بالنفي وقالت: «لا، أقصد أنه لا يوجد أيُّ شيء خارج عن المألوف».

- إننا نعلم أن فريد مرتون كان على خلاف مع ابنه دان. ما الذي يمكنك إخبارنا به بشأن هذا الأمر؟

- لم يكن الأمر خلافًا على وجه التحديد، كل ما في الأمر أن فريد كان قد حصل على عرض رائع لبيع شركته لا يمكنه رفضه، لذا باعها. كان كل الأمر قرار عمل صحيحًا. (ثم قالت وهي تضغط شفيتها الرفيعتين) أعلم أن دان كان محببًا للغاية.

- كيف كانت علاقة الفتاتين بوالديهما؟

- جيدة للغاية.

- هل حدث أيُّ شيء خارج عن المألوف خلال عشاء عيد الفصح؟

هزت رأسها نافية وقالت: «لا، أبدًا».

- لماذا رحل الجميع بسرعة؟

- آسفة؟

أدرك رايس أنها تحاول كسب المزيد من الوقت، فقال: «كاثرين وزوجها، ودان وزوجته، جميعكم رحلتم تباعًا في غضون دقائق».

هزت كتفها وقالت: «كان قد حان وقت الرحيل. هذا كل ما في الأمر».

- ولم تبقي لتنظفي بعد ذلك؟ ألم يكن هذا متوقعًا؟

أزعجها السؤال، وقالت: «لقد أعطتني شيلا اليوم إجازة، ودعوني فقط لحضور عشاء عيد الفصح. لم تكن تنتظر مني أن أنظف بعد ذلك».

عاد رايس إلى الخلف في كرسيه ونظر إليها نظرة طويلة، ثم قال: «يبدو أنك شديدة الحرص على حماية أطفال الزوجين مرتون».

لم تجب.

- ربما يجب أن تكرري لنا الأمر مرة أخرى، ما الذي حدث حين وجدت الجثتين؟

أخذ يستمع إلى إيرينا بينما كانت تصف عثورها على الجثتين صباح أمس، وحين أنهت حديثها، قال رايس: «أعتقد أنك نسيت شيئاً».

شاهدها ووجهها يحمر قليلاً، وهي تقول: «آسفة؟».

- الجزء الخاص بالتقاطك لأداة الجريمة من الأرض، وتنظيفها في حوض المطبخ، ووضعها مرة أخرى في حامل السكاكين.

مكتبة

t.me/soramnqraa

23

سكنت إيرينا بلا أيّ حراك تمامًا، وعلم رايس أنه قد أصاب الموضع الصحيح.

قالت في محاولة ضعيفة: «لم أفعل».

مال إلى الأمام مقتربًا منها بينما ذراعه على الطاولة، وقال: «إننا نعلم أنك فعلت. أدلة الطب الشرعي تثبت ذلك. كانت الدماء حول السكين قد جفت على الأرض لأربع وعشرين ساعة على الأقل، وآثار قدميك تتوجه من أمام الجثة إلى الحوض مباشرة، ونُظفت السكين جيدًا ووضعت مرة أخرى في حامل السكاكين، لكننا علمنا أنها سلاح الجريمة».

جلست بلا أيّ حراك بينما كفيها في حجرها كحيوان يعلم بقرب حيوان مفترس.

- سؤالي هو لماذا فعلت ذلك؟

بدت مضطربة وقالت: «لا أعلم لماذا فعلت هذا. كنت في صدمة، ورأيت سكين اللحم على الأرض، وميزتها. إنها سكين توارثتها العائلة لعقود، فالتقطتها وغسلتها ووضعتها في مكانها مرة أخرى. فعلت هذا بفعل العادة أعتقد».

ابتسم لها رايس قائلاً: «وهل من المفترض أن نصدق ذلك؟».

- عدم تصديقك هو أمر يخصك.

قال لها رايس رويدًا رويدًا: «سأخبرك بما أظنه، أظن أنك وصلتِ إلى هناك، ووجدتِ شيلا ميتة وفريد غارقًا في الدماء، ورأيتِ سكين اللحم على الأرض، التقطتها، ولبستِ القفازين المطاطيين اللذين وجدناهما أسفل الحوض وغسلتِ السكين جيدًا في حال إن كان القاتل قد ترك بصماته عليها، وفعلتِ هذا لأنك أردتِ حماية من فعل هذا. مما يدفعنا إلى الظن أن القاتل هو أحد الأبناء».

قالت معترضة: «لا!».

- يمكننا أن ندينك، إنك تعلمين هذا.

ظلت صامته محدقة إليه، ورجع للخلف في كرسيه مرة أخرى ليترك لها بعض المساحة، وقال: «هل هناك أي شيء تودين إخبارنا به الآن؟».

- لا.

- الأمر هو أن أيًا من كان القاتل أو القاتلة فلقد كان حريصًا للغاية وكان يلبس قفازين. لم يكن هناك داعٍ لتتدخلتي بمشهد الجريمة نهائيًا. (نظرت إليه بدورها بوجه جامد) لكن شكرًا لك على الرغم من ذلك على هذا الخيط.

وبينما هي تنهض لترحل، قالت لها بار: «إننا فقط سنحصل على بصماتك قبل أن ترحلي، نريدها من أجل أهداف استباقية. سنفعل هذا مع الجميع».

غادرت إيرينا مركز الشرطة وتوجهت إلى سيارتها وكأنها لن تصل إلى هناك سريعًا، وفور أن وصلت إلى سيارتها، جلست ساكنة لعدة دقائق تستجمع أفكارها، تنفست بعمق عدة مرات بينما رأسها مرخي للخلف على مسندة الرأس، ثم أغلقت عينيها تفكر ما الذي فعلته.

ثم أدارت السيارة أخيرًا بيدتين مرتعشتين وقادت إلى منزل كاثرين. سيكون هذا صعبًا، وهي ترهب ما سيحدث، وحين وصلت، رأت أن السيارتين مركوبتان عند المدخل الخاص بينما سيارة جينا مركونة في الشارع المقابل. لا توجد أي علامة على وجود سيارة دان، تراجلت من السيارة واقتربت من الباب الأمامي المألوف وطرقت، فتح لها تيد الباب وكان وجهه الوسيم جادًا، وقال: «تفضلتي يا إيرينا، قالت جينا إنك ستأتين».

وقفت كاثرين حين دخلت إيرينا غرفة المعيشة وكانت جينا واقفة بالفعل عند الشباك، ونظر ثلاثتهم إليها بترقب. إنها أول من تستجوبه الشرطة في المركز ويريدون أن يعرفوا ما حدث. إنهم يعرفون أن دورهم هو التالي. كان التوتر يسود الغرفة، احتضنتها كاثرين سريعًا وقالت: «تعالى اجلسى واحكى لنا ما حدث بالضبط».

أخذت إيرينا بعض الوقت قبل أن تذهب وتجلس على الكرسي وتنفجر قائلة: «أنا آسفة».

نظروا إليها جميعًا في زعر، وأخبرتهم ما فعلته بالسكين، وأن الشرطة تعلم بهذا الأمر، وشاهدت وجوههم يجتاحها عدم الفهم، ثم عدم التصديق، قالت كاثرين ويبدو عليها الدهشة والغضب: «لماذا؟ لماذا فعلت هذا؟».

وحين فشلت إيرينا في إيجاد الكلمات، ردت جينا مكانها بصراحتها المعتادة: «لأنها تعتقد أن واحدًا منا هو من فعلها».

لم تستطع إيرينا أن تنظر في عين أيٍّ منهم، وجلست صامتة تحديق إلى الأرض، وللحظة بدا أن الجميع نسوا أن يتنفسوا، ثم قالت كاثرين أخيرًا: «إيرينا، إنك لا تصدقين ذلك بالتأكيد».

ظلت إيرينا صامتة. إنها لا تعرف ماذا تقول. قالت جينا تحثها: «أيُّ واحد منا قد فعلها في رأيك؟».

تهربت إيرينا من السؤال، ثم أخذت تنظر إلى كل من الأختين بالتناوب طامعة في أن تسامحاهما، لكنها تعلم أن هذا لن يحدث، ثم قالت: «ما كان يجب أن أفعل ذلك. والآن يبدو أن الشرطة تظن أنه واحد منكم أيها الأولاد، أنا آسفة».

أخذت كاثرين، وجينا، وتيد يحدقون إليها بذعر.
ثم قالت جينا: «شكرًا جدًّا».

شاهدت أودري من موقع المراقبة خاصتها في موقف السيارات أمام مركز الشرطة إيرينا وهي تسرع إلى سيارتها وتبدو أكثر استياء مما كانت حين وصلت، ثم جلست هناك لمدة طويلة وكأنها متداعية وتريد أن تستجمع قواها، ثم قادت أخيرًا تاركة أودري متلهفة لتعرف ما حدث داخل المركز.

والآن أودري في أمس الحاجة إلى قضاء حاجتها، لكنها لا تريد أن تغادر موقعها حتى لا يفوتها أيُّ شيء. لكن لم يمر وقت طويل حتى رأت سيارة دان تدخل موقف السيارات. ركن سيارته أمام المدخل، وخرج من السيارة بمفرده، لم ينظر ناحيتها أو يلحظ سيارتها في آخر الموقف، وكانت تعلم أن لديها بعض الوقت بعد أن رآته يصعد السلالم ومن ثم دخل المركز. تفقدت الوقت، وخرجت من السيارة، وذهبت مسرعة إلى متجر بيع الكعك في آخر الشارع. دخلت الحمام هناك، وابتاعت لنفسها كعكة بالشوكولاتة وقهوة وعادت مرة أخرى لسيارتها في غضون عشر دقائق.

أدخلوا دان مرتون غرفة الاستجواب نفسها التي استخدموها لاستجواب إيرينا منذ وقت قصير. إنه يلبس بنطال جينز نظيفًا، وقميصًا مفتوح العنق، وسترة كحلية اللون، ويضع ساعة تبدو باهظة الثمن. أخذ رايس يفكر كيف يبدو عليه أنه ينحدر من أسرة ثرية، فلديه تلك الطريقة المبهمة في التعامل مع الأشياء باهظة الثمن، ذلك الأمان القادم من نشأتك بخزانة ملابس ممتلئة. إنه يرتدي ملابسه جيدًا لكن يبدو كل شيء آخر فيه غير مرتاح، غير متأكد، وجلس وهو يتنحنج بقلق وأصابه تنقر على الطاولة.

قال رايس: «دان، إننا نريد طرح بعض الأسئلة فقط. أنت هنا طوعية، ويمكنك الذهاب في أي وقت».

- بالطبع. إنه من دواعي سروري أن أساعدكم. وإنني أريد منكم أن تعثروا على من فعل هذا الأمر الشنيع. هل توصلتم إلى سائق الشاحنة بعد؟

هز رايس رأسه بالسلب ورجع للخلف في مقعده، وكالمعتاد، تقف بار بجواره تراقب كل شيء وتقيّم الأمور. إنها زوجان من الأعين الثاقبة الأخرى.

قال رايس: «والآن وقد حظيت ببعض الوقت لتفكر، هل لديك أي فكرة عن من يمكن أن يكون قد قتل والديك؟».

قطب دان جبينه وهز رأسه بالنفي قائلاً: «لا، لا أتصور لمَ قد يفعل شخص هذا. أقصد بجانب الغرض الواضح للسرقة».

هز رايس رأسه ثم سأل: «كيف كان شعورك حين باع والدك شركة مرتون للروبوتات؟».

احمر وجه دان وقال: «ما علاقة هذا بأي شيء؟».

- فقط أسأل.

وشاهد رايس أصابع دان وهي تنقر على الطاولة، ثم قال معترفًا: «لأكون صريحًا، لم أكن سعيدًا بالأمر. لقد عملت بجد لسنوات في تلك الشركة وأنا أتوقع أنها ستصبح ملكي في يومٍ من الأيام. لقد باعها دون حتى أي اعتبار لما قد يعنيه الأمر لي».

ثم توقف فجأةً وكأنه أحس أنه باح بالكثير، هز رايس رأسه قائلاً: «يبدو أنه أمر سيئ».

نظر دان إليه وكأنه يفكر في أن يتخلى عن بعض دفاعاته، وقال: «حسنًا، كان بإمكانه أن يكون شخصًا حقيرًا في بعض الأوقات. لكن لا علاقة لي بهذا الأمر».

قال رايس مطمئنًا: «لم أقل إنك فعلت ذلك. إننا فقط نحاول الإلمام بالموضوع من جوانبه كافة، (ثم توقف لبرهة وتابع) بسبب بيع الشركة، إنك تواجه الآن ضائقة مالية على حد علمي. هل تود أن نخبرنا عن هذا؟».

أجاب دان بحدة: «لا، ليس بالضبط. لا أرى أن هذا له علاقة بالموضوع».

- لا ترى؟ إنك تحمل الضغينة لوالدك، وتعاني ضائقة مالية، والآن أنت على وشك أن ترث ثروة هائلة.

نظر دان نظرة متوترة سريعة بينه وبين بار وقال: «هل يجب علي أن أحصل على محام؟».

- لا أعلم. هل تعتقد؟

كرر دان بحدة: «ليس لي أي علاقة بالأمر»، ثم نهض من مقعده قائلاً: «لن أجيء عن المزيد من الأسئلة. إنني على دراية بحقوقتي».

قال رايس موافقًا: «يمكنك الذهاب»، ثم نظر إلى بار وقال: «إننا فقط نريد الحصول على بصماتك أولاً».

24

سألت ليزا بقلق: «لقد غادرت؟ لماذا؟».

وأخذت تشاهد دان بعناية وهو يخبرها بشأن الاستجواب في مركز الشرطة، كانا يجلسان حول الطاولة في المطبخ، ورجلاه تهتزان بتوتر. وبينما تستمع إليه، أخذ قلقها هي الأخرى في الازدياد، وأفزعها الذعر الوشيك البادي في عينيه، وأخبرها أنه يجب أن يحصل على حمام.

ازدردت ليزا لأن فمها جاف، وفكرت في أنه محق في هذا على الأرجح. على الرغم من أن هذا شنيع، فدان لا يمكنه إيذاء حشرة. لكن ماذا إن تحققت مخاوفه، وركزوا جهودهم عليه بسبب ظروفه، ولم يستطيعوا إيجاد سائق الشاحنة، وحاولوا حينها إظهار دان مذنبًا حتى يحصلوا على مُدان فقط. طوال الوقت، يُدان الناس ظلماً. لا بد وأن هذا ما يحدث إنَّذا.

وستضطر إلى الكذب على الشرطة.

سأله بقلق: «كيف سندفع للمحامي؟».

نظر دان إليها بعينين وحشيتين وقال: «ستساعدنا كاثرين. يجب عليها ذلك، ويمكنها تحمل التكلفة، بالإضافة إلى أنها لن تريد لاسم العائلة الثمين التمرُّغ في الوحل. ستأتي لنا بأفضل ما يمكن للمال شراؤه».

بعد مرور وقت قصير، قاد دان وهو مشغول البال المسافة القصيرة التي تفصله عن منزل كاثرين. إنه بحاجة إلى الحديث مع كاثرين وچينا، التفت إلى ليزا قبل أن ينزلا من السيارة مباشرة وقال: «لا تخبريهما أنني ذهبت إلى الخارج في تلك الليلة، سيظل هذا الأمر بيني وبينك فقط. لا داعي لأن تعرفا. ماذا لو زل لسانيهما وأخبرت الشرطة؟».

هزت رأسها موافقة وعيناها البُنيتان على اتساعهما.

فتح تيد لهما الباب ودخلا المنزل، كانت چينا هناك كما توقع لكنه تفاجأ برؤية إيرينا في غرفة المعيشة هي الأخرى، فكر أنه ربما هي هنا من أجل المساعدة في إعداد الجنازة أيضاً، صاح دان قائلًا: «لقد حقق معي هذان المحققان تَوًّا في مركز الشرطة».

نظروا إليه جميعًا بقلق، وارتدى على أحد المقاعد وتابع: «كانا يتصرفان وكأنهما يعتقدان أنني من قتلتهما!».

لاحظ دان أن الآخرين ينظرون إلى بعضهم بعضًا، وأخذ يتساءل داخله إذا ما كانوا يظنون هم أيضًا أنه من فعل الأمر. بالتأكيد لا، اجتاحه الخوف فجأة وسأل: «ماذا؟ ما الأمر؟».

قالت كاثرين: «لقد استجوبا إيرينا هذا الصباح أيضًا».

وقصت عليه إيرينا ما حدث في مركز الشرطة، واستمع دان وذعره أخذ في التصاعد إلى الكلام كله، وجلس هو وليزا في زهول صامتتين، وكان الصوت الوحيد المسموع صوت الساعة على رف المدفأة.

ثم قال دان وهو يحدق إلى إيرينا: «لماذا فعلتِ هذا؟ ما الذي فعلته؟». وأخذ ينظر حول الغرفة إليهم جميعًا باضطراب شديد، وقال: «يجب أن أحصل على محام... اليوم... إلّا... (ثم سدد نظراته صوب كاثرين مباشرة) أنني لا أستطيع تحمل تكلفة الأمر».

أجابت كاثرين دون حتى أن تنظر إلى تيد لترى ما هو شعوره نحو هذا: «يمكننا أن نساعد في هذا الأمر. رجاء لا تقلق من هذا، سأدفع أنا».

وفي تلك اللحظة، بدأ هاتف كاثرين في الطنين. أخذوا جميعهم يحدقون إلى موضعه على الطاولة الجانبية، ثم ذهبت كاثرين إليه والتقطته.

لاحظت أودري الوقت الذي يأخذه كل استجواب، واستنتجت من الوقت القصير الذي قضاه دان في مركز الشرطة أنهما لم يعرفا الكثير منه، من المرجح أنه رفض الحديث إليهما، وعلى عكس إيرينا، انطلق دان بسيارته سريعاً وهي تمزق أرضية موقف السيارات مما يوحي بغضبه.

حاولت أودري إضاعة بعض الوقت بينما كانت تبقي عينيها على المدخل، أخذت تتصفح هاتفها، وذهبت لقضاء حاجتها مرة أخرى في متجر بيع الكعك وابتاعت قهوة أخرى وبينما تعود بسرعة إلى سيارتها، رأت كاثرين وهي تصل وتصف سيارتها في الموقف. إنها بمفردها هي الأخرى. تفقدت أودري الوقت، إنها قرابة الثانية والنصف ظهرًا.

كم تتمنى لو أنها حشرة تقف على الحائط هناك. ما تريد أودري أن تعرفه أكثر من أي شيء آخر هو: من كان على علم بأن فريد كان يخطط لتغيير وصيته لصالحها؟

بدت كاثرين متماسكة بشكل تام وهي تجلس في غرفة الاستجواب بعد يوم من العثور على والديها ميتين، استطاع رايس الإلمام بذائقتهما في الملابس وهو يراها الآن دون معطف الأطباء خاصتها، ذائقة باهظة وكلاسية. إنها تلبس بنطالاً أسود وقميصاً، ولا تضع لؤلؤاً اليوم، لكنها تضع قلادة من الذهب تتدلى منها ماسة، وسواراً من الألماس، وتمسك حقيبة مُصممة.

سألتها بار: «هل أحضر لك أي شيء؟ قهوة مثلاً؟».

ابتسمت كاثرين وقالت بأدب: «قهوة من فضلك».

إنها متماسكة أكثر من أخيها. رجعت بار بالقهوة، وشرح لها رايس أنها هنا طوعية وأنه يمكنها الذهاب متى شاءت.

أجابت كاثرين: «بالطبع، إنني أريد المساعدة قدر استطاعتي».

وأنكرت بدورها، في أثناء سير التحقيق، حدوث أي شيء خارج عن المألوف على عشاء عيد الفصح على الرغم من رحيلهم الجماعي الواضح، وأخبرتتهما أنها لم تخرج هي أو تيد من منزلهما بعد ذلك في تلك الليلة.

قال رايس بصوت حيادي: «إننا نعلم أن دان كان على خلاف مع والده، وأنه يعاني ضائقة مالية، وأنتم جميعاً على وشك أن تراثوا كمية هائلة من الأموال».

ثم تمهل قليلاً وسأل: «هل كانت هناك أيُّ مشكلات بين جينا ووالديكم؟». هزت رأسها وكأنها لا تطيق صبراً وقالت: «لا».

- ماذا عنك؟

- لا، (ثم أضافت سريعاً دون أيِّ تفكير) وإن كان هناك شيء ما فهو أنني كنت المفضلة.

رجع رايس للخلف في كرسيه مرة أخرى وقال: «أنتِ إذا كنت المفضلة، ودان الأقل تفضيلاً وجينا في نقطة ما في المنتصف؟ هل كان والداكم يفضلانكم على بعض؟».

رصد رايس رعشة ما في عينيها، ربما ندمت على ما قالتها، ثم أجابت: «لا، لم يكن الأمر هكذا. ما كان يجب عليّ قول ذلك. الأمر فقط هو أن والديّ كانا سعيدين بأنني طيبة. أما دان، فلقد كان لدى أبي آمال كبرى فيه، ولهذا كان قاسياً بعض الشيء عليه. وجينا، حسناً، لم يكونا يحبان فنّها. لقد كانا يشعران بأنه قليل الحياء».

- قليل الحياء؟

- نعم. إنها تنحت منحوتات للأعضاء التناسلية النسائية وأشياء من هذا القبيل.

هز رايس رأسه وقال: «فهمت. وهذا لم يسر بشكل جيد مع والديكم؟».

- ليس تمامًا. لكن هذه أشياء بسيطة للغاية. لقد كنا عائلة عادية للغاية.

لم يجب رايس على ذلك، ثم تابع: «هل أنتم قريبون من مرببتكم السابقة،

إيرينا؟».

- بالطبع، لقد اعتنت بنا لسنوات. إنها كأمنّا.

- هل لديها شخص مفضل؟

قالت كاثرين بصوت يخلو من أيِّ مشاعر: «اسمع، إنني أعلم ما ترمي إليه.

لقد جاءت إيرينا إلى منزلي منذ قليل وأخبرتني بشأن تحقيقك معها. إنني لا

أفهم لم فعلت ذلك. كل ما أعرفه هو أن ليس لأيّ واحد منا علاقة بهذا. ويجب عليك أن تتوصل إلى من فعل ذلك».

تركت كاثرين مركز الشرطة وهي مرتاحة بعض الشيء وتشعر بأن التحقيق سار على ما يرام. لقد كانت هادئة للغاية، ومُقنعة. كانت تأمل أن هذا آخر شيء ستفعله بشأن هذا الأمر. وبينما كانت تدخل إلى موقف السيارات، نظرت إلى الأعلى ولمحت أودري وهي تجلس بمفردها في سيارتها في آخر الردهة، توقفت كاثرين في طريقها وتفاجأت من رؤيتها لها هناك، تبادلت أودري معها نظرة عابرة ثم نظرت إلى الأسفل وكأنها تنظر في هاتفها، ولثانية ظلت كاثرين تفكر هل تذهب وتتحدث إليها، وتسألها عما تفعله هنا، وإذا ما كانت تراقبهم؟ أو هل اتصلت بها الشرطة لتأتي من أجل الاستجواب؟ ثم ذهبت كاثرين مباشرة إلى سيارتها هي وقد فارقتها ثقتها السابقة.

25

وقفت روز كاتر متوترة على عتبة منزل كاثرين مرتون، كانت راحتها تتعرقان، مسحتهما في تنورتها، ورنّت جرس الباب. إنها لا تريد أن تكون هنا، لكن كاثرين بالتأكيد في حاجة ماسة إلى دعمها.

إن روز تدين لها بالكثير، فلطالما كانت كاثرين صديقة يُعتمد عليها منذ أن كانتا في المدرسة الثانوية حين تقابلتا في حصة للغة الإنجليزية، لم تكن كاثرين طالبة تهتم باللغة الإنجليزية كثيرًا، كانت مهتمة أكثر بالعلوم، وأرادت الحصول على علامات عالية، وقد اقترنتا معًا لتأدية تكليف ما، ومن هنا بدأت روز في مساعدتها في كتابة مقالاتها، وازدهرت صداقة غير متوقعة بينهما وتوسعت خارج إطار الدراسة. كانت كاثرين مشهورة بفضل من تكون، وبفضل ملابسها الجميلة، كانت قادرة دائمًا على تحمل تكلفة أحدث صيحات الموضة. أما روز فكانت مغمورة ولا حس لديها في الأذواق والموضة مما كان يعني قبلة الموت في المدرسة الثانوية. إنها تتذكر كيف كانت كاثرين نبيلة معها، وكيف أوضحت للجميع أنهما صديقتان، وكيف تغيرت معاملة الأولاد الآخرين لها بعد ذلك. دعتها كاثرين لحضور الحفلات والخروجات، وفي غمضة عين، تقبلها الجميع.

كانت كاثرين تعلم أن روز لا تتمتع بالامتيازات التي تتمتع هي بها، لذلك ساعدتها على لبس الملابس بشكل أفضل، وحتى إعطائها البعض من ملابسها، أو اصطحابها إلى متاجر الملابس المستعملة حتى تجد بعض القطع التي تستطيع تحمل تكلفتها. كانت روز تتساءل في بعض الأوقات إذا ما كانت

مشروعًا ما لكاثرين، إذا ما صادقتها كاثرين بدافع الشعور بالذنب الذي يشعر به الأغنياء. لكنها أدركت بعد ذلك أنه على الرغم من أن كاثرين تبدو مشهورة، فإنها كانت وحيدة، ومع روز كان يمكنها أن تكون على حقيقتها. وأصبحتا مقربتين. إن كاثرين ليست واثقة من نفسها كما تبدو، وكانت الأجواء صعبة في منزلها. وكانت بحاجة إلى صديق بقدر ما كانت روز تحتاج هي الأخرى، وفي يوم من الأيام أفضت إلى روز أنها أمسك بها بينما كانت تسرق من أحد المتاجر، وأخبرتها أنها كانت تعتقد أن والدها سيقفلها، ذهلت روز لأن والديها مليونيران، وكان يمكن لكاثرين أن تحصل على أي شيء تريده، لماذا تسرق إذن؟ لكن هذا جعل روز تشعر بتحسن لأنها كانت تعلم دائمًا كم هي نفسها جشعة، وكان من الجيد معرفة أنها ليست الوحيدة.

بقيتا على تواصل عندما كانتا ترتادان جامعتين مختلفتين -روز كانت ترتاد «صاني SUNY» أما كاثرين فكانت ترتاد «فاسار Vassar»- وجمع شملهما من جديد حين وجدت نفسيهما مرة أخرى في أيلسفورد امرأتين بالغتين، وعادت صداقتهما إلى المنوال ذاته الذي كانت عليه. دعتهما كاثرين إلى مناسبات اجتماعية مختلفة، مثل الجولة النهرية مع «نادي هدرسون لليخوت Hudson Yacht Club»، ومسابقة البولو الخيرية التي حدثت العام الماضي. أشياء ما كان يمكن لروز أن تحضرها قط أو أن تتحمل تكلفتها بنفسها. لكن في أغلب الأوقات كانتا تجتمعان لشرب القهوة، أو تناول الغداء والسير مسافات طويلة بينما تتشاركان تفاصيل حياتهما، وتذكران الأوقات السعيدة التي حظيتا بها في الماضي.

فتح تيد الباب لها، كانت روز قد رأت كاثرين وتيد معًا في عديد من المناسبات الاجتماعية. لطالما كانت ترى تيد شخصًا جذابًا، فهو ذوقامة طويلة، وله منكبان عريضان، وبنية قوية، وهادئ. إنها سعيدة لكاثرين لوجود شخص يمكنها الاعتماد عليه، ابتسمت له ابتسامة أولية وقالت: «مرحبًا تيد، هل يمكنني الدخول؟».

قال معتذرًا: «إن الوقت غير مناسب يا روز. لقد عادت كاثرين تَوًّا من مركز الشرطة».

سمعت روز صوت كاثرين قادمًا من الداخل تقول: «هل هذه روز؟».

ثم جاءت كاثرين إلى الباب ووقفت خلف تيد وقالت: «روز».

وابتسمت لها مرحبة لكنها ابتسامة على وشك البكاء، صاحت روز قائلة وهي تقترب لتحتضنها: «أوه يا كاثرين».

واحتضنتها وهي تشتم رائحتها المعهودة، وأغلقت روز عينيها وهي تحاول منع نفسها من البكاء.

إن كاثرين صديقة عزيزة لها، لكن لطالما كانت روز تغار منها بسبب امتلاكها لجميع الأشياء التي لا تمتلكها هي بسبب الامتيازات التي توفرها الأموال، نشأت روز بواسطة أم معيلة أرملة كانت تقتصد وتوفر طوال حياتها. ولو حققت روز أي شيء لنفسها، فالفضل في هذا يرجع إلى عملها الشاق وحده. إنها تعلم أن عائلة مرتون لم تكن عائلة سعيدة، لكن لديها الملايين. على الرغم من ذلك، تظل كاثرين صديقتها المقربة. ارتعشت روز قليلاً وهي تحتضن كاثرين، وهي تفكر يجب ألا يعرفوا ما فعلته.

شاهد رايس جينا مرتون وهي تدخل غرفة الاستجواب مرتدية بنطال جينز ممزقاً وسترة من الجلد الأسود. إنه منبهر من جديد كيف أن أبناء الزوجين مرتون الثلاثة مختلفون تماماً عن بعضهم بعضاً، ثم فكر بصورة عابرة في ولديه الاثنين. إنهما مختلفين تماماً عن بعضهما في المظهر، والحالة المزاجية، والاهتمامات، ثم أولى اهتمامه مجدداً إلى المرأة الجالسة أمامه، ودخل مباشرة في صلب الموضوع بعد عدة أمور افتتاحية. شرع رايس في الحديث قائلاً: «أنتِ وچاك برنر كنتما آخر من رأى والديك حيين».

قالت وهي ترفع حاجبها: «نحن كنا متخلفين عن الآخرين بخمس دقائق فقط».

نظر رايس إليها نظرة طويلة وقال: «إلا أنكما لم تكونا، إنكما لم ترحلا مباشرة بعد الساعة السابعة كبقية الآخرين، لقد رحلت بعد ذلك بساعة، بعد الساعة الثامنة».

تجمدت جينا في مكانها قليلاً لكنها لم تقل شيئاً، وكأنما كانت تفكر فيما ستقوله، انتظرها، وأخذا يحدقان إلى بعضهما بعضاً، ثم قال: «لقد شاهدك أحد الجيران وهو يتجول مع كلبه أمام المدخل الخاص بمنزله بعد الساعة الثامنة مساءً بقليل. لقد تعرف على سيارتك، وكان قد رآها أكثر من مرة قبل ذلك».

أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت: «حسنًا، أيًا يكن».

- ما الذي حدث في تلك الساعة الإضافية؟

قطبت جبينها وهزت رأسها قائلة: «لم يحدث الكثير. لقد تحدثنا قليلًا، أعتقد أنني لم أنتبه للوقت حينها».

حاول أن يحملها على قول المزيد، لكنها التزمت بقصتها، ثم غير الموضوع وقال: «هل خرجت مرة أخرى تلك الليلة؟».

- لا، عدنا مرة أخرى إلى منزلي، وأخلدنا إلى النوم. لقد قضى چاك الليلة معي.

بعد ما أخذت بصمات چينا ورحلت، قال راييس لبار: «يجب أن نتفقد حجج غيابهم».

كانت أودري على وشك أن تكتفي بهذا القدر. إنه أمر متعب وممل معظم الوقت أن تجلس في سيارة هكذا في موقف للسيارات. لقد مكثت هنا لعدة ساعات، وقد رأتها كاثرين، وستخبر الجميع بأنها تراقبهم. هذا أمرٌ جيد. إنها تعلم أن المحققين قد تحدثا حتى الآن إلى كاثرين وچينا، بالإضافة إلى دان وإيرينا، وظنت أن اليوم سينتهي على هذا، وكانت على وشك أن تدير سيارتها حين رأَت وجهًا مألوفًا يقترب من الباب الأمامي لمركز الشرطة، انحنت للأمام على زجاج السيارة الأمامي لتتبين. إنها ليزا زوجة دان. لا بد وأنهما يتأكدان من أقوال دان ويعرفان إذا ما كان لديه حجة غياب، ورجعت مرة أخرى للخلف في كرسيها وهي مسرورة.

ابتلعت ليزا مخاوفها ودخلت إلى غرفة الاستجواب، كان قلبها يخفق بشدة، فهي على وشك المخاطرة. لم يرد دان لها أن تأتي. أخبرها أن ترفض، وأن تنتظر حتى يحصل على محام. وبفضل كاثرين، لديهما ميعاد لاحقًا هذا المساء مع واحد من أفضل المحامين الجنائيين، «ريتشارد كلين». لكنها أصرت على موقفها قائلة: «دان، سأذهب إلى هناك وسأخبرهما أنك كنت معي طوال الليل، بهذه البساطة. كيف سيبدو الأمر إذا ما رفضت الحديث معهما؟».

وها هي ذي الآن. إنها تعرف ما يجب عليها قوله وما لا يجب عليها قوله، وبدؤوا بالمقدمات العامة، ثم قال المحقق راييس بعد ذلك بوقت قصير: «إننا نعلم أن شيئاً ما قد حدث في أثناء عشاء عيد الفصح. هل تودين إخبارنا بشأن هذا الأمر؟».

كان هذا غير متوقع، وتساءلت من قد زل لسانه منهم ثم هزت رأسها وقطبت جبينها وكأنها لا تفهم ما يقصده وقالت: «لا، لقد كان عشاء عيد فصح عادياً للغاية».

سأل راييس: «هل خرجتِ أنتِ أو زوجك مرة أخرى في تلك الليلة بعد عودتكما؟».

كانت تعلم أنه سيسأل هذا السؤال، إنه سبب وجودها هنا، وقالت باقتناع تام: «لا، مكثنا طوال الليل في منزلنا بعد عودتنا من منزل والديه».

لم يكن تيد مرتاحاً؛ كان يمكنه الشعور بنفسه وهو يتعرق تحت ذراعيه وأسفل ظهره. إنه غاضب للغاية من كاثارين لوضعها إياه في هذا الموضع، ولم يستطع أن يرفض المجيء إلى هنا حين استدعي، فلقد استدعي كل واحد منهم إلى مركز الشرطة اليوم كالنمل الزاحف إلى بعض الطعام، وقد أخذت بصماتهم جميعاً. أخبرته كاثارين حين كانا بمفردهما أخيراً: «فقط أخبرهما أنني كنت في المنزل طوال الليل. إنه ليس بأمر صعب».

أجابها بغضب: «كان يجب عليك أن تقولي الحقيقة لهما».

أقرت بانفعال: «نعم، ربما كان يجب عليّ ذلك. لكنني لم أفعل. لقد ارتكبت خطأ، والسؤال الآن هو، هل ستزيد الأمر سوءاً، أم هل ستساعدني؟».

واتفق على أن الالتزام بقصتها الأصلية سيكون الخيار الأمثل في ظل الظروف الراهنة، لذا ها هو الآن. إنه لا يزال منزعاً بعض الشيء لأنها وافقت بسرعة على دفع تكاليف دان القانونية. ماذا لو كلفت مئات الآلاف؟ لكنه مالها، إنها من سترث ثروة طائلة، وليس هو، لذا لا يوجد الكثير ليقوله. إنه رجل واثق من نفسه، وواثق من أنه سيبلي جيداً في الاستجواب، وواثق من أن كاثارين لم تقتل والديها.

قال راييس: «شكراً لقدومك».

أنكر تيد حدوث أي شيء خارج عن المألوف على العشاء في تلك الليلة. لقد اتفقوا جميعًا على الالتزام بهذا، وأنها كانت أمسية لطيفة بلا أي مشاحنات، وأخيرًا سأل رايس السؤال المنتظر: «هل خرجت مرة أخرى بعد ما عدت إلى المنزل من عشاء عيد الفصح يوم الأحد في منزل الزوجين مرتون؟».

- لا.

- ماذا عن زوجتك؟

قال وهو يهز رأسه نافيًا: «لا، لقد كانت في المنزل معي طوال الليل».

فور مغادرة تيد لمركز الشرطة، قررت أودري أن تكتفي بهذا القدر. إن الأمر محبط للغاية أن تكون عالقة هنا في موقف السيارات بينما كل الأحداث تدور داخل هذا المبنى. المكان الوحيد الأكثر تشويقًا اليوم من هذا هو على الأرجح منزل كاثرين أم دان، ولا يمكنها دخول أي منهما أيضًا، تفقدت هاتفها مرة أخرى ثم تصفحت سريعًا الأخبار المحلية الإلكترونية. إن فرق الشرطة تُجري الآن عمليات بحث في النهر القريب من بريكن هيل بحثًا عن أدلة في جريمتي قتل فريد وشيلا مرتون، ثم أدارت السيارة وخرجت من موقف السيارات.

26

وقفت أودري تطالع نهر هدسون، ونسمة الهواء الخفيفة تحرك سطحه المظلم. هناك قارب خاص بالشرطة يتمايل على سطح الماء بخفة حيث يعمل غواصون في بدلات مبطلة. بينما كان بعض ضباط الشرطة يفتشون حافة النهر، كان بإمكان أودري أن ترى جسرَي أيلسفورد، الأول يقع عن جنوبها، والآخر عن شمالها ويمتدان فوق النهر ليصلا إلى جبال كاتسكيل «Catskill Mountains» في الناحية الأخرى. كان ليكون منظرًا جميلًا هادئًا، لكن أُفسد بسبب ما يحدث هنا.

إن أودري جزء من حشد صغير كان قد تجمع في ذلك الجو الربيعي السار ليشاهد تحركات عناصر الشرطة، والصحافة هنا أيضًا. أخذت تراقب بصمتٍ لفترة وهي تقف بجوار امرأة تبلغ الثلاثين من عمرها ويبدو على سلوكها الرسمية. تساءلت أودري إذا ما كانت صحافية، ثم لاحظت شعار «صحيفة أيلسفورد المحلية» على الزجاج الأمامي لسيارتها الذي أكد الأمر. سألت أودري المرأة: «ما الذي يفعلونه؟».

نظرت إليها المرأة بسرعة ثم عادت بتركيزها مرة أخرى على النهر، وقالت: «إن الأمر يخص قضية قتل فريد وشيلا مرتون. إنهم لا يقولون الكثير، لكن من الواضح أنهم يبحثون عن أدلة، سلاح الجريمة على الأرجح، السكين، (صممت لبرهة ثم أضافت) والملابس الملطخة بالدماء. جريمة قتلٍ بتلك

الوحشية، لا بد وأن القاتل توجب عليه أن يتخلص من ملابسه، لا بد وأنهم يبحثون عن هؤلاء أيضًا».

فكرت أودري أنها نقطة جيدة. ما يزعجها هو أنها لا تعلم بمستجدات الجريمة مثلها مثل الصحافية وهي فرد من العائلة. لقد كان فريد أخاها وعلى الرغم من ذلك لا تُخبر بأي شيء. الشرطة لا تشارك شيئًا، والعائلة لا تتحدث إلى الصحافة. فكرت في كل ذلك وهي تحاول إخماد شعورها بالسخط الضاري تجاههم جميعًا.

سألت أودري وهي تأمل أن تشارك الصحافية بعض المعلومات الأخرى: «هل جد جديد بشأن الأمر؟».

هزت المرأة الواقفة جوارها رأسها ثم هزت كتفها وقالت: «أراهن أنهم يعرفون أكثر مما يشاركونه. إنها عائلة ثرية. دائمًا ما يحظى الأثرياء بمعاملة خاصة، أكثر خصوصية، وأكثر احترامًا».

قالت أودري فجأة دون أي تفكير: «إنني أعرف العائلة».

التفتت المرأة الواقفة جوارها إليها ولأول مرة أخذت ترمقها باهتمام وقالت: «أهذا صحيح؟ كيف؟».

- لقد كان فريد مرتون أخي.

نظرت إليها المرأة تقيمها وكأنما تحاول أن تستشف إذا ما كانت محتالة نوعًا ما، أو ربما قيمت سريعًا عمر أودري ومظهرها وأدركت أنها ربما تقول الحقيقة، وقالت: «حقًا؟ هل تودين التحدث عن الأمر؟».

ترددت أودري وألقت نظرة على قارب الشرطة المبحر في النهر، ثم هزت رأسها بالنفي والتفتت لتذهب، ثم قالت المرأة الأخرى: «انتظري! لأعطيك بطاقةتي. (وناولت أودري بطاقة العمل خاصتها وقالت) إذا أردت التحدث، اتصل بي. في أي وقت. إنني أود حقًا الحديث معك إذا كنت من تدعينها».

أخذت أودري البطاقة ونظرت إليها، «روبين فونتين» ثم نظرت إلى الأعلى وصافحت المرأة قائلة: «أودري ستانسك، لكن اسم عائلتي هو مرتون».

ثم التفتت وتوجهت إلى سيارتها.

أخذ رايس يتفحص الشاب الجالس أمامه. إن چاك برنر له مظهر الفنان الجائع، فهو يلبس بنطال چينز ممزقًا، وقميصًا مجعدًا، ويرتدي معطف جلد باليًا، وله لحية عمرها يومان، يحاول جاهدًا أن يبدو شخصًا لا مباليًا، أن يبدو وكأنه لا يهتم لأمر أي شيء في هذا العالم، لكن رايس يمكنه الجزم بأنه لا يبدو مرتاحًا كما يود أن يبدو، فهو يبتسم كثيرًا من جهة، ويطرق بإبهامه على سطح الطاولة بطريقة غير منتظمة ومزعجة من الجهة الأخرى.

قال رايس: «شكرًا لقدمك من مدينة نيويورك لتتحدث إلينا، (ثم سأل بلا اكتراث) كيف أتيت إلى هنا صحيح؟».

- القطار.

هز رايس رأسه ثم قال: «إننا نريد طرح بعض الأسئلة عن ليلة الحادي والعشرين من شهر إبريل، ليلة أحد الفصح. (هز چاك رأسه موافقًا) لقد ذهبت ذلك اليوم برفقة چينا مرتون إلى العشاء في منزل والديها، هل هذا صحيح؟».

نظر چاك إليهما بثبات وقال: «نعم».

- كيف كان هذا العشاء؟

أخذ چاك نفسًا عميقًا ثم زفره وقال: «كان فاخرًا بعض الشيء، وكنت قلقًا إذا ما كنت أستخدم الشوكة بشكل صحيح. (ثم ابتسم مرة أخرى وتابع) إنهما ثريين للغاية، وبدوا لطيفين بقدر كافٍ».

- هل كان الجميع على وفاق في تلك الليلة؟

قال وهو يهز رأسه بالإيجاب: «أعتقد ذلك».

- حسنًا. على حد علمي، أنت وچينا كنتم آخر من رحل عن المنزل في تلك الليلة. (بدا أن چاك تجمد للحظة ثم أسترخى مرة أخرى) إننا نعلم أنك وچينا رحلتما بعد الجميع بساعة. لماذا كان هذا؟ (لم يعد چاك يبتسم الآن، وسأل رايس بشكل تحادثي) ما الذي فعلته أنت وچينا داخل منزل الزوجين مرتون في تلك الساعة؟».

أجاب چاك وهو يهز كتفيه: «لا شيء، كنا نتحدث فقط. أرادا أن يتعرفا عليَّ أكثر».

- حقًا؟ (ثم انحنى رايس للأمام وسأل) ما الذي تحدثتم عنه بالتفصيل؟

- ازدرد چاك بتوتر وقال: «كنا نتحدث عن الفن أغلب الوقت، فأنا فنان».
- هل حدث في تلك الليلة أيُّ خلافات يا چاك؟ هل حدث أيُّ شيء على العشاء؟ أو ربما بعد العشاء؟
- هز رأسه بنفي تام، وقال: «لا، لم تحدث أيُّ خلافات. لقد مكثنا لنتحدث معهما بعض الوقت ثم رحلنا، ولقد كانا بخير حال حين ذهبنا، أقسم لك».
- لننتقل إلى سؤال آخر. ماذا فعلتما أنت وچينا بعدما تركتما منزل الزوجين مرتون؟
- عدنا مرة أخرى إلى شقتها، وقضيت الليلة هناك.
- لم يخرج أيُّ منكما مرة أخرى؟
- لا.

نظر إليه رايس نظرة طويلة وقال: «حسنًا إذًا، سنبقى على تواصل».

وأرسله مع بار لتأخذ بصماته، وحين عادت بار، قال لها: «ثلاثتهم لديهم حجج غياب متوافقة، ألا تعتقدين؟ (أومأت بار له بتهكم) حسنًا، أنا لست مقتنعًا بذلك. يجب علينا أن نتفقدهم. تفقدي إذا ما يمكنك أن تحصلي على تسجيل مصور من محطة قطار أيلسفورد، وإذا ما ركب القطار عائدًا إلى مدينة نيويورك في تلك الليلة. وإذا لم تستطعي، تفقدي التسجيل الصباحي أيضًا. أريد التأكد. (هزت بار رأسها) وسأذهب في الوقت الراهن إلى مصلحة الطب الشرعي لأعرف نتيجة التشريح الثاني».

كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً حين توجه رايس إلى مكان المشرحة القريب.

حيته الطبيبة الشرعية، ساندي فيشر، وهي تقول: «كنت على وشك الاتصال بك».

وقادته إلى حيث ترقد جثة فريد مرتون مكشوفة على نقالة من المعدن، ونظرا إلى الأسفل نحوه. قالت ساندي: «هناك أربع عشرة طعنة، وبعضها يُظهر ضراوة شديدة. لكن نحر عنقه هو ما تسبب في قتله أولاً. لقد أُمسِكَ من الخلف ونُحر عنقه من اليسار إلى اليمين - على الأرجح القاتل أيمن اليد - ثم سقط أو طُرح أرضًا على بطنه وطُعن أربع عشرة طعنة في ظهره بعمق أخذ

في الانخفاض لأن القاتل كان قد أنهك على الأرجح. (توقفت لبرهة ثم أضافت)
هناك الكثير من الغضب». قال رايس موافقاً: «نعم».

- هناك شيء آخر مثير للاهتمام، إن فريد مرتون كان يعاني مرحلة
متأخرة من سرطان البنكرياس، كان سيموت على أي حال، كان أمامه
ثلاثة أشهر أو أربعة على الأغلب.

قال رايس دهشاً: «هل كان يعلم بالأمر؟».

- أوه، أعتقد ذلك بكل تأكيد.

عاد رايس إلى سيارته وهو يفكر. هذا بلا شك سيضيف ثقلًا لادعاء أودري
ستانسك بأن فريد كان سيغير وصيته، وأخذ يتساءل من منهم كان يعلم بأن
فريد يُحتضر وما الذي كان يخطط له.

27

توجه دان في وقت ما بعد الظهيرة من يوم الأربعاء إلى مكتب المحامي في مركز المدينة، وكانت ليزا تجلس بجواره صامتة، كانت قد أخبرته أن تيد هو الآخر قد ذهب إلى الاستجواب بعدها مباشرة ليعلم أنهم يتفقدون تحركات كاثرين هي الأخرى في تلك الليلة. إنه يفكر فيما قالته ليزا بينما كان يصف سيارته في المرأب الخاص بالبناية الموجود بها مكتب المحامي الجنائي خاصته. لكن كاثرين لا تعاني ضائقة مالية مثله، وليست على خلاف علني مع والدهم مثله. دلفا من الباب الزجاجي الخاص بالشركة القانونية الفاخرة. إنها ليست الشركة نفسها التي كان والدهم يتعامل معها. وهذه الشركة لديها أفضل محامٍ للدفاع الجنائي في أيلسفورد كلها. لم يضطرا إلى الانتظار، فلقد خرج ريتشارد كلين ليقابلهما ويقودهما مباشرة إلى مكتبه.

لم يولِ دان محيط المكان تركيزه، كان يولي جُل تركيزه للمحامي فقط وكأنه طوق النجاة له. سيخبرهما كلين بما يجب عليهما فعله، سيوضح للشرطة أن لا علاقة له بالأمر. هذه وظيفته. قال المحامي مطمئناً: «إنني سعيد لأنكم اتصلتم بي، لقد فعلتم الصواب».

وأخبره دان بكل شيء؛ عشاء عيد الفصح المتوتر، والعثور على الجثتين، وما فعلته إيرينا بالسكين، والخلاف بينه وبين والده، والضائقة المالية التي يعانيتها، والطريقة العدوانية التي استجوبته بها الشرطة. لكنه على الرغم من ذلك لم يخبره بأمر خروجه من المنزل في تلك الليلة -وأنها عادته- وأن ليزا كذبت على الشرطة من أجله، أنصت المحامي إليه بإمعان وطرح بعض

الأسئلة المعتادة، ثم سأل كلين: «لقد كنتما في منزلكما طوال الليل؟ وأكدت زوجتك هذا الأمر؟».

هز دان وليزا رأسيهما بالإيجاب.

- لا مشكلة عندك إذًا، (ثم مال إلى الأمام على مكتبه وأخفض رأسه) إنهما يفتشان وراءك - ووراء أختيك على الأغلب أيضًا - بسبب الأموال. وهذا أمر طبيعي. لكن لا يهم إذا ما كانا يعتقدان أنك تملك الدافع ما داما لا يملكان دليلًا. وسننتظر لنرى ما سيأتيان به.

- أنا لم أفعل أي شيء.

- صحيح، لذا لن يكون هناك أي دليل. لا يوجد ما تقلق بشأنه. فقط تما لك نفسك. لن يتمكننا من اتهامك بالباطل وأنا معك. ولا نتحدثا معهما أنتما الاثنين مرة أخرى دون وجودي. ولو أرادا التحدث معك، اتصل بهذا الرقم. (وناوله بطاقته بعد ما كتب عليها سريعًا رقمًا) هذا رقمي. اتصل بي في أي وقت، ليلاً أم نهارًا، سأتي.

قال دان وهو يأخذ البطاقة: «حسنًا».

اتفقا على الأتعب، وأكد له دان أنها لن تكون مشكلة لأن أخته كاثرين منحته قرصًا، وأقر داخل نفسه أنه حين ينتهي كل هذا، سيدفع لها من حصته في الميراث، وأخيرًا، نهض دان ليرحل وليزا أيضًا.

لكن المحامي أوقفهما قائلاً: «شيء أخير. أيًا كان ما ستفعلانه، لا نتحدثا إلى الصحافة، لن تستطيع الشرطة أن تفعل الكثير لكما دون دليل، لكن الصحافة يمكنها رغم ذلك أن تدمركما».

توجهت أودري من النهر إلى منزل إيلين مباشرة دون أن تعلمها مسبقًا. إن لديهما هذا النوع من الصداقة؛ كلتاهما أرملة تعيش بمفردها، لذا لا خوف من مقاطعة أي شيء، وكثيرًا ما تزوران بعضهما بعضًا. لقد كانت أودري تبقي مشاعرها تحت السيطرة طوال اليوم لكنها انفجرت في البكاء فور أن رأت وجه إيلين الطيب الحميم.

قالت إيلين في زعر: «ما الخطب؟».

فاضت أودري بكل شيء؛ زيارتها لوالتر هذا الصباح، وكيف أن فريد لم يغير وصيته لصالحها في النهاية، وشكوكها في أن أحد الأبناء قتل والديه قبل أن يتسنى لفريد أن يحقق ما عقد نيته على فعله، لم تبُح أودري لأي شخص عن أمر الميراث إلا إيلين. إنها الوحيدة التي تعلم هذا الأمر، الوحيدة التي تأتمنها أودري على أسرارها.

عقدت الصدمة لسان إيلين في البداية، ثم قالت: «أوه يا أودري، أنا حقًا أسفة لك».

وحين توقفت أودري عن النحيب أخيرًا، شعرت بأنها مستنزفة، ومُنهكة بالكامل.

- إنكِ حقًا لا تظنين أن واحدًا من أولادهما هو من فعل هذا، أليس كذلك؟ سألت إيلين بتردد وكأنها لا يمكنها تحمل الفكرة، لأن الجميع يعلم كيف قُتل فريد وشيلا مرتون، إن الأمر يملأ الأخبار، أجابتها أودري: «إنني متأكدة من الأمر، (ثم قالت بنبرة متعقدة) وسأكتشف من هو. إن الشرطة تعتقد هذا أيضًا، فلقد أتوا بهم جميعًا للاستجواب اليوم».

بينما يحل المساء في الخارج، انضمت كاثرين إلى تيد في المطبخ لتناول العشاء. لا يوجد داعٍ للطبخ فالثلاجة ممتلئة بعدد من الأصناف، أخرج تيد بعض الأطعمة التي يعتقد أنها ستحبها أكثر من غيرها. لقد كان يومًا طويلًا وممتلئًا بالتحديات، فبجانب الضغط الناتج عن استجواب الشرطة لهم جميعًا، كانت أيضًا مشغولة بتلقي مكالمات التعازي من أصدقاء العائلة. لقد كان الأمر صعبًا؛ أن تتقبل تعازيهم بينما تخدم فضولهم المتلهف. لقد تماكنت نفسها بإحكام طوال اليوم مما تسبب الآن في تألم جسدها كله. لكنها أنهت تحضيرات الجنازة كلها تقريبًا، ستنعقد يوم السبت، الساعة الثانية بعد الظهر. يتوقعون حضور حشد، فلقد كان والداها من المواطنين البارزين في أيلسفورد والطريقة التي ماتا بها ستجذب الكثير لحضور الجنازة التي ربما كانوا سيتغيبون عنها لولا ذلك. سيكون هناك تأبين بعد الجنازة في نادي الجولف مزود بالأطعمة والمشروبات، والعرض المتوقع لصورهم في الخلفية. وحين ينتهي كل ذلك، ستنهار كاثرين، فهي لن يتاح لها الوقت لتستوعب ما

حدث في الأيام الماضية حتى ذلك الوقت، وأخذت تتساءل كيف سيؤثر الأمر عليها حين تسمح له أخيرًا بذلك.

اقترب تيد منها على الطاولة وقال: «هل أنت بخير؟». هزت رأسها ببطء.

قال يحثها وهو يشير إلى وجبتها المفضلة، اللازانيا: «تناولي شيئًا». غرفت بفتور بعضًا من اللازانيا المعاد تسخينها في طبقها، ووضعت القليل من السلطة، وحاولت الأكل. لكنها بدأت في الارتجاف، وأخذت الشوكة التي في يدها تهتز بشدة إلى حد أنها لم تستطع حملها إلى فمها، وأسقطتها على طبقها محدثة صوت.

قال تيد: «كاثرين، ما الأمر؟». صاحت قائلة: «ماذا لو...».

ولم تستطع أن تكمل.

نهض تيد من مقعده وذهب ليجلس بجوارها، ثم طوقها بذراعيه بينما أخذت تبكي على صدره، وقال هامسًا في شعرها: «ماذا لو ماذا؟». نظرت إليه وقالت: «ماذا لو كان دان من قتلها؟».

بدأت مشاعر خوف تيد تلوح. فلقد جهرت كاثرين بخوف حاول أن يتجاهله منذ عصر اليوم الماضي حينما كان دان يتصرف بغرابة شديدة. كان مهتاجًا ومضطربًا للغاية وقال أشياء غير لائقة تمامًا. والآن، لا يعرف تيد ما يقوله، وكيف يعزيها. كل ما استطاع أن يفعله هو ضمها، ثم ابتعدت عنه ورأى وجهها وقد خطته الدموع، ويبدو أن وجنتيها قد أفرغت خلال اليوم ونصف الماضيين.

مسد شعرها وهو يقول: «ستصير الأمور على خير ما يرام يا كاثرين، (ثم قال بعد ذلك بقلّة حيلة) أنا أحبك».

لم يكن قد رآها مفجوعة هكذا من قبل، ثم قال برفق وهو يوجهها إلى غرفة المعيشة مرة أخرى: «تعالى». لقد فقدتا شهيتهما للطعام، وجلسا معًا على الأريكة، ثم التفتت إليه كاثرين بعينين واسعتين ممتلئتين بالدموع وقالت: «لقد كان يكره والدنا يا تيد. لا فكرة لديك».

سأل تيد وهو يبتلع اشمئزازه: «لكن هل يمكنه فعل ذلك؟ إنكِ تعرفينه أفضل مني».

- لا أعلم.

ثم قالت بصوت أجوف: «ربما».

شعر تيد برعشة تسري على طول ظهره. فكرة أن دان خنق والدته وطعن والده مرارًا وتكرارًا بغضب مستعر ثم تظاهر بأنه بريء أمامهم جميعًا مخيفة للغاية إلى حد أنها أشعرته بالتعب جسديًا، همست كاثرين: «لا أعلم ما يجب علي فعله».

قال تيد: «ليس عليك فعل أي شيء».

لكن حتى في اللحظة التي قال لها ذلك، كان يتساءل ما الذي يجب عليهما فعله. لو أنه القاتل، فلا يمكنهما أن يستمرا في السماح له بالدخول إلى منزلهما بكل بساطة. ربما يكون مجنونًا بالفعل.

قالت كاثرين بقلق: «إنه محق. إنهما سيظنان أنه من فعلها وسيستجوبانني مرة أخرى».

أخذ تيد، المكروب بشدة، يحرق بعينين خاويتين خارج نافذة حجرة المعيشة، بينما لا تزال ذراعه تحيطان بكاثرين، ثم رأى شخصين في الجهة المقابلة للشارع يتوجهان إلى باب منزل الجيران. يبدو أنهما مألوفان بعض الشيء، ثم، وبرجة، أدرك تيد من هما، إنهما المحققان رايس وبار. ما الذي يفعلانه في شارعهما؟ وفجأة أدرك الأمر. هناك سبب واحد فقط لوجودهما هنا، لا بد وأن كاثرين قد شعرت بارتباك المفاجئ لأنها نظرت إليه وقالت: «ما الأمر؟».

ثم تابعت موضع نظره في الشارع، ورأت المحققين، وشهقت. قال تيد: «اللعة».

قالت كاثرين خائفة: «ماذا إذا ما رأي أحدهم؟».

كانت أفكار تيد تتدافع. ربما قد رأى أحد كاثرين وهي تخرج في وقت متأخر تلك الليلة، أو ربما رصدتها كاميرا ما، وإذا ما كانت الشرطة تتأكد من صحة أقوالها، فمن الممكن أن يتوصلوا إلى الحقيقة. هذا ما كان يخاف حدوثه.

أجابها ببطء: «يجب عليكِ إذا أن تقولي لهما الحقيقة، وأنكِ لم تخبريهما بالأمر سابقًا لأنكِ كنتِ في صدمة، وخائفة مما قد يظنانه بسبب الميراث. وأنكِ ذهبتِ إلى هناك، ووجدتِ أبويكِ بخير وعدتِ إلى المنزل مرة أخرى». همست له قائلة: «لكن...».

أصبح وجهها شاحبًا على نحو صادم مما أفزعته ودفعه إلى سؤالها: «لكن ماذا؟».

- لم يكونا بخير. لقد كانا ميتين بالفعل.

28

حدق تيد بدوره إلى زوجته في صدمة وحيرة قائلاً: «ماذا؟!». قالت وهي تبكي أكثر من ذي قبل ودموعها تنهمر على خديها: «إنني آسفة يا تيد. لقد كذبت عليك أنت أيضاً».

ابتعد عنها وهو يحدق إليها بفرع وقال: «ماذا تعنين بأنهما كانا ميتين بالفعل؟ ولم تقولي شيئاً؟».

وتسارع خفقان قلبه وهو يدرك أن زوجته، المرأة التي يعرفها تمام المعرفة، رجعت إلى المنزل بعدما رأت والديها مقتولين بوحشية وأخذت إلى النوم كأن شيئاً لم يكن، وأخبرته بلا اكتراث في الصباح التالي أنها تحدثت مع والدتها واختلقت كذبة أن والدتها طلبت منها أن تتحدث مع والدها من أجل جينا، وأخذ العالم يدور من حوله.

صاح بغضب: «ما الذي تقولينه بحق الجحيم؟».

قالت ترجوه: «من فضلك يا تيد لا تغضب مني! لم أعلم ما يجب عليّ فعله!».

وذهبت لتأخذ بعض المناديل من العلبة على الطاولة الصغيرة وأخذت تمسح دموعها، ثم حاولت أن تتماسك بينما كان يتابعها ونبضات قلبه التي تدق بقوة تدوي في أذنيه.

- لقد ذهبت إلى هناك لأتحدث إلى أمي، حين وصلت إلى هناك، كان الوقت متأخراً، قرابة الحادية عشرة والنصف، وكانت الأضواء لا تزال

مضاءة في الطابق العلوي، لذا طرقت الباب، لم يفتح أحد، فطرقت مرة أخرى، كنت متأكدة من أنهما لم يزالا مستيقظين، ثم بدأت التفكير في أن الأمر غريب لأن أمي لم تجب على هاتفي، ولم يفتح أحدهما الباب، حاولت فتحه، ولم يكن موصداً، لذا دخلت. كان البهو مظلمًا، لكن كان هناك ضوء خفيف في المطبخ، ألقيت نظرة على غرفة المعيشة، ورأيت مصباحًا معلقًا على الأرض ثم... رأيت أمي، كانت راقدة على الأرض في غرفة المعيشة، (واصلت الحديث وهي تلهث) ذهبت إليها، كانت ميتة، وكانت عيناها مفتوحتين. لقد كان الأمر مريعًا.

كان تيد يشاهد ألمها الواضح وذعرها وهو ينصت بفزع.

- أردت أن أفر بعيدًا، لكن بدا وكأنني مشلولة، لم أستطع الحراك، كنت مرعوبة، ظننت أن والدي قد قتلها، أنه انفجر في نهاية المطاف. (ثم بدأ صوته في الانهيار) لا أعلم المدة التي قضيتها هناك. لكنني لم أسمع أي شيء، ثم ظننت أنه ربما قد قتل نفسه هو الآخر.

قال تيد لنفسه يا إلهي.

ازدردت وتابعت: «سرت بطريقة ما إلى المطبخ في آخر البهو، استطعت أن أتبين حينها أن هناك دماءً على الأرض ولم أخطُ عليها، ثم...». توقفت.

كان تيد يشاهدها وهو مذهول، لا يمكنه استيعاب أي من هذا، وقال: «تابعي! أخبريني بكل شيء!».

- لم أدخل إلى هناك، ظللت واقفة فقط عند المدخل. كان أبي يرقد على أرضية المطبخ، وكانت هناك دماء في كل مكان، وكانت سكين اللحم هناك بجانبه.

ثم بدا أنها تجمدت، وكأنها ترى المشهد مرة أخرى في مخيلتها، وكأنها لا تراه أمامها أبدًا. أجفله التعبير الظاهر على وجهها في مكانه، ثم صاح فيها قائلاً: «لماذا لم تتصلي بالشرطة؟ لماذا لم تخبريني؟».

- ظننت... ظننت...

لكنها بدت غير قادرة على إخراج الكلمات.

ثم قالها تيد بدلاً منها، مُدركًا ما تريد قوله: «ظننت أن دان من فعلها».

هزت رأسها بشكل لا يكاد يلاحظ. وقد توقفت عن البكاء في الوقت
الراهن، وخلا وجهها من أيّ تعبيرات، وقالت: «ظننت أن دان قد رجع مرة
أخرى تلك الليلة وقتلها. كنت أعلم أنه بحاجة إلى المال وأن أبي لن يعطيه،
وكنت خائفة».

- خائفة؟

أدارت نظرها إليه وقالت: «من أن يُلقى القبض عليه، أردت فقط أن أعطيه
بعض الوقت ليهرب بعيدًا، أو لينظف الفوضى... كنت أعلم أنه لم يكن في
وعيه».

نطق تيد اسمها بقدر استطاعته من هدوء، لكنه مرتجف حتى النخاع،
وقال: «يجب أن يذهب دان إلى السجن إذا ما كان فعل هذا. إنه خطر».

غطت وجهها بيديها وأخذت في النحيب قائلة: «أعلم. ولكنني لا أستطيع
تحمل الأمر».

ثم نظرت إليه بالأخير وقالت وكأنها تتوسل: «إنه أخي الأصغر، يجب علينا
حمايته».

«وأسدانا جميعًا معروفًا». لم تتفوه بتلك العبارة، لكن تيد لا يمكنه إلا أن
يفكر فيها.

لاحظ المحقق رايس بينما يقترب هو وبار من المنزل المقابل في الشارع
أن المصابيح لا تزال مضاءة في منزل كاثرين مرتون. أظهرها شارتيهما
ودعاهما المالكان، رجل وامرأة في الستينيات من العمر، إلى الدخول. أوضح
رايس أنهما يحققان في جريمة قتل فريد وشيلا مرتون اللذين تسكن ابنتهما
في الشارع المقابل، واتسعت أعينهما لسماعهما ذلك.

سأل رايس: «هل كنتما في منزلكما ليلة يوم الأحد؟».

أجاب الرجل: «نعم، لكننا أخذنا إلى النوم مبكرًا. لقد قضينا عشاء عيد
فصح حافل في منزل ابنتي».

- هل صادف أن رأيتما قاطني المنزل المقابل -منزل تيد «لينزمور»
وكاثرين مرتون- وهما يخرجان أيّ وقت بعد الساعة السابعة والنصف
مساء أحد الفصح؟

نظر الاثنان إلى بعضهما بعضًا ثم هذا رأسيهما بالنفي، وقبل أن يطرح
رئيس السؤال حتى، عرض الرجل قائلاً: «لدينا كاميرا في الشرفة الأمامية للمنزل
تستطيع التقاط السيارات الوافدة إلى الشارع والخارجة منه، هل تود تفقدها؟»
- هل يمكن؟

قال الرجل بينما تحوم زوجته في الخلف: «بالطبع».

وكان هناك في العلية غرفة مكتب يمكنهما أن يتفقدتا تسجيلات كاميرات
المراقبة باستخدام جهاز الكمبيوتر. عاد الرجل بالتسجيلات إلى السابعة
مساءً يوم أحد عيد الفصح وجعله يسير قُدماً. وبينما كانوا يشاهدون اللقطات
بالأبيض والأسود، كان هناك مشاة وسيارات يمرون من حين لآخر، وشاهدوا
سيارة تيد وهي تعود وتصطف في المدخل الخاص لمنزلهما الساعة السابعة
وواحد وعشرين دقيقة مساءً. تابعوا المشاهدة والتسجيلات تتقدم إلى الأمام
سريعاً حتى قال رايس: «توقف».

عاد الجار المتعاون بالتسجيلات للخلف قليلاً ثم فتحهم مرة أخرى برتم
أبطأ، شاهدوا في الحادية عشرة وتسع دقائق سيارة كاثرين وهي تخرج من
المدخل الخاص بمنزلها، لم تلتقط التسجيلات من ركب السيارة، لكن حين
وصلت السيارة إلى آخر الشارع، استطاعوا رؤية كاثرين في كرسي السائق
تقود بمفردها. أدرك رايس أنها تكذب، وزوجها يتستر عليها، وتبادل هو وبار
نظرة سريعة فوق رأس الرجل.

قال رايس وهو ينظر مرة أخرى إلى الشاشة: «لنر أي وقت ستعود فيه».

كانت كاثرين تقف بجانب نافذة غرفة المعيشة وهي تحرص على ألا تُرى
من الخارج. لقد قضى المحققان وقتاً طويلاً في المنزل المقابل، وأخذت
تنتظر خروجهما، وحينما فعلا، شاهدتهما وهما يلقيان نظرة سريعة على
منزلها بينما كانا يسيران إلى سيارتهما، ولم يسأل أي شخص آخر. من
الواضح أنهما لا يحتاجان إلى ذلك، لا بد وأنها رُصدت وهي تخرج، لا بد
وأنها علما أنها خرجت في تلك الليلة، ويعرفان الآن أنها كانت تكذب، وتيد
أيضاً. وأنه كان يتستر عليها، وهي تعلم كم هو مستاء بسبب هذا. تفقدتهما
لحجة غيابها يعني أنهما سيتفقدان حجة غياب دان وچينا أيضاً، قال دان إنه
لم يخرج بتاتاً في تلك الليلة بعد عودته من منزل والديهم، وأكدت ليزا هذا.

وهي تعلم ما يعنيه هذا الآن.

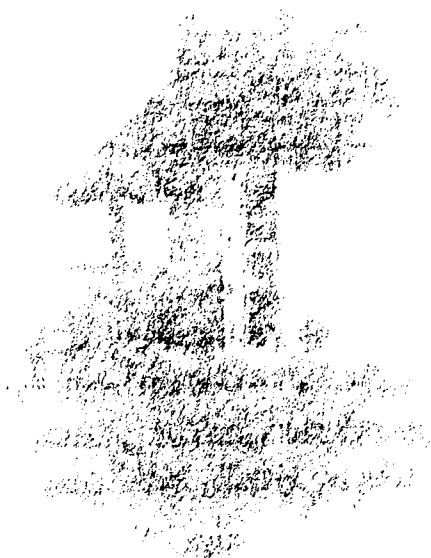
كان دان يجلس في مرأب منزله وكان بابُه العريض مفتوحًا على مصراعيه على الشارع، ثم رآهما، رأى هذين المحققين وهما يتحدثان إلى جيرانه محاولين أن يعرفوا إذا ما رآه شخص ما وهو يخرج من منزله في ليلة الأحد، وظل واقفًا في الظلام مرعوبًا، ثم أخذ يفكر ربما لم يرَ أحد شيئًا. كانت كاثرين قد اتصلت به على هاتفه المحمول منذ فترة قليلة وأخبرته بما يفعله المحققان، وسألته إذا ما كان لدى أيٍّ من جيرانه كاميرات مراقبة. لم يكن يعلم. لكن بحظ مثل حظه، ربما يكون هناك شخص لديه بعض الكاميرات اللعينة، كان قد أخبر كاثرين -أخبر الجميع- أنه مكث طوال الليل في منزله. لكن من الواضح أنها لا تصدقه وإلا ما كانت اتصلت. أخذ يفكر في أن جميعهم لديهم حجة غياب إلا هو. وبدأ في الذعر، ودخل إلى المنزل مرة أخرى وتوجه إلى المطبخ حيث كانت ليزا تنظف وقال باقتضاب: «المحققان هنا».

قالت بفزع: «ماذا؟».

فأجاب بحدة: «في الشارع. اذهبي وانظري من النافذة، لكن لا تدعيهما يريانك».

نظرت إليه بقلق وتسلمت إلى نافذة حجرة المعيشة ووقفت خلف الستائر، أخذ يحوم خلفها وهو يشاهد شحوب وجهها وهي تدرك ما يعنيه الأمر.

كانت إيلين كاتر تملأ حوض استحمامها بالمياه هذا المساء، وهي تدندن قليلًا، وتفكر في زيارة أودري الطويلة السابقة، من الواضح أنها لن ترث ثروة طائلة في نهاية المطاف. كم تتغير الأمور سريعًا، وقد تحدثت بفضاعة عن أولاد فريد، وكيف أنهم اكتشفوا خطته لتغيير وصيته وقتلوه وشيلا هي الأخرى. هذا محض هراء، أخذت إيلين تفكر وهي تضيف بعض صابون الفقاقيع السائل إلى حمامها. هذا مبالغ فيه بعض الشيء حتى بالنسبة إلى أودري التي دائمًا ما تعاني خيالات جامحة. إنهما صديقتان منذ وقتٍ طويل، لكن إيلين تشعر بالقليل من الشماتة تجاهها.



29

إن جينا مسرورة لأنها ترى كاثرين لأول مرة في حياتها دون تماسكها الملازم لها. كانت كاثرين قد اتصلت بهاتفها وأخبرتها أن تأتي إلى منزلها على الرغم من أن الوقت متأخر بعض الشيء. إن أختها الكبيرة تنهار أمامها الآن وقالت جينا لنفسها إنها لن تكون إنسانة إن لم تستمتع بذلك، ولو قليلاً فقط. لكن ما سمعته مُدهش. لقد كذب كل من كاثرين وتيد على الشرطة. لكن ليس هذا المفاجئ بالتحديد، فجينا قد كذبت هي الأخرى. الأمر الصادم هو أن كاثرين وجدت الجثتين في تلك الليلة ولم تخبر أي مخلوق، ولا حتى زوجها، انتظرت يومين كاملين وتركت إيرينا تجدهما، ثم بررت فعلتها بأنها أبقت الأمر سرّاً لأنها أرادت حماية دان.

نظرت جينا إلى تيد الذي يبدو جاذاً ومشغول البال وتساءلت عما يظنه في كاثرين الآن. هل لا تزال المرأة التي يعتقد أنه تزوجها؟ إلى أي مدى يمكن للمرء أن يكون غليظ القلب ليرى والديه جثتين مقتولتين ويعود إلى منزله ويتظاهر بأن كل شيء على ما يرام؟ إن هذا يخبرها شيئاً عن كاثرين، أنها ممثلة رائعة. على الأقل إلى حد ما. ويبدو الآن أن الضغط قد تمكن منها، ثم سألتها جينا: «هل تظنين حقاً أن دان من فعلها؟».

قالت كاثرين بعدم ارتياح: «هذا ما ظننته في ذلك الوقت، لهذا لم أقل أي شيء في تلك الليلة. لكنه يقول إنه كان في المنزل مع ليزا».

قالت جينا بشك: «ربما كان كذلك».

- حسنًا، سنكتشف الأمر في القريب العاجل، لأن المحققين يبحثان عن شهود.
قالت جينا بصوتٍ كئيب: «ربما يجب أن نسأل دان بشكلٍ مباشرٍ إذا ما كان قد فعل الأمر. حينها سنعرف ما نحن بصددّه. ربما يمكننا مساعدته».
- لقد أنكر الأمر بالفعل! ولمَ سيقر لنا بالأمر؟ إنه لن يثق بنا إلى هذا الحد.

- إننا لم نثق ببعضنا بعضًا قط.
قالت كاثرين: «حسنًا، لكننا بالغون الآن».
وكأن هذا يحدث فرقًا. لكن فكرت جينا أن المخاطر الآن جسيمة أكثر من ذي قبل.

ثم أخبرتها كاثرين: «إنني أثق بك وأخبرك بالحقيقة».
قالت جينا: «إذا ما الذي ستخبرين الشرطيين به إذا ما اكتشفا أنك ذهبت إلى هناك في تلك الليلة؟».

نظرت كاثرين بسرعة إلى تيد ثم إليها، ثم ازدردت وقالت: «ربما يجب أن أخبرهما بالحقيقة. أنني ذهبت إلى هناك، وكنا ميتين بالفعل، وعدت إلى المنزل ولم أقل شيئًا».

- سيريدان أن يعرفا لماذا.
- سأخبرهما أنني كنت في حالة صدمة.
- اللعنة يا كاثرين، إنكِ حتى طيبة! يجب أن تفكري في شيء أفضل من هذا.
ظلت كاثرين صامتة، بينما تيد يقف جانبًا ويعض على شفثيه بتوتر، وسادت لحظة صمت طويلة بينما كانوا يفكرون في الاختيارات، ثم قالت جينا مقترحة: «إذا كنتِ لا تريدينهما أن يظنا أنكِ اشتبهتِ في دان على الفور، يمكنكِ إخبارهما أن والدنا أخبرنا في تلك الليلة أنه سيبيع المنزل. وأنتِ كنتِ خائفة من أنهما قد يظنان أنكِ من قتلتهما».

نظرت إليها كاثرين بفتور بدورها. وقالت جينا: «سأؤكد كلامك في أمر المنزل، وأنا متأكدة من أن دان سيفعل هذا أيضًا. لا يوجد شيء لتهابيه ما دمتِ لم ترتكبي الأمر».

بدا وكأن الغرفة قد خلت من الهواء. ثم قالت كاثرين أخيرًا: «أو يمكنني إخبارهما أنهما كانا بخير، وأني تحدثت مع أمي وعدت مرة أخرى إلى منزلي».

نظرت حيناً إلى تيد الذي يبدو عليه عدم الارتياح الواضح من الكذبة. وقال تيد: «ربما عليك فقط قول الحقيقة».

قالت كاثرين معترضة: «كيف سيبدو الأمر إن أخبرتهما بالحقيقة؟ سيظنان أن من ارتكب الأمر هو أنا أو دان. وحتى إذا مكث دان في منزله طوال الليل، وشهدت ليزا بذلك، ربما لن يصدقا الأمر، (ثم هزت كتفها) سيظنان أنه واحد منا على كل حال. هل لديك حجة غياب؟».

- نعم، كان چاك معي في منزلي طوال الليل.

في وقت متأخر أكثر من تلك الليلة، جلس تيد مستيقظاً في فراشه. لم تقرر كاثرين بعد ما ستقوله للشرطة، لكنها رضخت لإلحاح تيد أن تأخذ معها محامياً في المرة المقبلة التي يستدعيها المحققان فيها للاستجواب، شاهداً نشرة أخبار الحادية عشرة قبل أن يخلدا إلى النوم، لم تكشف الشرطة للعامة أي معلومات جديدة بشأن التحقيق، ولا يزالون يبحثون عن الشاحنة التي رُصدت بالقرب من المنزل ليلة ارتكاب الجريمة. كان تيد لا يزال يأمل، لكن باقتناع قليل، أن تلك الشاحنة تحمل المفتاح، وأن سائق الشاحنة هو القاتل ويجب فقط أن يُلقى القبض عليه. إنه لا يحب ما فعلته زوجته لحماية أخيها الأصغر الذي، وعلى تيد أن يقر، من المحتمل أن يكون قاتلاً.

قالت كاثرين له وهي تقفل الأنوار والكرسي في صوتها: «من المؤكد أن إيرينا تظن أن دان من فعلها، وإلا لماذا إذا نظفت السكين؟».

أخذ تيد يحدق إلى السقف في الظلام. لا يمكنه غلق عينيه، لأنه كلما أغلقهما، يتخيل كاثرين وهي تجد والدتها ميتة. إن عائلتها أسوأ بكثير مما كان يعرف. يتخيلها وهي تستجمع شجاعته وتدخل أخيراً المطبخ وتعثّر على جثة والدها المشوهة، وإدراكها أن أخاها الأصغر هو على الأرجح من فعل ذلك. وعلى الرغم من أن تيد لا يوافق على فعلتها، فإنه يتفهم رغبة كاثرين في حماية دان. من المفترض أنها تتفهم الدافع وراء ما فعله، فمن الواضح أنها تظن أن لديه أسبابه. لكن أيّاً ما تكن تلك الأسباب، فكر تيد، فلا عذر للقتل. لكن ما لم يستطع تيد فهمه هو كيف تمكنت من أن تعود إلى المنزل في تلك الليلة وتستلقي بجانبه على الفراش وتهمس قائلة: «كل شيء بخير» قبل أن تقبله على خده وتخلد إلى النوم.

30

في الصباح الباكر من اليوم التالي، يوم الخميس، جلس رايس مسترخياً في مقعده إلى الورا وهو غارق في تفكيره. لقد مضى يومان على اكتشاف الجثتين، ثم أخذ ينقر بقلمه على المكتب، ولا توجد أي علامة على استخدام بطاقات الائتمان الخاصة بفريد وشيلا مرتون، لا توجد أي محاولة لسحب أموال من ماكينات الصرف الآلي، ولا أثر للمجوهرات أو الفضة المسروقة في أي مكان. لقد قُتلَ فريد بوحشية. وكان القاتل حريصاً للغاية، إنه لم يكن ينتعل حذاء حتى! وبطريقة ما لا يعتقد رايس أن الجريمة كانت بدافع بسيط مثل سرقة منزل، ولم يحرزوا أي تقدم إلى الآن في أمر الشاحنة الغامضة، ولم يزلوا يتفقدون ورش طلاء السيارات في محاولة لتعقبها. لكن ما هم متأكدون منه الآن هو أن دان وكاثارين مرتون كذبا بشأن حجتي غيابهما.

استدعى رايس دان مرتون من أجل استجواب رسمي، وهذه المرة أحضر معه محامياً. حضر الاثنان في الساعة العاشرة صباحاً، ودان يرتدي بدلة، وتساءل رايس إذا ما نصحه محاميه بشأن ما يجب عليه ارتداؤه. هل يتوقع أن يُلقى القبض عليه؟ فلقد كان يبدو على دان القلق والتعب. بعد ما حُذراً وأخبراً بشأن التعليمات الخاصة بتسجيل الاستجواب، بدؤوا.

قال رايس: «إن لدينا شاهداً يقسم إنه قد رآك وأنت تقود سيارتك ليلة جريمتي القتل في نحو الساعة العاشرة، وآخر رآك وأنت تعود إلى منزلك في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تقريباً».

لمح رايس محامي دان وهو ينظر إلى موكله نظرة حادة. بدا دان أكثر سوءًا وأغلق عينيه، ثم قال المحامي: «هل يمكننا أن نحظى بدقيقة على انفراد؟».

قال رايس بالطبع، وأوقف التسجيل وخرج هو وبار من الغرفة وذهبا إلى آخر الردهة لينتظرا، وحين أشار لهما المحامي ليعودا، عادا وتابعا التحقيق، ثم سأل رايس: «هل هناك شيء ما تود أن نخبرنا به يا دان؟».

أخذ دان نفسًا عميقًا مرتعشًا، وقال: «ذهبت للتجول بالسيارة. كنت أفكر في الكثير من الأشياء، وتساعدني القيادة على تصفية ذهني. وعادة ما أتجول بسيارتي ليلاً».

- إن ثلاث ساعات هي مدة تجول طويلة بعض الشيء. إلى أين ذهبت؟

- لا أعلم، ليس إلى مكان محدد. لا أستطيع التذكر.

رفع رايس حاجبيه في إنكار، وقال: «لم ترجع مرة أخرى إلى بريكن هيل لترى والديك؟».

- لا، لم أذهب إلى أي مكان قريب من منزلهما. لم أكن في بريكن هيل. ورأى رايس شريانًا في صدغ دان الشاحب وهو ينبض بوضوح، ثم سأل: «لَمْ كذبت علينا يا دان؟».

أجاب دان بشكل صارم: «لم أرد أن أكون مشتبهًا به».

- هل كنت قد طلبت من والدك أن يقرضك بعض الأموال ربما على عشاء عيد الفصح؟

رمقه دان بنظرة عدوانية، وتدخل المحامي قائلاً:

- أعتقد أنه يكفي أسئلة إلى هذا الحد. (وبدا أن دان يتكور داخل بدلته) إلا إذا كان عندكما شيئاً آخر؟ (قال كلين وهو يلتفت إلى رايس) بعض الأدلة المادية المباشرة على سبيل المثال؟

هز رايس رأسه بالنفي.

قال المحامي وهو يقود موكله للخارج: «هيا بنا».

قالت بار بعدما رحلا: «لو هو من فعل الأمر، واستطاع بطريقة ما التخلص من ملابسه الملطخة بالدماء في مكان ما، ربما لا يزال هناك بقايا لآثار دماء أبيه في مكان ما في سيارته، بغض النظر عن مدى ظنه أنه نظفها جيداً».

هز رايس رأسه موافقًا وقال: «سنحصل على مذكرة تفتيش. (ثم زفر بعمق) يجب أن نجد تلك الملابس الملطخة بالدماء. لكن في الوقت الحالي، هيا بنا لنحدث مرة أخرى مع كاثرين مرتون».

متعطشة إلى معرفة آخر الأخبار، ذهبت أودري إلى مركز الشرطة مرة أخرى. وهناك وجود للعناصر الإعلامية هذا الصباح أيضًا ينتظرون بصبر عند الأبواب الأمامية. قررت أودري أن تترجل من سيارتها هذه المرة، وذهبت واختلطت مع المراسلين والمصورين وانتظرت لترى ما سيحدث.

وسرعان ما كوفئت برؤية دان وهو يخرج من الأبواب الزجاجية برفقة رجل طويل ببذلة جيدة، لا بد وأنه محاميه، زحف الحشد إليهما وأمطروهما بوابل من الأسئلة غير المرحب بها بينما يحاول المحامي صدهم، وسُرت أودري بجهودها التي بذلتها مع الآخرين، وتمنت أنهم بذلك يضغطونه بالشكل الكافي. حاولت أن ترى تعبيرات وجه دان، لكن رأسه كان للأسفل ويديه على وجهه بينما كان يسرع بالفرار مع محاميه الذي يتصدى لهم.

وبعد فترة قصيرة، كوفئ صبر أودري مرة أخرى حين رأت كاثرين تصل برفقة امرأة في بذلة، وتحمل حقيبة في يدها. تكبدتا هجوم الصحفيين عليهما محاولتين تجاهلهم بأفضل ما يمكن. فكرت أودري في أن الأمور باتت جدية أكثر ويمكنها الآن أن تبدأ في الاستمتاع.

لاحظ رايس أن كاثرين مرتون تبدو اليوم مختلفة تمامًا عما كانت عليه بالأمس. وجب عليها أن تمر من أمام تجمع الصحفيين في الأسفل لتأتي إلى هنا، وربما جعلها هذا تخرج عن طورها. لا تبدو أنها نالت كفايتها من النوم، ويبدو إرهاقها واضحًا على الرغم من تفانيها في مظهرها ومساحيق تجميلها، وأحضرت محامية معها.

وفور أن حذرها رايس وفتح التسجيل، سأل: «سيدة مرتون، لقد أخبرتنا أمس أنك كنت في منزلك طول الليل بعد عودتك من عند والديك. (لم تتفوه كاثرين بأي شيء، لكن يبدو أنها مستعدة للأسوأ) لدينا فيديو لك من كاميرا مراقبة أحد جيرائك يُظهرك وأنت تقودين سيارتك خارجة من المدخل الخاص

بمنزلك في تمام الساعة الحادية عشرة وتسع دقائق في ذلك المساء، وعودتك الساعة الثانية عشرة وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل. إلى أين ذهبت؟».

أخذت نفساً عميقاً ونظرت إلى محاميتها التي أومأت لها إيماءة خفيفة وقالت: «ذهبت إلى منزل والديّ. حين كنا هناك من أجل العشاء، أخبرتني أمي أن هناك شيئاً هاماً تود أن تتحدث إليّ بشأنه، لكن قوِّطع حديثنا. ولم يتسنّ لي بعد ذلك الفرصة لأتحدث إليها بشأن الأمر وكنت قلقة عما يمكن أن يكون الأمر، لذا اتصلت بهاتفها بعد الحادية عشرة بقليل، لكن لم يكن هناك أيُّ رد».

قال رايس: «نعم، نعلم بهذا الأمر. إن لدينا سجل مكالمات والديك. لم لم تجربي الخط المنزلي؟».

ترددت قليلاً، ثم قالت: «اعتقدت أن والدي قد أخذ إلى النوم، ولم أرد أن أوقظه. لذلك ذهبت إلى هناك، المسافة ليست بعيدة عن منزلي، وحين وصلت إلى هناك، تحدثت إلى أمي. كانت تريد مني أن أتحدث إلى والدي بشأن أختي جينا. كان يريد قطع إعانتها، يحدث هذا الأمر من وقتٍ لآخر. لكنه لم يفعله قط».

سأل رايس: «لماذا إذاً كذبت؟».

نظرت في عينيه مباشرة وقالت: «لماذا برأيك؟ لم أرد أن تظن أنني من فعلتها».

حدد رايس إليها بدوره وهو يتساءل إذا ما كانت هي وأخوها هناك معاً في الوقت نفسه.

31

شاهدت ليزا بفزع المحققين وهما يصلان إلى منزلهما بمذكرة تفتيش وفريق من الطب الشرعي بعد عدة ساعات فقط من رجوع دان من مركز الشرطة. دلف بعضهم إلى المنزل، بينما رايس وبار وبقية الفريق فتحو أبواب سيارة دان المصطفة في المدخل، وقضوا وقتًا يتفحصونها على مرأى الشارع كله بينما تنتظرهم شاحنة خاصة بالشرطة لتأخذها بعيدًا إلى مكان ما حيث سيفندونها بشدة بحثًا عن دليل يثبت أن زوجها قاتل.

شعرت بالغثيان على الرغم من أنها تعلم أن دان لم يفعلها، لم يعد دان إلى المنزل في تلك الليلة وهو مغطى بالدماء، لا يمكن أن يكون قد فعلها. إنها تتذكر ما كان يرتديه حين خرج للتجول بسيارته، البنطال الجينز والقميص المفتوح عند الرقبة نفسهما اللذان كان يرتديهما على العشاء. وعلى الأرجح ارتدى سترته الواقية من المطر عندما خرج، السترة التي يرتديها دائمًا في الربيع. إنها مُعلقة في خزانة الردهة، وكانت تراها من حينها ولا يوجد أيُّ لطخات من الدماء عليها. إنها لا تتذكر متى عاد إلى المنزل، لكن في الصباح التالي، وجدت البنطال الجينز نفسه، والقميص، وجواربه، وملابسه الداخلية على الأرض بجانب الفراش ووضعتهم في سلة الغسيل. كان هذا يوم الاثنين، وكانت قد غسلت الملابس في هذا اليوم ووضعتهم في مكانهم مرة أخرى. ولم ترَ أيَّ بقع من الدماء على أيِّ منهم. إنها تعلم أنه لا يوجد ما تقلق حياله. لكن ما يدفعها لكل هذا التوتر؟

جاء دان ووقف جوارها. كان محاميه هنا تَوًّا ليتفقد صلاحية مذكرة التفتيش، ثم رحل بعد أن أخبر دان على انفراد أن يبقي رأسه مرفوعًا، وفمه مغلقًا، وأن يتصل به إذا ما كان هناك أيُّ «تطورات».

قال دان متذمرًا: «إن هذا انتهاك».

قالت ليزا: «فقط حافظ عن هدوئك».

لا تريده أن يفعل الآن على مرأى الجميع. لقد كان متقلب المزاج للغاية مؤخرًا، وهذا يقلقها، ثم قالت له: «إنهم لن يعثروا على أيِّ شيء».

نظرت جينا إلى هاتفها حين بدأ في الطنين. إنه چاك مجددًا. أجابت قائلة: «مرحبًا».

إنها تقف الآن خارج منزل دان وليزا لأن دان قد اتصل بها وهو مذعور حينما وصلت الشرطة إلى منزله. إنها تقف في الشارع الآن، على مبعدة من موضع دان وليزا الواقفين يشاهدان سيارة دان وهي تُفحص. سأل چاك: «كيف تسير الأمور هناك؟».

تحب صوته؛ منخفض وأجش. لقد تستر عليها بالأمس، وتساءلت إذا ما كان الأمر مسألة وقت فقط قبل أن يسألها عن شيء في المقابل. على الأرجح سيطلب بعض الأموال فور أن تحصل على بعضها، والآن فكرت فقط كيف أن چاك تصعب قراءته حقًا، ثم أجابت: «لا يبشر الأمر بالخير لدان. إنهم يفتشون منزله الآن».

كانت أودري قد تبعت المحققين حينما غادرا المركز -رأتهما وهما يركبان سيارة سيدان داكنة اللون- وتعبتهما مباشرة حتى وصلا إلى منزل دان. وهناك، في شارع دان الهادئ الراقى، انضمت إليهما شاحنة خاصة بالطب الشرعي، وخرج منها مجموعة من الأفراد يرتدون بدلات بيضاء حاملين كل معداتهم، أخذ اثنان منهم يتفحصان السيارة المصطفة في المدخل، بينما دخل البقية إلى المنزل، ووقف المحققان ليتابعا تفتيش السيارة.

أودري في غاية السعادة، فالأوضاع تتحسن أكثر فأكثر، أدركت أنه من الواضح أن دان هو المشتبه به الرئيسي، أرادت لو تخرج من سيارتها

وتساعدهم على تمزيق منزل دان إربًا. لكنها ظلت جالسة في سيارتها المصطفة على جانب الشارع وتمنت لو أن معها منظارًا.

كان الجيران يشاهدون ما يحدث من باحاتهم وممراتهم، وكان هناك أيضًا بعض العناصر الإعلامية في الشارع، وتعرفت أودري على الصحافية روبين فونتين بينهم، التي ما زالت تحتفظ ببطاقتها في محفظتها.

عادت بتركيزها مرة أخرى إلى دان الواقف في آخر المدخل الخاص ببيته مع زوجته ليزا التي تشاهدهم وهم يفتشون سيارته. وكأنما شعر بنظراتها من ورائه، التفت دان ورآها، وأخذ في السير سريعًا إليها بوجه جامد، استعدت أودري للمواجهة، وهي تفكر: ليذهب إلى الجحيم، إن الشارع ملكية عامة وهي ليست المتفرجة الوحيدة. اقترب دان من نافذتها، ووجهه ملتوٍ من الغضب، وأنزلت أودري النافذة بجوارها إلى المنتصف.

قال دان وهو يبصق: «ما الذي تفعلينه هنا بحق الجحيم؟».

كان وجهه شاحبًا للغاية على عكس شعره الداكن.

رأت أودري الوحشية في عينيه وتداغت، ولجزء من الثانية تذكرت فريد حين كان شابًا، ثم توقفت عن التفكير في هذا، وكل ما باتت تفكر فيه الآن هو احتمالية أنها تنظر في عيني قاتل، وبسرعة رفعت نافذة سيارتها مرة أخرى، أخذ دان يحملق إليها وبينما يبتعد ضرب بقبضته على غطاء مقدمة سيارتها مما جعلها تجفل في مكانها.

شارف اليوم على الانتهاء ودان يتابع بفتور المحققين وفريق الطب الشرعي وهم يفتشون منزله بدقة. كان قلبه يخفق بشدة، لكنه حاول ألا يظهر كربه. إن لديهم أسئلة ولا يعرف إذا ما يجب عليه أن يجيب. لقد ذهب محاميه، وأخبره ألا يقول شيئًا. لكن حينما سألوه عما كان يرتديه في تلك الليلة، شعر بأنه يجب عليه إخبارهم، وأعطاهم هو وليزا البنطال الجينز والقميص اللذين كان يلبسهما يوم عيد الفصح، والسترة، والمعطف الذي ارتداه حين خرج بعد عودته. لم يكن يتذكر أي جوارب وملابس داخلية كان يلبس، فجميعهم متشابهون داخل الدرج. لذا أخذوا كل شيء.

في الخارج، وجدوا قطعة أرض داخل الحديقة حُرِّت مؤخرًا، تنبه المحقق رايس، وخرجوا جميعهم إلى الفناء الخلفي الذي يمتاز بالخصوصية

حيث هناك تقني يشير إلى الجزء الذي حُرث حديثًا، وهو عبارة عن قطعة من الأرض تبلغ مساحتها أربعة أقدام مربعة، وتقع تحت مجموعة من شجيرات الهدرانج، نظر رايس إليه بشك.

قال دان لهم: «دفنت كلبتي هنا منذ عدة أيام. لقد ماتت بسبب كبر سنها». وعلى الرغم من استياء دان، أخذوا في الحفر، وليزا تقف بجواره متشبثة بيده، وسرعان ما وجدوا كيسًا بلاستيكيًا أسود خاصًا بالقمامة، أخرجوه من الحديقة بحرص بينما يرمقه دان بضيق، فتحوا الكيس وانتشرت رائحة كريهة، وفي الداخل وجدوا جثة متحللة للكلب، ولا شيء آخر.

قال دان وهو بالكاد يخفي حنقه: «أأنت راضٍ؟».

قال رايس: «واصلوا الحفر أعمق».

أصاب المحقق رايس خيبة الأمل حينما فحص سيارة دان من الداخل. تبدو وكأنها لم تنظف من سنين، كان الغبار منتشرًا على لوحة القيادة، وهناك أغلفة طعام ملقاة على الأرضية، وشعر كلب على المقاعد. حقيقة أن السيارة من الواضح أنها لم تنظف منذ وقتٍ طويل تدل على أن دان ربما لم يكن هو من ارتكب الجريمة بتاتًا، كان ليكون هناك دماء في كل مكان بعد جريمة قتل عنيفة مثل جريمة فريد. حتى لو أنه قد غسل نفسه جيدًا وغير ملابسه، سيكون على الأرجح مضطرًا إلى غسل سيارته جيدًا هي الأخرى. لكن ربما سيحالفهم الحظ، ربما قد غير ملابسه بعد جريمتي القتل، ولم يفكر في أنه يجب عليه أن ينظف سيارته من الداخل.

أخذ إحباط رايس في التصاعد حين مرت الساعات ولم يجدوا أي شيء ليدين دان. لقد أخذوا الملابس التي ادعى دان أنه كان يلبسها في ليلة القتل، وأكدت على ذلك زوجته التي لا يثقون بها الآن لأنها كذبت عليهم قبل ذلك، وأخذوا الملابس على الرغم من أنها قد غُسلت، والسترة الواقية من المطر التي تبدو نظيفة هي الأخرى. إن رايس لا يثق في أن أيًا منهما يقول الحقيقة، وأنه لو كان دان هو من ارتكب جريمتي القتل، فأيا ما كان يرتديه مستقرًا الآن في قاع نهر هدرسون أو ملقى في حاوية نفايات في مكان ما. تأكد رايس من أنها ليست مخبأة في مكان ما تحت قبر كلبته، وأخذوا جميع أجهزته الإلكترونية

رغم اعتراضه، واستخدموا اللومينول ليتبينوا آثار الدماء في الحمامات، وغرفة الغسيل، والمطبخ لكن لم يجدوا أي آثار للدماء في أي مكان.

لكن بعد ذلك، وجدوا شيئاً مثيراً للاهتمام في مرأب السيارات، وجدوا داخل حاوية بلاستيكية كبيرة عبوة مفتوحة من أقنعة الـ N95 وعبوة من البدلات بيضاء اللون ذات أغطية للرأس للاستعمال مرة واحدة. بالإضافة إلى عبوة مفتوحة أخرى تحوي أحذية، وكانت عبوة البدلات مفتوحة، ومتبق فيها واحدة فقط من أصل ثلاث بدلات. بالطبع، فكر رايس، أن قاتلاً ماكراً بما فيه الكفاية ليلبس قفازين، وينتعل جوربين فقط بلا حذاء، ولا يترك أي خيط وراءه، ربما كان يرتدي بدلة واقية مثل التي يحدقان إليها هو وبار الآن. إنها تشبه للغاية ما يرتديه فريق الطب الشرعي، وهذا قد يفسر سبب الافتقار الكامل لوجود أي دليل مادي في مسرح الجريمة، وافتقار وجود أي أدلة في سيارة دان أو منزله، وهذا يظهر أنها كانت مع سبق الإصرار والترصد، ثم رفع عينيه لينظر إلى عيني بار، وقال منادياً أقرب تقني جواره: «هنا».

ثم التف إلى دان الذي كان يحوم مضطرباً أمام مدخل المرأب بينما زوجته الصامته تومئ له أن يهدأ، وقال: «من أجل أي شيء تستخدم هذا؟».

قال دان وتعلو وجهه حمرة: «ابتعتهم منذ عدة سنوات حين كنت أعزل العلية عبر رش مادة رغوية، وكان من المفترض أن أرتديهم. أما القناع، فلأن الكيماويات خطيرة».

صور فرد من فريق الطب الشرعي البدلات الواقية وعبوة الأحذية تحتها، ثم جمعهم بحرص. أخذ رايس يحدق إلى دان الذي انكمش بدوره من نظرتة. إن رايس يعلم أنهم يحتاجون إلى أدلة ملموسة تربط القاتل بمسرح الجريمة. وحقيقة أنهم وجدوا عبوة مفتوحة من البدلات الواقية في مرأب دان لن تكون كافية لإدانته. إنهم بحاجة إلى المزيد، بحاجة إلى أن يعثروا على الملابس التي تُخلّص منها، أو ربما البدلات الواقية.

لكن حتى الآن، لم يعثروا على أي أثر لهم.

32

وصلت إيرينا إلى بيت كاثرين في وقت ما متأخر بعد الظهرية وهي قلقة بعدما استدعيت لتأتي، حيث إيرينا الجميع وهي تحاول أن تستشف ما يحدث في الغرفة. يبدو على كاثرين الحدة، وكذلك تيد أيضًا. بينما دان منفعّل للغاية، ويهذي بأشياء متوحشة، وچينا تشاهد كل شيء بحذر. رؤية كل هذا جعلت تمالك إيرينا لنفسها يتلاشى، ثم أخذت تشاهد دان من كثب. كان هناك عرق على طول منبت شعره، وليزا تبدو قلقة هي الأخرى، وتردد ناظرها بين دان تارة وبعيدًا عنه تارة أخرى. عادت إيرينا بذاكرتها عندما كانوا أطفالًا حين كان دان، وچينا، وكاثرين يتشاجرون ويبكون وتحاول هي أن تصلح الأمور. لكن لا يمكنها أن تصلح هذا الأمر.

قال دان: «سيلقون بالقبض عليّ وأنا لم أفعلها!».

وأخبرهم بشأن التفتيش، وكيف أنهم حفروا قبر كلبته الميتة حتى. وختامًا، أخبرهم بشأن اكتشافهم للبدلات الواقية في المرأب.

وفي هذه اللحظة، سكنت الغرفة تمامًا.

وقال دان: «يظنون أنني ارتديت بدلة واقية وأنا أرتكب الجريمة لهذا لا يستطيعون إيجاد أي دليل في محيط مسرح الجريمة، أو في أي مكان آخر، أخبرتهم بأنني ابتعتهم لأرث مادة رغوية من أجل عزل العلية، لكنهم كانوا قد حسموا أمرهم. ويظنونني مدانًا، وأنا لم أفعلها!».

قوبل كلامه بصمت مروع.

ثم قالت كاثرين: «لا يهم ما يعتقدونه يا دان. إنهم يحتاجون إلى دليل، ولا يبدو أن لديهم أي دليل، وحقيقة وجود بعض البدلات الواقية في مرأب منزلك لا تثبت أي شيء، ولقد بررت لم ابتعتهم».

أجاب دان بقلق: «لكنهم يعرفون أنني خرجت مرة أخرى في تلك الليلة. (ثم نظر نظرة خاطفة إلى ليزا وتابع) حاولت ليزا أن تتستر عليّ، لكنهم لديهم بعض الشهود الذين قد رأوني وأنا أخرج. لقد ذهبت في جولة بالسيارة فقط. إنني أفعل هذا طوال الوقت. لكنني لم أذهب هناك وأقتلتهما!». حاولت إيرينا أن تتمالك نفسها وألا تتقيأ.

قالت كاثرين: «هذا ليس كافياً. إنهم يعلمون أنني خرجت مرة أخرى تلك الليلة أنا الأخرى».

التفتت إيرينا وهي تحقق إليها في دهول.
وقال دان: «ماذا؟!».

كررت كاثرين: «لقد خرجت تلك الليلة أنا الأخرى. لقد رصدتني كاميرا الشرفة الأمامية الخاصة بالجيران في الشارع المقابل». قال دان وهو لا يصدق: «لقد كذبت على الشرطة؟». فأجابت كاثرين بحدة: «نعم فعلت، مثلما فعلت أنت الآخر».

- لماذا؟

شاهدت إيرينا كاثرين وهي مترددة ثم نظرت بعدم تيقن إلى زوجها وحيناً، وازدردت وقالت: «لقد عدت مرة أخرى قرابة الحادية عشرة والنصف إلى منزل والدينا تلك الليلة، و... لقد كانا ميتين بالفعل». سادت لحظة صمت تام أخرى ولم يكن هناك صوت إلا الصوت الصادر من الساعة.

صاحت إيرينا قائلة وهي مصدومة تماماً: «وجدتُهما، ولم تخبرينا بأي شيء؟ وتركت الأمر لي لأعثر عليهما؟».

قالت كاثرين بصوت متذبذب وهي تحاول أن تدافع عن نفسها: «إنني آسفة يا إيرينا. لقد كذبت بشأن ذهابي إلى هناك لأنني لم أرد أن يُشتبه بي». قال دان معترضاً: «لم يكونا ليظنا أنك من فعلتها. إنكِ الابنة المفضلة. لم قد تقتلينيهما؟».

تدخلت جينا قائلة: «لقد أخبرنا أبي تلك الليلة أنه سيبيع المنزل، هل تتذكر؟».

التفت دان إليها وقال: «وماذا في ذلك؟ هذا أمر لا يستحق أن يُقتل لأجله، (ثم عاد ينظر مرة أخرى إلى كاثرين وقال) لن يشتبها فيكِ أبدًا يا كاثرين. (وتوقف للحظة) لكن هذا ليس من طباعك على الإطلاق. لماذا لم تتصلي بالطوارئ؟».

كانت إيرينا قد استنتجت الأمر بالفعل، لكنها ترى الآن وجه دان وهو يعلوه الإدراك. وقال ببطء: «أوه لقد فهمت. (ثم نظر بذهول إلى أخته الكبرى) لقد ظننت أنني من فعلتها».

رأت إيرينا الصدمة التي اجتاحت وجه ليزا، وتعبيرات الذنب البادرة من كاثرين، وتيد، وجينا، وفهمت، وفكرت: يا لدان من مسكين. وأغلقت عينيها لبرهة وفتحتهما ثانية.

قالت كاثرين بحرص: «إنني لم أعلم ما الذي يجب علي التفكير به، لذلك لم أفعل أي شيء. كنت في صدمة. لذلك تظاهرت بأن الأمر لم يحدث».

قال دان بشكل عنيف: «هذا محض هراء! لقد ظننت أنني من فعلتها!». وأخذ ينظر بوحشية حول الغرفة وقال: «إنكم جميعًا تظنون أنني من فعلتها».

لم يتفوه أحد بشيء، وانقلب عليهم دان قائلاً: «حسنًا، إنني أعلم أنني لم أرتكب الأمر لذا ربما يكون أحدكم هو من فعلها».

تذكرت إيرينا كيف اعتادوا أن ينقلبوا على بعضهم بعضًا عندما كانوا أطفالًا. إن العلاقات والأنماط تنشأ منذ الطفولة، ولا تتغير بعد ذلك. وتأخذ التفاعلات الأسرية في الظهور المرة تلو الأخرى.

ثم سأل دان وهو ينظر بتمعن إلى أخته الكبرى: «لماذا علينا أن نصدقك يا كاثرين؟».

- ماذا تقصد؟

- أقصد أنهما ربما لم يكونا ميتين حين وصلت إلى هناك. وربما ذهبت أنت إلى هناك وقتلتهم!

قالت كاثرين باستخفاف: «هذا سخيف. لقد كنت تقول تَوَا إنني لا أملك أيّ دافع لقتلها».

نظر إليها بفتور وقال: «ربما كنت مخطئاً. لقد أردنا جميعاً موتها، فهناك كل تلك الأموال، وأنتِ أردتِ المنزل، وربما سئمتِ من الانتظار وظننتِ أن بإمكانك لصق التهمة بي، ومن ثم يتبقى لك الكثير ولجينا. (ونظر بعدوانية إلى جينا، وسأل) هل هذا ما حدث؟».

حدقت كاثرين إليه بدورها مصدومة، وقالت: «دان هذا عبث، وأنت تعلم هذا».

قالت جينا معترضة: «لو أننا نفعل أيّ شيء فهو حمايتك يا دان. وليس الدفع بك إلى الهاوية».

صرخ دان بمرارة: «حمايتي؟ متى حمتني إحداكما قط؟ لم يتدخل أحد قط. (ثم التفت دان إلى إيرينا بوجه ممتلئ بالمشاعر وقال) ما عداك أنتِ يا إيرينا. أنتِ على الأقل حاولتِ حمايتي، وأنا لن أنسى ذلك أبداً. (ثم أضاف بمرارة) لكن ما كان يجب أن تغسلي تلك السكين».

أخذت إيرينا تنظر إليهم بتعب، إلى الذرية المنقسمة التي ربتها.

قالت كاثرين: «إننا لا نحاول أذيتك يا دان. أخبرت الشرطة بأنني تحدثت إلى أمي ورحلت، وإننا من ندفع لمحامي الدفاع خاصتك».

التفت دان إلى جينا وقال: «ماذا عنكِ؟».

قالت جينا مذهولة: «ماذا؟».

- إن لديك القدر نفسه لتجنیه. كيف يمكننا أن نعرف أنك لم تقتليهما؟
إننا جميعاً نعلم بطبعك العنيف.

أجابت جينا بفتور: «چاك كان معي طوال الليل».

قال دان مستهزئاً: «بالطبع كان. إننا نعلم جميعاً ما يعني هذا. ربما يتستر عليك هو الآخر».

- حسناً، لا لم يفعل.

- عظيم. إذًا لا تمانعين إذا ما سألته.

- لا تكن حقيراً هكذا.

تابعت إيرينا الموقف وأعصابها تتمزق بينما كان دان ينظر ببطء من جينا إلى كاثرين وكأنما يفكر في شيء ما، ثم قال: «أنتما الاثنان كنتما تعلمان بخصوص البدلات الواقية في مرأب منزلي، ويمكن لأي منكما أن تكون قد أخذت واحدة بسهولة».

ومن الوجوم الذي خيم على الغرفة، رن جرس الباب، والتفت جميع من بالغرفة ليروا الزائر.

إن أودري مرتابة للغاية إزاء ما هي بصدد فعله الآن. لكن شيئاً ما دفعها إلى أن تتوجه بسيارتها إلى منزل كاثرين، وفور أن وصلت إلى هناك ورأت سيارات الجميع في الشارع، علمت بأن جميعهم متجمعون في الداخل، وبطريقة ما سارت إلى المدخل، ومنه إلى الباب الأمامي، ثم رنت الجرس، والآن تقف هناك منتظرة بينما تتلاحق أنفاسها، ثم تذكرت كم أزعجها دان مبكراً هذا اليوم وفكرت، ما الذي أفعله هنا بحق الجحيم؟ فكرت في أن تعود أدراجها وترحل سريعاً، لكن فُتح الباب حينها وفات الأوان. قالت كاثرين بنبرة عدائية: «ما الذي تريدونه؟».

- هل لي بالدخول؟

وبدت كاثرين تفكر في الأمر، ثم تنحت جانباً وأدخلتها. شقت أودري طريقها إلى غرفة المعيشة، والتقت عيناها بعيني دان لكنها نظرت سريعاً بعيداً. كان يسود الغرفة أجواء متوترة. من الواضح أنها قاطعت شيئاً ما، مشاجرة عائلية ربما، وفكرت: شخص ما في هذه الغرفة قاتل... وشعرت بالخوف وهو يحرك الشعيرات الموجودة في مؤخرة رقبتها، وقالت بفضاضة لتخفي خوفها ودون حتى أن تجلس: «لن أمكث طويلاً. لقد تحدثت إلى والتر بالأمس. وأنا متأكدة من أنكم تعلمون بحلول الآن أن والدكم لم يغير وصيته لصالح».

قالت جينا بازدياء: «بالطبع لم يفعل».

وجهت نظرها إلى جينا وقد أغضبتهاب نبرتها المستهينة، وقالت: «لأنه لم يحظَ بالوقت لأن أحدكم قتله قبل أن يتسنى له فعل ذلك!».

ثم وجهت نظراتها إلى الآخرين الذين كانوا يرمقونها بعداء صريح، أو ربما خوف، وواصلت أودري حديثها وهي بالكاد تتمالك غضبها، وقالت: «هل

كان والدكم هو من أخبركم بأنه سيغير وصيته؟ أو ربما فعلت هذا أمكم دون علم فريد؟ لأنها كانت تعلم بما كان ينوي فعله، ولم تحب الأمر. أتساءل أيكم قد أخبرته بذلك؟ (ثم أخذت تنظر إلى كل واحد منهم وقالت بنبرة تهديد) إنني أعلم أنه واحد منكم، وأنا أعلم بأسراركم الصغيرة. وربما حان الوقت ليعلم الجميع كيف كانت هذه العائلة حقًا.

ثم التفتت وخرجت وهي تشعر بالسعادة الغامرة والخوف معًا بما فعلته.

مكتبة

t.me/soramnqraa

33

فور أن خرجت أودري، رحل دان هو الآخر عن منزل أخته وأسرعت ليزا خلفه لتلحق به، ركب سيارة زوجته وصفق الباب خلفه، وركبت ليزا بجواره، عاد بالسيارة إلى الخلف بسرعة مما جعلها تصدر صريرًا حادًا وهو يخرج من المدخل الخاص ومنه توجه إلى الشارع. صاحبت ليزا قائلةً: «هدئ من السرعة!».

خفف من ضغط قدمه لدواسة البنزين، لكن يداه كانتا لا تزالان تقبضان بغضب على عجلة القيادة. وقال بتجهم: «إنهما تظنان أنني من فعلتها يا ليزا، أختاي! (وتجاهل زاوية، وأكمل في قيادته السريعة). وتلك العاهرة أودري، اللعنة عليها وعلى فمها الكبير».

وأخذ يفكر فيما تعرفه بشأنه، وما يمكنها أن تفشيه. لكن الكلمات المعتادة المطمئنة من زوجته لم تخرج من فمها، نظر إليها دان، ولم يكن على وجهها أيُّ تعبيرات. كانت ليزا تحت تأثير الصدمة، تجلس على الكرسي بجواره وهي تضع يدها على لوحة القيادة بينما دان يقود بسرعة جنونية. إن دان يتحدث إليها، لكنها لا تستطيع سماعه. ما تزال تحاول استيعاب ما حدث تَوًّا. إن كاثرين وچينا تعتقدان أن دان قتل والديهما. إلى هذا الحد، الأمر واضح. لكن السؤال هو، ما الذي تعتقده هي؟

لقد بدأت تساورها الشكوك.

في البداية، لم تصدق أن دان له أيُّ علاقة بالأمر. إنها تعلم الملابس التي كان يلبسها حين خرج في تلك الليلة. لم تكن هناك أيُّ دماء عليها. لذلك لم تمنع في أن تتستر عليه. لكن بعد ذلك، وجدت الشرطة عبوة البدلات الواقية. كانت قد وقفت على عتبة باب المرأب وأفكارها تتدافع، لو أنه كان يرتدي البدلة وينتعل الحذاء، لم تكن الدماء لتطاله بتاتاً، وكان يمكنه أن يعود إلى المنزل بملابس نظيفة.

وكاثرين، كيف أمكنها رؤية الجثتين ولم تتفوه بكلمة؟ الأمر مثير للقلق. لا يبدو أنها ردة فعل ناجمة عن كاثرين بتاتاً، وبالتأكيد لم تكن لتفعل هذا إلا لمحاولة حماية أخيها، وأن تمهله بعض الوقت ليتخلص من الأدلة. وهنا تكمن المشكلة، أنها تصدق كاثرين أكثر مما تصدق زوجها. تجمدت الدماء في عروقه وهي تفكر في كل هذا، وأنه بالفعل قد قضى وقتاً طويلاً خارج المنزل في تلك الليلة. إنها تعتقد أن أختيه تحاولان حمايته على الرغم من أن دان لا يرى الأمر بتلك الطريقة. وإذا كان باستطاعتهما أن تتعايشا مع هذه الحقيقة، فربما هي الأخرى يمكنها فعل ذلك. بالإضافة إلى أن دان على وشك أن يرث ثروة. إلا إذا اعتُقل. لكن لن تكون كاثرين وچينا من ستعيشان معه في نهاية المطاف. ولماذا يبدو خوفهم حقيقياً مما قد تفعله أودري؟

شاهد تيد دان وليزا وهما يرحلان وأغلق الباب خلفهما، عاد إلى غرفة المعيشة مثقل الكاهل، وارتمى بجوار زوجته على الأريكة وأرجع ظهره إلى الخلف. إنه مُنْهَك من كل هذا، وممتن لأن طفولته كانت بسيطة إلى حد ما بكونه الابن الوحيد. أما عائلة كاثرين فهي عائلة مضطربة لعينة.

نهضت چينا واقفة وقالت: «سأذهب إذاً. أعلماني إذا ما جد جديد». وقالت إيرينا أيضاً: «وأنا أيضاً».

أخذ تيد يفكر أنهم تقريباً نسوا أن إيرينا تجلس في الزاوية، وتساءل إذا ما كانت تشعر الآن بأنها لا تعرفهم. أوصلتهما كاثرين إلى الباب، وأغمض تيد عينيه، وسمع زوجته تعود إلى الغرفة مرة أخرى وشعر بها وهي تجلس بجواره على الأريكة، كان يفكر فيما قاله دان، لقد كان يهاجمهم لأن موقفه سيئ وهو يعلم هذا، وكاثرين وچينا تحاولان مساعدته. لكن تيد قرر أنه لن يتدخل في الأمر. فليكن ما يكون. لكن أزعجه ما قاله دان، اتهامه لكاثرين وچينا. لكن الحقيقة هي أن كاثرين كانت هناك في تلك الليلة، ولم يستطع تيد

أن يتقبل حقيقة كيف استطاعت كاثرين أن تأتي إلى المنزل وتتناول الغداء معًا وكان حينها شيء بخير. لم يعد متأكدًا من مدى معرفته لها بعد ما حدث.

سأل تيد، وهو يلتفت لينظر إليها: «لماذا قال ذلك، عن البدلات الواقية؟».

- ماذا؟

- أنكما كنتما تعلمان بشأن مكانها. كيف أمكنكما معرفة هذا؟

هزت رأسها وقالت: «زرناه أنا وچينا مرة لتتناول الغداء معًا وكان حينها يعمل في العلية. هذا كل ما في الأمر. وضحكنا من مظهره في تلك البدلة الواقية. أعتقد أنك ذهبت للعب الجولف في هذا اليوم».

أدار تيد عينيه بعيدًا، وقال: «وما الذي كانت أودري تتحدث عنه؟».

أجابت كاثرين: «أف. تجاهلها! إنها فقط غاضبة لأنها لم تحصل على الأموال. إنها غير مؤذية».

لكن يمكن لتيد أن يستشف أنها قلقة، وهذا يقلقه هو الآخر.

اتجهت جينا شمالًا من حي أختها الراقي لتعود إلى منزلها، وكانت قد وصلت سريعًا إلى ضواحي المدينة، ومن ثم إلى الطريق الموحلة الخاصة بالريف. وبينما كانت تقود، أخذت تفكر في كم تكره عمتها أودري بشدة. لطالما بدت أودري دائمًا أنها تحبها أقل من البقية. ليست متأكدة لماذا. كانت لتعتقد أن ترتيبها سيوافق ترتيب والدها، حيث كاثرين في المرتبة الأولى، ثم جينا، ثم دان. لكن يبدو أن أودري لديها تفضيلاتها الخاصة بها، وتضع جينا في المرتبة الأخيرة. على الرغم من أن جينا لم ترتكب بحقها أي شيء.

من الواضح أن أودري تهددهم جميعًا. ما كانت لتجرؤ على فعل هذا عندما كان والدهم على قيد الحياة، وتسيطر عليها مشاعر الانتقام والتهور. تفكر في أنها حرمت من ثروة ما، وأن هذا بسببهم. إن أودري على اطلاع بأسرار العائلة، على الأقل معظمها. إنها تعلم أمورًا عنهم، أمورًا يمكن أن تثير الشرطة والعامه ضدهم. تعرف أودري على سبيل المثال بطابع جينا العنيف منذ الطفولة.

حين كانت جينا تبلغ من العمر ست سنوات، وبسبب غضبها من دان لإغاضته إياها، دفعت من أعلى الزحلوقة في فنائهم، سقط للخلف وهو يصرخ ثم ارتطم

بقوة بالأرض. كان من الممكن أن يؤول الأمر للأسوأ بكثير، لكن ذراعه، وليس عنقه، هي ما كُسرت فقط. رأت كاثرين ما حدث وذهبت تبكي إلى والديها. قالت أودري وهي تشهق مرعوبة وتبالغ في الأمر أكثر مما كان يلزم: «أي نوع من الأطفال يدفع بواحد آخر من أعلى الزحلوقة؟».

ولسوء الحظ، تصادف وجودها هناك في منزلهم في ذلك اليوم. وانتظرت بعد ذلك مع والدهم بينما أخذت أمهم دان إلى المشفى لوضع ذراعه الكسيرة في جبيرة. جلست جينا تحت طاولة المطبخ لتلعب بعرائس الباربي خاصتها وسمعت أودري ووالدهم يتحدثان عنها، وقالت أودري لها وهي راحلة: «يجب عليك أن تُبقي أعصابك تحت السيطرة أيتها الأنسة الصغيرة».

وكرهتها جينا من حينها.

بعد ذلك، تسببت لكاثرين بارتجاج، وعلمت أودري بشأن هذا الأمر أيضًا لأن والدهم كان يخبر أخته الصغيرة بكل شيء يخص أولاده، وكلما كانت الأشياء سيئة، كان أفضل. كانت جينا قد التقت هراوة بلاستيكية وضربت كاثرين التي سقطت بدورها وصُدم رأسها بالرصيف لأنهما كانتا على خلاف، هرعوا بكاثرين إلى المشفى، وأخبر والداها الجميع أن كاثرين سقطت بينما كانت تلعب.

وُعوقبت جينا بشكل جاد بسبب هذا.

شاهدت أودري في منزلها هذا المساء أخبار الحادية عشرة وهي ترتدي منامتها وترتشف شاي البابونج. لا جديد بشأن قضية الزوجين مرتون. جلست في فراشها وهي ترمق جهاز التلفاز بإحباط كبير وتفكر بتعاسة في ميراثها الذي خسرت، والذي كانت تتمنى كثيرًا أن تستمتع به. كانت تتخيل حصولها على منزل يخصصها في بريكن هيل، وملابس فخمة، ورحلات إلى أوروبا وجزر الباهاما. كانت هناك لقطات فيديو قصيرة عن تفتيش الشرطة لمنزل دان مبكرًا هذا اليوم، لكن لا فكرة لديها إذا ما عثروا على أي شيء يدينه، ولم يذكروا أي شيء الآن، وتذكرت كيف كانت مرعوبة عندما اقترب دان من زجاج نافذة سيارتها، والغضب في قبضته وهو يهوي بها على سيارتها.

والآن وبعد أن قضت بعض الوقت لتفكر في الأمر، يمكنها بالكاد تصديق أنها أفسدت تجمع العائلة في منزل كاثرين. من أين أتت بتلك الشجاعة؟

وقررت الذهاب إلى المحققين في الصباح.

34

إنه صباح يوم الجمعة، ورايس وبار يستعرضان الجريمة. إن مشهد الجريمة لم يسفر بشكل مخيب للأمال قليلاً عن شيء يخص الأدلة أو الخيوط. لم يجدوا أي دليل مادي تخلف من القاتل في مسرح الجريمة، بدأ رايس يصدق أنهما يتعاملان مع شخص ذكي للغاية، شخص قادر على تخطيط جريمتي قتل وربما يفلت بفعلته. لكن ليس إذا كان له علاقة بالأمر.

إنهما يعلمان أنه ربما كانت هناك مركبة أخرى بالقرب من المنزل في تلك الليلة، تلك التي ادعت إحدى الجيران، السيدة ساكس، رؤيتها. إنها شاحنة صغيرة لا يمكن الخلط بينها وبين سيارة كاثرين، أو دان، أو جينا، أو حتى إيرينا. أيًا من كان يقودها ربما قد رأى شيئًا. هناك احتمال أن سائق الشاحنة هو من قتل الزوجين مرتون. لكن حدسه يخبره خلاف ذلك. إلا إذا استأجر واحد -أو أكثر- من أولاد الزوجين مرتون شخصًا ليقتل والديهم، حينها ربما يكون القاتل سائق الشاحنة. لكن لم تسفر نشرات الشرطة، والمواصفات المنتشرة على وسائل الإعلام، والاستفسارات في المحلات المتخصصة في صناعة مثل هذا الشكل من الطلاء عن شيء حتى الآن. طرق العريف الواقف عند مكتب الاستقبال باب رايس المفتوح طرقًا خفيفًا، وقال: «سيدي».

- نعم، ماذا هناك؟

- هناك شخص يريد أن يتحدث إليك بشأن قضية الزوجين مرتون. إنها تُدعى أودري ستانيسك.

نظر رايس إلى بار وقال: «أخت فريد مرتون».

لم يكونا قد طلباها للاستجواب بعد، لكنها كانت على قائمتها، نهض من مكتبه وقال: «هيا نرى لماذا هي هنا».

دخلا غرفة الانتظار، فرأى رايس سيدة ممثلة الجسد بشعر أشقر يصل إلى كتفها تنهض من أحد الكراسي. إنها حسنة المنظر، وتضع أحمر شفاه فاتح اللون، وترتدي بدلة رملية اللون تحتها قميص بألوان زاهية وتنتعل حذاء بكعب قصير، وخمن رايس أنها على الأرجح تبلغ نحو ستين عامًا. وتذكر أن فريد كان يبلغ الثانية والستين. أدخلا أودري إلى غرفة الاستجواب. عرضت عليها بار أن تحضر لها قهوة، وقبلت عرضها بسعادة قائلة: «مع الحليب، وملعقتين من السكر».

سأل رايس أخيرًا: «ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

- إنني أعلم أنكما استجوبتما جميع أفراد العائلة. (ثم قالت بعينين ثاقبتين) إلا أنا.

وارتشفت رشفة من قهوتها ووضعتها في مكانها مرة أخرى. أخذ رايس يتساءل إذا ما كانت فقط امرأة فضولية تشعر بأنها مستبعدة، لكن ما قالتها بعد ذلك جعل رايس يشنف أذنيه، قالت: «إنني أعلم الكثير عن تلك العائلة، وعلى غرار الجميع، إنني مستعدة لأخبركما كل شيء عنها».

ركبت حينما القطار صباح يوم الجمعة لتذهب إلى مدينة نيويورك وتقابل چاك ليشربا قهوة في مكان يحبه كلاهما، مقهى «روكت فيول Rocket Fuel». إنه مكان يحب الفنانون التسكع فيه لأنه رخيص وقدر بطاويات مشوهة وكراسي لا تتناسق معها، وقهوة قوية. وصلت إلى هناك أولاً وجلست ترقب النافذة لتراه وهو قادم وتنتظر دخوله من الباب. لم تعرفه منذ مدة طويلة، ولا تعرفه جيدًا. وتأمل ألا تكون قد ارتكبت خطأ بذلك. ثم رآته وهو يدخل المقهى، بقوامه الطويل الرشيق، وتذكرت كيف أنها منجذبة إليه. لقد كادت أن تنسى ذلك. ابتسمت وهو يسير نحوها، ثم وقفت وقبلته قبله طويلة جذبت انتباه رواد المقهى، ثم قال چاك بصوت منخفض ومثير: «مرحبًا، لقد اشتقت إليك».

- اشتقت إليك أنا أيضًا.

أجابت وهي تدرك كم هذا صحيح. إنها تحب رائحة الطلاء والتربنتين التي تفوح منه، الممزوجة مع رائحة العرق، وفور أن حصل على قهوته، جلسا ملاصقين لبعضهما بعضاً حول طاولتها الصغيرة، وقال وهو يمسد شعرها: «إنه لمن الجيد للغاية رؤيتك. كيف حالك؟ هل أنت بخير؟».

هزت رأسها بنعم ثم قالت: «أعتقد هذا. لكن يا چاك...».

نظرت بعمق في عينيه وأخفضت صوتها قائلة: «نظن أنا وكاثرين أن دان ربما هو من ارتكب الأمر».

نظر إليها باهتمام بدوره. لكنها أدركت أنه ليس مدهوشاً للغاية، وأدركت أن الجميع سيرى دان على أنه المشتبه الرئيسي، ثم مالت مقتربةً منه وهمست: «من الواضح أن الشرطة تعتقد أنه من فعلها. كان قد أخبرهم أنه كان في منزله طوال الليل، وأكدت ليزا كلامه، لكن لدى الشرطة شهوداً يثبتون أنه ركب سيارته واختفى لساعات. ولديه محام الآن».

- هل سيلقون بالقبض عليه؟

- لا أعلم. أمل ألا يحدث هذا. قالت كاثرين إنهم لا يملكون أي دليل، فهم لم يجدوا أي شيء في منزله. (ثم توقفت وأردفت قائلة) إلا...

- إلا ماذا؟

أخبرته بشأن البدلات الواقية التي عثرت عليها الشرطة في مرأبه وطلبت منه ألا يفشي هذا السر لأحد. قال چاك بتردد: «لقد رأيته وهو يطلب المال من أبيك في تلك الليلة، وكان قد رده خائباً. إنني لم أخبر المحققين بهذا الأمر».

نظرت إلى الطاولة ذات الندوب أمامها وقالت: «لا أعلم ما الذي يجب علي فعله».

قال چاك مطمئناً: «لا يوجد أي شيء يمكنك فعله».

واقترب وأمسك بيديها وهو يقول: «وأنا هنا من أجلك. تعلمين هذا، صحيح؟».

اقتربت منه وقبلته برقة على فمه وهي ممتنة، ثم توقفت عن تقبيله، وسأل: «هل تريدني هناك غداً؟ في الجنازة؟».

- إن كنت لا تمانع. (ثم تجهمت وهي تقول) سيكون الأمر مريعاً للغاية، ستكون الشرطة هناك تراقب كل شيء.

وفكرت في أنه إذا ما حاول دان أن يتحدث إلى چاك في الجنازة، ستكون هناك بجواره، وستردع الأمر. أنهيا قهوتهما وقالت: «ربما يجب أن نعود إلى شقتك لنعرف ماذا سترتدي غداً».

- ما هذا إلا حجة لتتمكنني من إدخالني إلى الفراش، أليس كذلك؟
وابتسمت.

35

قال رايس لأودري مهتمًا بسماع ما تود قوله: «تابعي».

شرعت أودري في الحديث قائلة: «عانت العائلة المشكلات، لم تكن شيلا تصلح لأخي، كانت ضعيفة وتافهة، لم تخرج أفضل ما فيه، وكان فريد يكره الضعف؛ كان يغضبه».

تدخلت بار قائلة: «لماذا إذا تزوج بامرأة ضعيفة؟».

نظرت إلى بار وقالت معترفة: «لا أعلم. (ثم تنهدت وقالت) ربما كان أسهل له من التزوج بأخرى قوية».

ثم توقفت لبرهة تفكر وتابعت: «كانت شيلا امرأة أنانية، ولم تكن تبدي اهتمامًا كبيرًا نحو أبنائها. لقد كانت عائلة مضطربة. لن يخبروكم بذلك، لكنني أعلم. إنهم يريدون أن يظن الجميع أن كل شيء كان مثاليًا. لكن الأولاد كانوا يكرهون فريد».

سأل رايس: «لماذا؟».

- لأنه كان مريعًا معهم. كان فريد قاسيًا، وبخاصة مع دان. (وارتشفت رشفة من قهوتها ثم واصلت) كان يملك أموالًا كثيرة، أكثر مما كان يعرف ماذا يفعل بها، ولم يكن يبخل على أولاده، بخاصة في السنوات الأولى. (ثم تابعت أودري موضحة) لقد كبر هؤلاء الأطفال وهم معتادون أن يكون لديهم أشياء رائعة. لكن بدأ فريد في سحب تلك الأشياء بعد ذلك، لأن أولاده خيبوا ظنه. لقد كانت لديه آمالٌ كبرى لهم عندما كانوا

أطفالاً، وكان مستاءً بالأخص من دان. كان يحب الفتاتين أكثر مما كان يحب دان بكثير إن أردت رأيي.

كان فريد رجل أعمال فذاً، ولم يكن دان يمتلك أيّاً من مهاراته. أراد دان إرضاء والده، لكن كل ما فعله لم يكن كافياً قط. وكان فريد يقلل من شأنه طوال الوقت مما حطم ثقته بنفسه. كان الأمر وكأنه أدرك أن دان لن يرقى بمستواه أبداً، وعليه لم يقاوم صب غضبه وعدم رضاه عليه في كل مرة، ثم باع الشركة حتى لا يحصل عليها دان. إنني متأكدة من أنه كان قرار عمل صائباً، لكنني أيضاً أعلم أنه فعل هذا بنية سيئة، أراد أن يجرح دان لأنه خيب آماله. (ثم توقفت لتلتقط أنفاسها وتابعت) كان يمكنه أن يكون كذلك.

- هل تعتقدين أن دان من قتلتهما؟

- لا أعلم. لكنني متأكدة من أن واحداً منهم فعلها.

- لماذا أنت متأكدة هكذا؟

- كان فريد يحتضر. لقد كان يعاني سرطان البنكرياس وكان يعلم أنه ليس أمامه وقت طويل، ورفض جميع العلاجات، فيما عدا المسكنات. على كل حال، كان قد شعر أنه كان كريماً أكثر من اللازم مع أولاده، وأن هذا الأمر ربما تسبب في إفسادهم.

وأخذت أودري تخبرهما كيف كان فريد ينوي تغيير وصيته، وبقينها بأن واحداً على الأقل من الأبناء كان على علم بذلك، وأن ربما فريد أو على الأغلب شيلا قد أخبرهم بالأمر ودفعاً ثمن هذا بروحيهما قبل أن يتمكن فريد من تنفيذ ما عقد نيته عليه. فكر رايس أن هذا بكل تأكيد يستبعد أن تكون أودري القاتلة. فلقد كانت ستحصل على الأموال سريعاً على كل حال.

قالت أودري: «لو أردت رأيي، إن واحداً منهم سيكوباتياً ولم يكن لديه أي مشكلة في قتله لوالديه. كل ما عليكما فقط هو أن تعرفا أي واحد هو. (ثم رجعت للخلف في كرسيها وقالت) دعاني أخبركما ببعض الأشياء عن هؤلاء الأولاد».

تمكنت ليزا قرب وقت الغداء من التسلل من المنزل بينما كان دان يعبث في المرأب، أخذت سيارتها، وأخبرته بأنها ستذهب لقضاء بعض المهام،

لكنها تنوي الذهاب إلى وجهة مختلفة. إنه غاضب للغاية من أختيه، لقد أقنع نفسه أنهما خانتاه بظنهما السيئ به. لم تحب هذا الأمر هي الأخرى، ويمكنها أن تتفهم مشاعر الغضب والخيانة التي يشعر بها، والخوف. لكنها أيضًا تعتقد أن أختيه تريدان حمايته، وحين أخبرته بذلك، قال: «إنكِ لا تعرفينهما». مثلما أعرفهما».

ورفض أن يتحدث في الأمر أكثر من ذلك.

إنها لا تريد للخصام الذي بين دان وأختيه أن يكون ظاهرًا للعيان في الجنازة غدًا. يجب أن تجعله يغير من رأيه بطريقة ما. يجب عليهم أن يظهروا مُتحدّين؛ لا يمكن أن تسمح بأن يبدو منبوذًا من أختيه. وهو منفعل للغاية ومُعرض لنوبات غضب غير متوقعة. الشيء الآخر هو أنها ليست متأكدة تمام التأكد من أنهما مخطئتان بشأنه. وهي بحاجة إلى الدعم، وبحاجة إلى العزاء، لأنها لم تكن خائفة هكذا طوال حياتها. قادت المسافة القصيرة التي تفصلها عن منزل كاثرين وهي تفكر فيما ستقوله. لقد أصبحت قريبة من كاثرين منذ أن تزوجت دان، ولقد وثقت ليزا بكاثرين وأخبرتها بشأن ضائقتهم المالية أكثر مما قد يسمح به دان.

توقفت عند مدخل بيت كاثرين الطويل، ولاحظت أن ستائر حجرة المعيشة مُسدلة. إنه لمن الصعب التصديق أنه مضى ثلاثة أيام فقط منذ عُثر على جثتي فريد وشيلا، يبدو الأمر وكأنه أطول بكثير. لقد انقلب عالمها كله رأسًا على عقب. أدخلتها كاثرين، وفور أن أغلق الباب خلفها، أخذت دموع ليزا تنهمر بلا حصر، عانقتها كاثرين وانفجرت ليزا في البكاء. وأخيرًا، ذهبتا وجلستا في غرفة المعيشة، وحين كفت ليزا عن البكاء، بدأت في الاعتذار. كان تيد قد دلف إلى الغرفة، لكنه، وبحكمة، عاد أدراجه مرة أخرى إلى الطابق العلوي.

قالت ليزا ببؤس: «إنني لا أتصرف بشكل جيد».

- إنكِ تتصرفين بالشكل الذي كان سيتصرفه أيُّ شخص.

نظرت ليزا إلى كاثرين ولاحظت الإجهاد البادي على وجهها وجسدها، ثم استجمعت شجاعته وسألت السؤال الذي جاءت إلى هنا لتسأله: «إنكِ تعرفينه أكثر. هل تظنين حقًا أن دان من الممكن أن يكون قد فعلها؟».

أدارت كاثرين عينيها بعيدًا لبرهة ثم أرجعتهما بقلق ناظرة إلى ليزا في عينيها وقالت: «إنني لا أعلم ما الذي يجب عليّ التفكير فيه».

أقرت ليزا بهمس: «ولا أنا، منذ أن وجدوا تلك البدلات الواقية».

بعد أن انتهت من مركز الشرطة، توجهت أودري إلى منزل إيلين وأوقفت سيارتها عند المدخل. إنها بحاجة إلى الحديث إلى أحدهم، ولا يوجد أي شخص آخر يمكنها أن تتحدث إليه بشأن ما حدث إلا إيلين، قالت إيلين وهي تفتح الباب بعد أن رأت سيارتها من النافذة: «أودري، هل تودين شرب بعض القهوة؟».

قالت أودري وهي تدلف وراءها إلى المطبخ: «بالطبع».

قالت إيلين وهي تعد القهوة: «ما آخر الأخبار؟».

ألقت أودري بكاهلها على طاولة المطبخ وهي تفكر إلى أي مدى يجب أن تخبر إيلين أين كانت، ثم قررت أن تعترف وقالت: «لقد عدت توأ من مركز الشرطة».

التفتت إيلين محدقة إليها بذهول، وقالت: «لماذا؟ ما الذي حدث؟».

- أخبرتهما بالحقيقة.

أجابت إيلين وقد نسيت أمر القهوة تمامًا: «أي حقيقة؟».

ازدردت أودري وقالت: «أخبرتتهما بأنني أعتقد أن واحدًا من أبناء فريد هو من ارتكب الجريمة، وأن فريد أو على الأرجح شيلا قد أخبرا واحدًا منهم بأن فريد سيغير وصيته لصالحه».

أخذت إيلين تقول رويدًا رويدًا: «أوه يا أودري، هل أنت متأكدة من أن هذه فكرة جيدة؟».

أقرت أودري: «لا أعلم، ربما لا».

- هل أنت متيقنة من أن فريد كان سيغير وصيته؟

أكدت أودري بحزم: «نعم، (كان يمكنها الشعور بأن إيلين لا تصدقها بعض الشيء. لكن ما الذي تعرفه إيلين بشأن الأمر؟) أنا متأكدة. لقد وعدني بذلك. أراد عقاب أولاده. وأعتقد أنه كان يجزيني جزاء صمتي كل تلك السنوات».

سألت إيلين بفضول: «الصمت بشأن ماذا؟».
أكدت أودري بسرعة: «لا شيء مهم».

إنه مساء الجمعة، وكانت روز تستلقي على فراشها بعد أن عادت من العمل ولا تزال ترتدي تنورتها وقميصها. ولشعورها بالإنهاك الشديد وصعوبة نهوضها لتعد بعض الطعام، جلست بدلاً من ذلك وهي مغلقة عينيها تفكر بقلق في موقفها، بينما تظل أفكارها تذهب مرارًا وتكرارًا إلى النقطة نفسها مرة أخرى. إنها متوترة للغاية، ونادمة الآن على ما فعلته. لقد كان خطأ. لماذا فعلت هذا؟ لكنها تعلم لماذا؛ لأنها جشعة، وغير صبورة، وأخذت طريقًا مختصرًا. لو كان بإمكانها أن تعود بالزمن للوراء، وتلغي ما فعلته، لفعلت. ثم نهضت بعد فترة من فراشها، وأخذت تنظر داخل خزانة. يجب أن تجد شيئًا مناسبًا يمكنها أن ترتديه من أجل الجنازة غدًا، وقررت أن بدلتها السوداء ستفي بالغرض.

36

فكر رايس وهو يحكم ربطة عنقه أن طقس اليوم، يوم الأحد، مشمس ومعتدل الحرارة مما يجعله يومًا جميلًا لعقد جنازة. سيحضر هو وبار الجنازة بالإضافة إلى بعض عناصر الشرطة الذين يلبسون ملابس مدنية وسيختلطون بجمع المعزين لمراقبة العائلة والمقربين منها. سيراغبون الجميع.

قاد سيارته إلى كنيسة سانت بريجد في بريكن هيل حيث يذهب الأغنياء. إنها ضخمة للغاية ولم يكن قد دلف إلى داخلها من قبل، صف سيارته في موقف السيارات وتوجه إلى الكنيسة بتمهل وهو يراقب الأرجاء. لقد حضر مبكرًا لكن أخذ سيلٌ مستمرٌ من الأفراد في الدخول بسياراتهم الفارهة إلى موقف السيارات، ظل في الخارج يشاهد المعزين وهم يصلون وينتشرون خارج الكنيسة لتقديم تعازيهم، وأخذ يشكل النساء ذوات الأعمار المتوسطة في فساتين وقبعات والرجال في بدلات سوداء جماعات صغيرة يتجمعون ويختلطون فيها مع من يعرفونهم من أشخاص ويتحدثون بأصوات خفيفة، وبناء على طلب العائلة، لم يُنظَّم إلقاء نظرة أخيرة على الجثمانين في دار الجنازة قبل الجنازة. سيؤدون جنازة فقط، ثم سيشارك أفراد العائلة فقط في مراسم الدفن. من خلال تجربة رايس، دائمًا ما يُنظَّم إلقاء نظرة أخيرة على الجثمانين والانتظار بعض الوقت بعد مراسم الدفن، لكن لن يفعلوا هم ذلك، وهناك حفل تأبين في نادي الجولف بعد الجنازة.

لاحظ رايس وصول بار. تبدو مختلفة تمامًا وهي ترتدي فستانها الأسود البسيط وتنتعل حذاءها ذا الكعب العالي إلى حد أنه لوهلة لم يتعرف عليها.

وكان من المقرر أن تبدأ الجنازة عند الثانية. لكن لم يظهر أي فرد من العائلة حتى الآن، ثم لاحظ رايس أودري، وبصحبتها امرأة تبدو في منتصف الثلاثينيات من العمر. لا بد وأنها ابنتها لأنهما تشبهان بعضهما، وأخذ يتساءل إذا ما كانت ابنة أخت فريد تكرهه هي الأخرى. إنها لا تبدو سعيدة، لكن رايس متأكد من أن هذا ليس بسبب حزنها على خالها وزوجته، بخاصة بعدما نما لعلمه، أنه لم يكن هناك تواصل يذكر بينهما.

حضر أفراد العائلة معًا مستقلين اثنين من سيارات الليموزين السوداء اللتين توقفتا أمام الكنيسة. ترجلت كاثرين وتيد وإيرينا من السيارة الأولى، ثم تبعهم دان وليزا وجينا وچاك برنر من الثانية، أخذ رايس يتفحص كل واحد منهم بتركيز. يبدو دان مرتون شاحبًا وقلقًا ويشد ياقة قميصه باستمرار، وبجواره زوجته ليزا جامدة الوجه ويبدو أنها تخشى ما هو آت. أما كاثرين فتبدو جميلة بفستانها الأسود ذي التصميم الجميل وكانت تسير مستقيمة الظهر، ومترنة، وفاخرة. إنها ترقى لمستوى المناسبة، بينما أخوها دان وزوجته ليزا يبدو عليهما الارتباك بعض الشيء. أما تيد فكان يقف بحزم وثبات بجانب كاثرين ويبدو مستعدًا لما هو قادم. كانت جينا قد قدمت تنازلًا صغيرًا لأجل الجنازة ولبست تنورة سوداء قصيرة وقميصًا خافت الألوان وبدت مناسبة نسبيًا إلا من الخصلة الأرجوانية في شعرها.

تقدمت العائلة بأعين خفيضة إلى الأمام على الممشى ومنه صعدوا السلام إلى الكنيسة، ولم يتوقفوا للحديث مع أي شخص، وعند الباب الأمامي حياهم القس وقادهم إلى الداخل. وشيئًا فشيئًا أخذ بقية الحضور في الدخول إلى الكنيسة.

جاءت بار لتقف بجانبه أعلى السلام، وقال لها رايس: «تبدين رائعة للغاية».

- شكرًا لك.

- توجهي أنتِ إلى جهة اليسار، وأنا إلى اليمين.

وبينما تخطو بعيدًا، حدد رايس أماكن عناصر الشرطة المتخفين المختلطين مع المعزين وتواصل معهم بصريًا. إنهم لا يتوقعون حدوث شيء، لكن من الجيد دائمًا أن يكونوا على أتم الاستعداد، وهناك شرطي آخر يقف في موقف السيارات والآخر في الشارع إذا ما كان الموقف مزدحمًا واضطر بقية الجمع إلى صف سياراتهم في الشارع. كلاهما يبحثان على وجه التحديد

عن شاحنة داكنة اللون بالسنة لهب على طول جانبيها. ولو لمحا أي شيء، سيهتز هاتف رايس عندما يتصلان. لكنه لا يظن أن الشاحنة ستأتي، فالسائق لا بد وأنه يعلم أنهم يبحثون عنه.

أخذت موسيقى الأورغن تصدح في أرجاء المكان، اتخذ رايس مقعدًا لنفسه قريبًا من المقدمة على الجانب الأيمن للممر الخارجي للكنيسة، واكتشف أن هناك ما يقرب من ثلاثمائة شخص في الكنيسة في الوقت الذي أوشكت فيه المراسم على البدء، وأخذ يتساءل كم منهم يعرفون حقًا الزوجين مرتون وكم منهم أتوا فقط بسبب أنهما قُتلا.

هناك نعشان متطابقان من الخشب الماهوجني اللامع في مقدمة الكنيسة، ويحيط بالنعشين مجموعة كبيرة من أزهار الزنبق والورود، وكانت رائحتها تفوح إلى حيث يجلس رايس مذكرة إياه بالجنازات الأخرى التي حضرها. لكن هذه ليست مناسبة شخصية. إنها تخص العمل، وثبت ناظريه على العائلة الجالسة في الصف الأمامي بينما تبدأ المراسم.

أدركت كاثرين أن جسدها مشدود للغاية حين شارفت المراسم على الانتهاء، وأجبرت جسدها على الاسترخاء. إنها مسرورة من عدد الحضور الكبير، والورود جميلة، لقد أحسنت حين الاختيار. وإنها راضية عن النعشين اللذين اختاروهما، والمراسم تتسم بالاحترام ورفيعة المستوى. لقد أدوا عملًا رائعًا. ليس من السهل تنظيم جنازة كبيرة وباهرة مثل هذه خلال وقت قصير وتحت ظروف بتلك الصعوبة ولم يكن يُنتظر منهم الكثير. والآن كل ما عليهم فعله هو الانتهاء من هذه المراسم وحفل التأيين بعد ذلك. وبحلول الليل، سيكون كل هذا قد انتهى وستتمكن أخيرًا من الانهيار.

لقد كانت البداية سيئة هذا الصباح، لكن استطاعت ليزا جعل دان يتحدث إليها وإلى جينا من جديد بعدما أقنعت أن الأمر سيبدو سيئًا لو بدا أنه وأخته متباعدون عن بعضهم بعضًا. أقنعت ليزا أنهم يجب أن يظهروا للعيان ككيان متحد، عائلة حزينة معًا.

لمحت كاثرين المحققين خلال الحشود، إنهما يجلسان خلفها في مكان ما، يمكنها أن تشعر بنظراتهما مُسلطة على مؤخرة رقبتهما. إنها تجلس في آخر الصف الأمامي بالقرب من ممر الكنيسة الأوسط، وتيد بجانبها، وبجانب تيد جينا ثم چاك. إنها مدهوشة من معرفة أنه يمتلك بدلة أنيقة، أو ربما استأجرها، ثم دان، وليزا، وإيرينا. تعلم أن أودري تجلس مع ابنتها -التي

أنت من أجل حضور الجنازة- في آخر الصف، وهذا أزعجها. وأخذت تتساءل إذا ما كانت أودري قد أخبرت المحققين بأي شيء. كانت كاثرين قد قالت كلمتها، والقس يشارف على الانتهاء. وهناك معزوفة غنائية عذبة، معزوفة آفا ماريّا. كادت الترانيم أن تنتهي حينما أحست بحركة عن يمينها. نظرت إلى هناك بسرعة. لا، لا يمكن أن يكون! كان دان يقف عند مقعده بينما يقول القس كلام الختام، كانت ليزا تضع يدها على ساعد دان، وتجذبه، ووجهها يتطلع إليه بذعر، ثم همست شيئاً في أذنه، فكرت كاثرين في أنها تخبره أن يجلس. كان دان أحمر الوجه الآن، وتعلو وجهه تلك النظرة العنيدة التي تعرفها من أيام طفولتهم. لقد اكتفى من النفاق، وظنت كاثرين أنه يريد الرحيل، ثم وقف وذهب متخطياً رجلي زوجته، وإيرينا، وأودري، وابنتها، ووصل إلى آخر الصف، وانعطف متوجّهاً إلى مقدمة الكنيسة وأدركت كاثرين برعب أنه سيتحدث، ثم نظرت إلى ليزا في عينيها وكلتاها أظهرتا الفزع. كانت ليزا ترجوها بصمت أن تفعل شيئاً، وأن تمنع المصيبة التي على وشك أن تحل. لكن ما الذي يمكنها فعله؟ هل تحاول منعه؟ عادت كاثرين بتركيزها مرة أخرى على مقدمة الكنيسة وشاهدت في حالة مزرية من الحيرة دان وهو يقترب من المنبر، كان يمكنها الشعور بالحفيف الناتج عن تحركات المعزين في الكنيسة، الذين قد أشعرهم القداس بالقليل من النعاس، وهم يخرجون عن ملهم الآن برؤية دان عند مقدمة الكنيسة، وشعرت بيد تيد وهي تضغط يديها داعمة، ازدردت كاثرين وجاهدت رغبتها في التدخل. ربما سيصير الأمر على خير ما يرام، ومن ثم أنهى القس ونزل من المنبر، وبدأ دان في التحدث. وقال: «لم أكن أنوي التحدث في جنازة أبي وأمي. (كان الاحمرار واضحاً أكثر على وجهه الآن وأخذ يشد بتوتر ياقة قميصه) إنني لست متحدثاً بارعاً، لذا هذا الأمر صعب بالنسبة إليّ».

ثم توقف، ونظر إلى الجمهور، وبدا أنه فقد أعصابه، وتمنت كاثرين لو يفقد أعصابه بالفعل وأن يقول شيئاً قصيراً ومسالماً مثل: «شكراً لكم على مجيئكم» ويعود مرة أخرى إلى مقعده. لكن بدا وأنه استجمع شجاعته وتحدث قائلاً: «لم أكن أنوي التحدث لأنه وكما يعلم العديد منكم لم أكن أنا وأبي على وفاق. لكن هناك بعض الأشياء التي أود قولها».

37

أخذت كاثارين في الاستماع وجسدها متجمد. إن صوت دان يرتعش متوترًا، لكن يبدو أنه عازم على أن يكمل الأمر، قال وهو ينظر إلى الحشد أمامه متحاشيًا النظر إلى الصف الأول حيث تجلس عائلته: «يعرف العديد منكم عن والدي أنه كان رجلًا طيبًا، رجلًا خلوقًا، رجل أعمال ناجحًا فخورًا للغاية بنجاحاته. لكنه كان مختلفًا في المنزل، ورأينا جانبًا منه لم تروه أنتم قط. لقد كان رجلًا صعبًا. تستحيل المعيشة معه. مُتطلب، ويصعب إرضاءه». توقف.

شعرت كاثارين بالأناس خلفها يتقلقلون في مقاعدهم، لكنها متجمدة في مكانها، وتحقق إلى أخيها الأصغر وهي تخاف مما سيقوله تاليًا. ثم تابع قائلاً: «لقد تُنَمَّرَ عليّ بلا رحمة، ليس في المدرسة، لكن من قبل والدي. كان قاسيًا وعقابيًّا. وكان قاسيًا بالأخص معي، كوني ابنه الوحيد، وعلى الأرجح بسبب أنني أكثر من خيب رجاءه. لقد كنت أكبر خيبة أمل حظي بها في حياته، أخبرني بذلك عدة مرات».

ثم توقف ليتسنى له تمالك نفسه ثم تابع: «وأخبرونا أن نلتزم الصمت بشأن هذه الأشياء».

ثم بدا وكأنه غير نبرة صوته وما يود قوله، وكأنه خرج عما كان أعده، وأخذ يتحدث بسرعة قائلاً: «لقد كان تعسفيًّا. استطعت معرفة ذلك الآن. عندما كنت طفلًا، كنت أظن أنني أستحق الأمر، لكنني الآن أعرف أن لا أحد يستحق أن

يُعامل بهذه الطريقة. لا بد وأنه عانى في النهاية. لقد كانت طريقة مريضة للموت. وأنتم على الأرجح ستسمعون أشياء عني، ولكنني أريدكم جميعاً أن تعرفوا أنني لم أفعل الأمر. حتى بعد كل ما ارتكب في حقي من كل تلك الأشياء المريعة، أنا لم أقتله. وما كنت لأقتل أُمي قط، وأتمنى أنها لم تعانِ كثيراً، وأتمنى أن تكون قد ماتت بسرعة».

إنه يهذي بالكلام.

إن كاثرين مرعوبة، وتغير لون وجه دان من الأحمر إلى الشاحب. كان يمكنها أن ترى أنه بدأ في فقد تمالكه لأعصابه، ويمسك بالمنصة وكأنه سيسقط إن لم يفعل، كان يمكنها رؤية وجهه وهو يكسوه العرق. يجب عليها أن تضع حدًا لهذا الأمر، نهضت وهي تترنح وقطعت المسافة القصيرة بين الجناح الأوسط والمنصة. كان قد توقف عن الحديث وأخذ يشاهدها وهي تقترب منه بحذر بينما خيم الصمت على الكنيسة، أخذت ذراعه برفق، حاول أن يُنزل يدها لكنه فجأة رضح للأمر وكأنه قد نسي الأشياء الأخرى التي أراد قولها، وعاد معها مرة أخرى إلى الصف، حيث تحركوا جميعهم من كراسيهم ليجلس بجانبها، وبينما كانت كاثرين تجلس، استطاعت أن تسمع مهممات الأناس الخفيفة وقد بدأت في التحول إلى همس. سيتحدث الناس عن هذا الأمر. وسيظهر الأمر في الأخبار. إنها تستشيط غضبًا من دان لكنها تحاول جاهدة ألا تُظهر هذا. وحاولت، لمرة، أن تنظر في عيني ليذا، لكن ليذا كانت تحقق إلى الأرض.

أخذ رايس يتأمل ما قد شاهده تَوًّا، وتساءل إذا ما كان دان مرتون شابًا مضطربًا بعض الشيء. ثم التف للخلف بحثًا عن بار ثم نظر إلى شماله، عثر عليها فنظرت إليه ورفعت حاجبيها. لقد انتهى القداس، تفقد رايس جواله بينما كان يهم بالوقوف، لم يردده أيُّ شيء. لو كانوا قد رأوا الشاحنة، لكانوا اتصلوا به، وتنهد بإحباط.

نهضت روز كاتر عن كرسيها في آخر الكنيسة وهي تفكر في التسلل بهدوء للمغادرة دون أن تقف في صف لتقدم التعازي إلى أفراد العائلة.

ستتوقع كاثرين رؤيتها. لكن هناك العديد من الأشخاص، وسيأخذ الأمر وقتًا طويلاً. إنها لا تريد التحدث مع العائلة. إنها تريد فقط أن ترحل بعيداً. وعليه، تسللت خارجة من الكنيسة.

أخذت إيرينا تحوم بالقرب وهي تراقب الأجواء بينما اصطف أفراد العائلة عند مدخل الكنيسة لتلقي التعازي من الحضور وهم في طريقهم للخارج. كانت قد جزعت للغاية من خطاب دان. والآن يقف دان هناك، مقيد بين أختيه اللتين أخبرتا ألا يتفوه بأي شيء إلا: «شكراً لمجيئكم». إنهم جميعاً قلقون حيال ما سيفكر فيه الناس، وما سيفكر فيه المحققان. تتوق إيرينا إلى انتهاء تلك المحنة. الجنازة، والتجمع بعد ذلك، والتحقيق. كل هذا مُنْهَك للغاية. إنها لم تعد تنال كفايتها من النوم، وتشعر أنها تعاني الدوار، وكأنها تقف على حافة هوة سحيقة وهي على وشك السقوط، ثم أخذت تشاهد دان.

نظر عن يمينه ومال حيث جينا وچاك، وقال: «إن جينا تقول إنك كنت معها طوال الليل في ليلة قتل أبي وأمي. هل هذا صحيح؟».

لم يكن قد أخفض صوته حين قال ذلك، واستطاعت إيرينا سماعه على بعد عدة أقدام وأخذ الأناس القريبون يحدقون إليه.

بدا چاك محرّجاً وقال شيئاً لم تستطع إيرينا أن تسمعه، ابتسم دان بلا سرور وقال: «حسناً، إنك إذاً لا تتستر عليها».

لاحظت إيرينا بصدمة قوية أن المحقق رايس يقف بجوارها، يشاهد ويسمع. لم تكن مرتاحة بوجوده على مقربة منهم يسمع كل شيء، وأخذت تشاهد بذعر بينما تنكشف أمامهم كارثة جديدة. وهي عاجزة تماماً عن إيقافها.

نظرت جينا إلى أخيها ووبخته بكلمة لم تستطع إيرينا سماعها بوضوح. على الأرجح تخبره بأن يصمت.

قال دان بغضب: «لماذا؟ ما الذي فعلته من أجلي قط؟».

كانت إيرينا تحبس أنفاسها. إنها تستشيط غضباً من المحقق الواقف جوارها الذي يرى كل شيء. بدت ليزا أنها تحاول إقناع دان بالرحيل، كانت تتحدث إليه بصوت خفيض، وهي تشد أحد كُمَي قميصه. لكن دان نظر

باتجاه إيرينا ولمح المحقق رايس واقفاً بجانبها، وصاح قائلاً وهو يلوح له: «أيها المحقق. هناك شيء يجب عليك معرفته».

ورأت إيرينا أن جميع أفراد العائلة، ما عدا دان، تجمدوا في أماكنهم لرؤية المحقق رايس. وابتعد المعززون بإحراج، وتقدم رايس بضع خطوات إلى الأمام حتى توقف بجانب دان، وقال له المحقق بهدوء: «ربما يجب أن نتحدث بعيداً؟».

لم يولِ دان لاقتراحه أي أهمية، وقال بصوت عالٍ: «إن أختي ليس لديهم حُجَّتِي غياب هما أيضاً. كما تعلم أن تيد تستر على كاثرين. وإنني لواثق من أن چاك قد تستر على چينا هو الآخر».

نظر رايس إلى چاك، لكنه أشاح بعيداً، وأكمل دان بمكر قائلاً: «وكانت كاثرين وچينا تعلمان بشأن البدلات الواقية في مرابي. يمكن أن تكون أي واحدة منهما قد أخذت واحدة، وأنا حتى لا أغلق باب المرأب معظم الأوقات. يجب أن تعرف هذا. إنني لم أقتلها، لكن ربما واحدة منهما فعلت».

بدا وكأن جميع من بالكنيسة سكن بلا حراك بفعل المشهد، رأت إيرينا أودري وابنتها واقفتين جانباً، وكانت أودري تشاهد الأمر وهي منتشية بابتسامة ساخرة على وجهها. إن إيرينا تعرف هذه العائلة. سينقلبون على بعضهم بعضاً. هذا ما يفعله هؤلاء الأولاد. هذا ما كانوا يفعلونه دائماً، ثم أدركت إيرينا فجأة صوت المصورين وهم يلتقطون الصور بغزارة.

انهار رايس على كرسيه الأثير في منزله هذا المساء، وهو مُنْهَك من أحداث الأسبوع الماضي، ويفكر فيما حدث في الجنازة مبكراً من هذا اليوم، بينما زوجته تعد أطفالهما للإخلاء إلى النوم. يجب عليه أن يساعدها حقاً في هذا الأمر، لكنها نظرت إليه نظرة واحدة وأعفته من الأمر لأنه بدا مرهقاً للغاية.

وجد رايس نفسه يتساءل إذا ما كانت كلتا الأختين تعلم حقاً بأمر البدلات الواقية في مرأب دان وإذا ما تمكنتا من الوصول إليها كما يدعي؟ هل ربما ارتكبت واحدة منهما الجريمة وهي تأمل أن يُدان هو؟ ولكي تحصل على نصيب أكبر من الميراث؟

كانت كاثرين قد كذبت بأمر عودتها إلى المنزل في تلك الليلة. هل قتلتهما عندما ذهبت إلى هناك؟ ربما قد أخذت واحدة من هذه البدلات بدلاً من تعريض

نفسها لخطر شراء واحدة بنفسها، وربما لتثير الاشتباه حول أخيها. وربما هي تتظاهر فقط بأنها الأخت الداعمة. إن أودري تدعي أنه لا بد أن شيلا أو فريد قد أخبرا واحداً أو أكثر من الأولاد بأمر خطة والدهم لتغيير وصيته لصالح أودري. لو هذا صحيح، من هو؟ وهل ستكون خسارة نصف التركة لتذهب إلى عمتهم دافعاً كافياً للقتل؟

وجينا... حسناً، چاك ليس بكاذب ماهر. ما الذي حدث حقاً في تلك الساعة التي قضتها جينا وچاك في المنزل مع فريد وشيلا؟ هل عادا بعد ذلك وارتكبا جريمتي القتل معاً؟ أم هل جينا فعلتها بمفردها على الأرجح؟ فإلى الآن، لا يزال چاك حجة غيابها.

يجب أن يتحدث مع الأختين مرة أخرى، ويريد أن يستجوب المربية السابقة مرة أخرى، والتي على الأرجح تعرف عن هذه العائلة أكثر مما يعرف أي شخص آخر.

38

استيقظت كاثرين صباح يوم الأحد وهي لا تزال تشعر بالاستنزاف الناجم عن يوم أمس الطويل الصعب، ذهبت لتحضر الجريدة من عند باب منزلها وتفاجأت بوجود الصحفيين وشاحنات التلفاز في الشارع، واندفعوا نحوها، لكنها صفقت الباب بسرعة، وأخذت تنظر إلى الجريدة في يديها، وكانت الصحافة حتى هذه اللحظة قد تركتهم وشأنهم في أغلب الأوقات.

كانت جريدة أيلسفورد المحلية قد كتبت عن قصة قتل والديها مجددًا في الصفحة الأولى. لكن هذه المرة، الأمر مختلف. فهناك صورة جعلتها تحبس أنفاسها، لقطة اللحظة المريعة في الكنيسة حين بدأ دان في بخ سمه إلى ذلك المحقق، أخذت كاثرين تتفحص الصورة، إنها تبدو فيها باردة وغاضبة، بينما دان مفعم بالحيوية وچينا مذهولة. إنها صورة لا تليق أبدًا بالعائلة، وتظهرها مريبة. سارت كاثرين بكاهل مثقل إلى المطبخ وجلست إلى الطاولة، وأخذت تقرأ المقال بسرعة ونفورها أخذ في الازدياد. إن الخصوصية والاحترام اللذين كانت تحظى بهما عائلة مرتون بسبب ثروتهم ومكانتهم قد اختفت.

من قتل الزوجين الثريين؟

مشادة عائلية تفسد الجنازة

أخذت تقرأ المقال بسرعة، وبينما تفعل ذلك، كانت بعض الكلمات والجمل التي كانت تظهر أمامها.

«... التوقعات كانت أنها جريمة سرقة تحولت إلى العنف... ربما تظهر نظرية جديدة بشأن القضية... استمّع إلى دان مرتون وهو يقول للشرطة إن أختيه، كاثرين مرتون وچينا مرتون، يجب الاشتباه بهما... مظهر صادم لخلاف داخل عائلة دائماً ما كانت تتسم بالخصوصية ومعروف مكانتها في المجتمع...»

أخذ قلب كاثرين يخفق بشدة بينما تكمل القراءة.

«تولي الشرطة تركيزها على الأبناء الثلاثة... من المتوقع أن يرث كل فرد منهم جزءاً من تركة الزوجين مرتون... ادعى مصدر، أراد أن يحافظ على سرية هويته، أن الأموال ربما ليست الدافع الوحيد التي ارتكبت من أجله جريمة القتل... من الواضح أن الأسرة كانت مفككة، مزعم أكّده ما حدث أمس في الجنازة...»

نظرت كاثرين إلى الأعلى حين سمعت تيد يدخل إلى المطبخ، ثم قالت وهي تشعر بالغثيان وتلقي بالجريدة على الطاولة أمامه بينما كان يهم بالجلوس مقابلها: «إنك لن تصدق هذا».

ونهضت لتعد بعض القهوة. أخذ تيد يقرأ بصمت، وبوجه متجهم، ثم قال: «يا إلهي!».

قالت كاثرين بمرارة: «لم لا يفهم دان أن عليه فقط أن يبقى صامتاً؟ ثم إننا جميعاً نعلم من هو ذلك المصدر المجهول».

أخذت ليزا تحديقاً إلى قهوتها التي أصبحت باردة. لقد قرأت المقال المزعج في جريدة أيلسفورد المحلية.

لم تكن خائفة قط، وبهذه الوحدة هكذا، أتى دان وهو مضطرب. لقد استطاع بمهارة أن يقطع علاقتهما بأختيه بأفعاله أمس في الجنازة، ويتوقع دان منها أن تظل وفية له وألا تتواصل أبداً مع كاثرين أو جينا. يبدو وكأنه قد فقد عقله. لقد تشاجرا بشأن الأمر بعد الجنازة الكارثية وحفلة التأبين المملة التي انعقدت في نادي الجولف، لكنه لم يستمع إلى المنطق، وبدأ أنه أقنع نفسه بأن واحدة من أختيه هي من قتلت أبويهم وتريد أن تجعل منه كبش فداء.

أم هل هذا ما يحاول أن يقنعها هي به؟
الأمر مُبهم، جوانبه كلها. وليزا في موضع لا تحسد عليه.

استجوب رايس وبار إيرينا دابروفسكي مرة أخرى في وقت مبكر من صباح يوم الأحد، بينما كانا ينتظران مذكرة تفتيش منزل كاثرين مرتون. جلست العاملة المستأجرة أمامهما في غرفة الاستجواب مرة أخرى. يعتقد رايس أنها قد تحمل مفتاح لغز القضية. إنه يعتقد أن واحداً من أبناء الزوجين مرتون هو من قتلتهما، وهو مقتنع بأنها تعتقد ذلك هي الأخرى. إنها بالتأكيد تعرف أكثر مما تخبرهما به، قال لها رايس: «إننا نعلم أنك تحاولين حماية شخص ما».

- إنني لا أحمي أي شخص. إنني لا أعلم من فعلها.
ثم نظرت إلى الأسفل نحو الطاولة وقالت بقليل من اليأس: «إنني لا أريد أن أعرف».

مال رايس للأمام باهتمام شديد وقال: «لكنك تعلمين، أو لديك فكرة عن الأمر. إنه أحد الأولاد، أليس كذلك؟ إننا نعلم أنه واحد منهم -أو ربما اثنين أو جميعهم معاً- وإنك تعرفين هذا أيضاً».

رفعت رأسها ورأى الدموع وقد بدأت تتكوّن في عينيها، وتمهل رايس، لكن كل ما فعلته هو أنها أخذت تهز رأسها. ففتح رايس ملفاً أمامه على الطاولة وأخذ ينثر صور مسرح جريمتي قتل الزوجين مرتون على الطاولة،

نظرت إلى الأسفل وسريعاً أشاحت بعيداً، ثم سألت رايس: «إنذا أيّ واحد من الأطفال الذين ربيتهم في السابق قادر على فعل ذلك برأيك؟».

أخيراً، لعقت شفتيها وكأنها على وشك أن تقول شيئاً، وتمهل رايس وهو يحاول ألا يظهر قلة صبره.

قالت باستسلام، وكأنها لا تستطيع بذل أيّ جهد لإبقاء الأمر لنفسها: «إنني لا أعلم من فعلها. لكنني أعتقد أن جميعهم قادرين على فعلها».

قال رايس بصوت هادئ الآن: «لماذا؟».

ازدردت، وارتشفت رشفة من كأس الماء بيدين مرتعشتين، ومسحت دموعها بمنديلها وقالت: «لأنه وعلى الرغم من أنني أحب كل واحد منهم للغاية، فإنني أعرف ما هم عليه. إنهم أذكاء، وأناانيون، وجشعون، ولقد كان والدهم سيكوباتياً. لقد حاولت ما بوسعي، لكن لا أستبعد تورطهم. (ثم مسحت دمعة أخرى ونظرت إليه وقالت) لكن ما كانوا ليفعلوا الأمر معاً قط. إنهم لا يفعلون أيّ شيء معاً».

أعادت أودري قراءة المقال في جريدة أيلسفورد المحلية وعلى الرغم من أنها تشعر بالرضى عن أن الخلاف بين أولاد شيلا وفريد بات مكشوفاً أمام مرأى الجميع الآن، فإن الأمر لم يخمد شعورها بالظلم. لم يذكر المقال أيّ شيء عن حرمان أودري من حصتها المستحقة من التركة، لأنها لم تخبر روبين فونتين بشأن هذا الأمر. فأودري هي المصدر المجهول الذي تحدثت عن المشكلات في عائلة مرتون، لكن لم تُشارك أيّ من التفاصيل المثيرة التي كانت شاركتها في هذا المقال. فكرت في أنهم ربما يخافون من المساءلة القانونية. ربما حان الوقت لتثير الأمور قليلاً. ربما يجب أن تتصل بتلك الصحافية مرة أخرى وتخبرها ما قالته للمحققين: إن فريد كان سيغير وصيته وإن أحد هؤلاء الأبناء قاتل. لكنهم على الأرجح لن يكتبوا هذا في الجريدة أيضاً. لأنها لا تملك أيّ دليل.

مرت عليها إيلين من أجل تمشية صباح الأحد المعتادة؛ إنها تحبان المشي لمسافات طويلة في مسارات مشي المسافات الطويلة المنتشرة حول أيلسفورد حين يكون الجو لطيفاً. كل أحد، تتوجهان بالسيارة إلى إحدى مقدمات تلك المسارات. والآن تسييران في أحدها وتحمل كل واحدة منهما وعاء

الماء الخاص بها بينما تمشيان وتحدثان. إن الهدوء يخيم هنا على مسار المشي الطبيعي إلا من مرور عداء أو راكب دراجة من حين لآخر، وأخبرت أودري إيلين بتهور ما تفكر في فعله.

قالت إيلين: «هل أنتِ من تحدث إلى الصحافيين؟».

- نعم، ماذا؟ هل تعتقدين أنه لم يكن عليّ فعل ذلك؟

لم تجب إيلين بسرعة، وبينما تسير أودري بجوارها، أخذت أودري تتأمل إيلين. لم تكن الشخص الذي يحب إثارة المتاعب قط، كانت حياتها هادئة للغاية. أودري دائماً مشرقة بالحياة، بينما إيلين متحفظة بعض الشيء، وخجولة إلى حد ما بشعرها البني الذي يتخلله بعض الخصلات البيضاء، وملابسها العادية ذات الألوان الهادئة، وكأنها لا تود أن يلحظها أحد.

أقرت إيلين معترفة أخيراً: «لا أعلم. اتهام شخص ما بالسرقة...».

قالت أودري بإصرار: «إنني لا أستطيع أن أقف وأشاهد فقط دون أن أفعل أي شيء. على الأقل أحاول أن أحقق العدالة لفريد».

قالت إيلين مقترحة: «ربما من الأفضل أن تتركي الأمر للشرطة. إنكِ لست متأكدة من أن أحدهم فعلها».

شخت أودري بسخرية. فسألتها إيلين بإصرار: «لماذا أنتِ متأكدة هكذا؟».

توقفت أودري عن المشي ونظرت إليها وكأنها قد اتخذت قراراً، وقالت: «سأخبرك بشيء ما. شيء مريع. لكن يجب أن تقسمي إنكِ لن تكرريه، لأي شخص».

39

وبينما تقص أودري قصتها، وإيلين تسير بجوارها، عادت مرة أخرى إلى الماضي. كانت تظن أنها لن تطلع أحدًا على هذا السر أبدًا، لكن فريد ميت الآن ولا داعي لحمايته بعد الآن. إنها تعلم أن إيلين لن تفشي السر لأحد. وبينما أخذت في التحدث، اجتاحتها الذكريات والمشاعر التي دفنتها منذ أمد طويل. إنها راحة أن تبوح به لأحد بعد أن أبقت عليه داخلها طوال حياتها.

أخبرتها بشأن المنزل الذي ترعرعا فيه، كان عقارًا ريفيًا متهالكًا في «ولاية فيرمونت» قد شهد أيامًا أفضل. كانت أودري تبلغ الحادية عشرة وفريد في الثالثة عشرة في ذلك الصيف، وكان والدهما يهوي إلى القاع في مساره لسنوات، كان يخسر الوظيفة تلو الأخرى بسبب إفراطه في الشرب، ولم تكن أودري تعلم كيف كان يستطيع والداها أن يحضرا الطعام، وظنت في بعض الأوقات أن أهل والدتها يرسلون إليهم شيكًا بالأموال كل فترة. لكن دائمًا ما كان هناك زجاجة ويسكي جديدة على طاولة المطبخ كل مساء وتصير خالية بحلول الصباح حين كانت تستيقظ لإعداد نفسها للذهاب إلى المدرسة. وبطريقة ما، كانت تظهر واحدة أخرى في المساء التالي. كانت تتساءل كثيرًا وهي تشعر بالحرَج والمرارة من استهزاء الأطفال في حافلة المدرسة من ملابسها الرثة، من أين تأتي كل تلك الأموال لشراء الجعة.

كان هناك موقد خشبي في المطبخ الوضيع. وفي حجرة المعيشة، على رف المدفأة، كانت هناك صورة مؤطرة قديمة لجد والدهما الأكبر، الذي كان سبب شهرته الوحيد هو أنه شُنِقَ لأنه قُتل. وكان هناك سلم خشبي ضيق

يؤدي للأعلى حيث توجد ثلاث غرف نوم وحمام، ما زالت أودري تتذكر صوت باب غرفة والديها وهو يُصفق بقوة، وصوت نحيب والدتها وهو يصل إلى الطابق السفلي.

لم تدعُ أحدًا من أصدقاء المدرسة إلى منزلها قط، وكانت تُدعى في بعض الأحيان للذهاب إلى بيوت الفتيات الأخريات اللاتي يعشن بالقرب لكنها لم تعاود دعوتهن قط، وبطريقة ما فهم الأطفال. كان الجميع يعلم بأن والدها مدمن للكحول.

لكن الأمر كان أسوأ من ذلك. كان والدهم مدمن كحول غاضبًا وقبيحًا، وكلما أسرف في الشرب، ازداد سوءًا. كان يصب جام غضبه على فريد إذا ما كان ثرثارًا في كلامه، وكان فريد ثرثارًا في كلامه هذا الصيف، وصفعه والده على وجهه. لكن فريد لم يبكِ قط. وفي تلك السنة نما بنيانه وطوله وأخيرًا تمكن من أن يرد الصفعة لوالده مرة أخرى التي تسببت بدورها في سقوط والده على طاولة المطبخ ومن ثم على الأرض بينما كانت أودري ووالدتها تشاهدان بذهول، ولم يضرب فريد بعد ذلك.

وعوضًا عن ذلك، أخذ في صفع والدتهما من حين لآخر. لكنه كان مسيئًا لفظيًا أكثر؛ ينعت أودري بأسماء ويخبرها أنها بدينة وغبية مثل والدتها. لم يدافع فريد عن أخته، لكنها على الرغم من ذلك كانت تعبه، وكانت تعتبره الرأس المدبر للعائلة. وكانت تعتقد، أنه بطريقة ما، سيتمكن من تحريرهم من كل هذا.

كانت أودري تتوق إلى أن تكون طبيعية، وأن تتظاهر أن عائلتها مثل بقية العائلات، لذا كانت تزيل الزجاجات الفارغة من سيارة والدها -بعضها كانت زجاجات بيرة، لكن أغلبها كانت ويسكي وفودكا- وترمي بها في القمامة، كانت تنظف المنزل، وتبذل مجهودًا، وسرعان ما بدأت والدتها تعتمد عليها أكثر وأكثر، كانت أودري تدرس بجد في المدرسة لأن الشيء الوحيد الذي كانت تعرفه هو أنها لم ترد أن ينتهي بها المطاف مثل والدتها ووالدها، وكانت تريد أن ترحل بعيدًا عن المنزل، كانت في بعض الأحيان تشعر أنها وفريد هما البالغان وهما من يرعيان والديهما.

كان فريد عبقرياً، شهد الجميع له بذلك، كان يحصل في الدراسة، دون أيَّ جهد منه، على أعلى العلامات. وكانت أودري تعتقد أن أخاها هو أذكى شخص تعرفه، بالإضافة إلى أنه كان متفوقًا في الرياضة، ويستطيع جذب

الأصدقاء بسهولة، وكان ذا هيئة جيدة جعلت كل الفتيات معجبات به، كانت أودري تكسب الأصدقاء بسهولة أيضًا، وكانت جيدة في المدرسة، لكنها كانت بدينة بملامح عادية وليست جيدة في أي شيء بالأخص إلا فعل ما يُطلب منها. لكن فريد كان مختلفًا، كان يتمتع بالثقة، وكان يعلم أنه سيصل إلى أماكن مختلفة.

وفي بعض الأحيان حين كانت الأمور سيئة في المنزل، كانا يذهبان ويجلسان في الحظيرة الخالية ويتحدثان.

قال فريد في أحد الأيام: «أتمنى لو أنه كان ميتًا».

كانت أودري تدري عمن يتحدث، وكانت تشعر بالشيء نفسه، كانت في بعض الأحيان تتخيل والدها وهو يقود سيارته مخمورًا ثم يصطدم بشيء ويتسبب هذا في موته على الفور. وفي تلك الخيالات، لا يُجرح أيٌّ منهم، فقط والدها. وربما حتى يكون هناك أموال تأمين لم يكونوا يعلمون بشأنها شيئًا. كانت كثير من أحلام اليقظة الخاصة بأودري عن الأموال لأنهم كان لديهم القليل منها. ميراث غير متوقع، مكسب في اليانصيب، كنز مدفون.

قال فريد وكأنه كان يقلب الأمر في رأسه: «لو كان ميتًا، يمكننا أن نعود إلى المدينة مرة أخرى ونعيش مع خالتنا».

كان فريد يحب خالته «ماري»، التي كانت تغمره بالحب حين كان صغيرًا، لكنهما لم يرياها منذ سنين.

قالت أودري: «كنت أعتقد أن أمي لم تعد تتحدث مع خالتي ماري».

- هل لديك دليل؟ إن خالتي ماري تكره أبي، لهذا لا تزورنا.

- لماذا لا نذهب نحن لزيارتها إذا من دونه؟

نظر إليها نظرة أخبرتها كم هي غبية، وقال: «لأننا لا نملك أي أموال، أبي يشرب بها كلها».

صمتت أودري. ربما كانت خالتها ماري هي من ترسل الأموال. لقد أمدها هذا بالأمل، ثم قالت: «ربما ستقرر أمي هجران أبي ويمكننا حينها أن نذهب ونعيش مع خالتي ماري».

نظر إليها بإحباط وقال: «لن تفعل».

- لماذا؟

- لأنها غبية للغاية وخائفة للغاية.

ثم جلس يفكر صامتًا لدقيقة وقال: «لكنني اكتفيت من هذا الوغد».

أخذت الأمور تزداد حدة خلال ذلك الصيف. دون المدرسة، لم تكن لأودري أيُّ التزامات، وكان فريد قد «وجد» دراجة قديمة واستخدمها لزيارة أصدقائه تاركًا أودري في المنزل بمفردها، واستطاعت والدتهما الحصول على عمل بدوام جزئي في متجر بقالة في المدينة. كان والدهما ينام طوال الصباح ثم يستيقظ وهو بذئ ويعاني صداع الثمالة. حاولت أن تتحاشاه قدر الإمكان، ثم في يوم ما من أيام شهر أغسطس كانت عائدة للمنزل بعد تجولها في الحقول في منتصف الظهيرة، وكان فريد قد رحل وهو يقود دراجته لينضم إلى أصدقائه عند البحيرة وقال بأنه سيعود متأخرًا، وكانت والدتها تعمل في دوامها بمتجر البقالة.

وحين مرت من أمام الحظيرة، فُتح الباب وخرج فريد، كان وجهه أحمر وشعره أشعث وملابسه مجعدة، لكنه كان يبتسم وكأنه راضٍ عن نفسه. تفاجأت لرؤيته هناك وتساءلت إذا ما هناك فتاة في غرفة القش العلوية. كانت على وشك الالتفاف لتذهب بعيدًا متظاهرة بأنها لم تره لكنه لمحها. وظل ساكنًا بالكامل يحدق إليها وقد اختفت ابتسامته.

سأل بحدة: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

- لا شيء.

- هل كنتِ تراقبينني؟

- لا، لقد عدت تَوًّا من الحقول.

ثم بدا وأنه على وشك اتخاذ قرار، ثم نظر إلى الخلف على باب الحظيرة الذي خرج منه تَوًّا وقال: «أعتقد أن مشكلتنا قد حُلَّت».

- ماذا تقصد؟

أومأ برأسه لها لتتبعه، اقتربت ودخلت إلى الحظيرة خلفه وهي تشم رائحة القش المعهودة للمكان، ثم ثبتت ناظرها على الضوء الخافت في الأعلى وأخذت في الصراخ، كان والدهما معلقًا من دعامة في منتصف السقف بحبل سميك حول رأسه، وعيناه منتفختان ولسانه يتدلى وعنقه ملتوٍ بزاوية غير طبيعية. لقد كان مخيفًا، كان معلقًا بثبات تام، وواضح أنه ميت.

كانت لا تزال تصرخ.

قال لها فريد وهو يهزها: «اصمتي!».

صمتت وهي تنظر إلى أخيها، ولأول مرة بدا أنه ليس واثقاً بنفسه، وكأنه لا يتوقع ما ستفعله. كانت تبلغ من العمر الحادية عشرة فقط، لكنها استطاعت تمالك نفسها، نظرت مرة أخرى إلى والدها وحاولت أن تزرد لكن حلقها كان جافاً، كان هناك برميل نبط ملقى علي جانبه على الأرضية الترابية. بدا الأمر وكأنه انتحر، لكنها عرفت ما حدث حقاً.

قال: «كان يجب أن يحدث هذا».

لقد أصيبت بصدمة ألجمت لسانها عن الكلام. لم تكن تتخيل أن يفعل فريد أمراً مثل هذا، كانت تظن أنه سيتمكن من إقناع والدتهما بالرحيل. لم تعتقد - لم يرد الأمر على خيالها حتى - أنه قد يفعل شيئاً مثل هذا.

قال: «يجب علي أن أرحل. سأعود متأخراً».

سألت أودري مذعورة: «ما الذي يجب علي فعله؟».

لم تكن تريد أن تبقى مع جثة ميتة في الحظيرة.

- اذهبي لتبحثي عنه في وقت العشاء، يمكنك أن تعثري عليه حينها، ثم اتصلي بالشرطة. لن يشكوا في أي شيء. لقد كان فاشلاً بالكامل. لن يتفاجأ أي شخص من أنه قتل نفسه.

- لكن...

- لكن ماذا؟

- كيف...

كنت تريد قول كيف أمكنك فعلها؟ لكنها لم تستطع أن تتفوه بالكلمات. فهم مرادها خطأ، وقال: «أخبرته أن هناك شيئاً أريده أن يراه في الحظيرة، وفور أن أحضرته إلى هنا، أتيت من خلفه وخنقته بالحبل، ثم علقتة. هذا كان أصعب جزء، فهو يبدو أثقل مما يبدو عليه. لم يكن من المفترض أن تريني هنا».

التفتت إليه وقالت: «هل كنت ستخبرني بالحقيقة لو لم أكن رأيتك؟».

هز رأسه لها نافياً، وقال: «لا، ولكن الآن أنت تعرفين. وستبقين الأمر سراً».

لم يكن يطلب منها ذلك. كان يخبرها. وتابع: «لقد فعلت هذا من أجلنا».

40

قادت إيلين إلى منزلها وسط ضباب من عدم التصديق، وتظاهرت أن ما أخبرتها إياه أودري لم يزعجها كما أزعجها فعليًا. لكن الأمر مريع، مريع حقًا. إنها لا تعلم إذا ما كانت ستستطيع أن ترى أودري كما كانت تراها من قبل، لم تعترض أودري على الأمر. لقد أخفت جريمة قتل والدها، ثم أخذت إيلين تذكر نفسها أن أودري كانت تبلغ الحادية عشرة من العمر فقط، طفلة.

أدركت إيلين أنها كانت تجلس داخل سيارتها أمام مدخل منزلها محدقة أمامها دون أي حراك. تراجلت من السيارة، ودخلت إلى منزلها، وخلعت الحذاء المخصص للمشى، ثم ذهبت إلى المطبخ ومالت على طاولة المطبخ وهي تحاول استيعاب ما تعرفه الآن.

حاولت أن توافق ما قالته أودري عن فريد الذي تعرفه. فحسب قول أودري، كان فريد قاتلاً مع سبق الإصرار والترصد. ما يدفعها للكذب بشأن هذا الأمر؟ لا شيء سيعود بالنفع عليها من اختلاق قصة كهذه. ودائمًا ما كان فريد باردًا وأنانيًا بعض الشيء. كانت إيلين تعتقد أنه نرجسي. ولم تعرف قط أنه عنيف، أو حتى غاضب، لكنه لم يكن يستسلم بسهولة عن ملاحقة رغباته. وبعد ما قالته أودري لها، أدركت أنه كان بكل تأكيد سيكوباتيًا.

تؤمن أودري أن هذه النزعة السيكوباتية، كما تسميها، موجودة في أحد أبناء فريد. هل هي صفة متوارثة؟ لا بد أن تبحث عن الأمر. فقد أكدت أودري ذلك، قالت إن جدهم الأكبر كان قاتلاً.

تتذكر إيلين بوضوح أول يوم قابلت فيه فريد مرتون لأنه كان اليوم الذي تغيرت فيه حياتها. كانت حديثة التخرج، وخائفة من الطريقة التي تعامل بها معها في المقابلة الشخصية، كان قد طرح عليها بعض الأسئلة، ثم قال إنه يحب مظهرها. لم تكن متأكدة كيف تستقبل الأمر، هل كان يتفوه بكلام غير ملائم؟ في تلك الأيام كان هذا سؤالاً عابراً ولم تفكر طويلاً بشأن الأمر. وكانت تحتاج إلى الوظيفة، وعرض عليها الوظيفة وقبلتها، وخلال السنوات العشر التي عملت فيها معهم، عرفته جيداً، كان فريد متمركزاً حول ذاته، وكان الآخرون مجرد وسيلة لتحقيق غاية فقط لا أكثر، كان لديه جاذبية عالية، وكاريزما حتى، لكنها كانت تعلم حقيقة هذه الجاذبية. إنها وسيلة ليحصل بها على ما يريد، لذا حينما حاول استخدام الأمر معها، استطاعت مقاومته. قاومته لسنين، وحين استسلمت له في آخر الأمر، كان بشروطها ولصالحها هي على الرغم من أنها لم تطلعه بشأن الأمر، ليس في ذلك الحين.

لكن ما أخبرتها أودري به أثار توترها، وأدركت الآن فقط المخاطرة التي فعلتها، وصبت لنفسها كأساً من الخمر على الرغم من أنها بالكاد الظهيرة.

إنه يوم ربيعي دافئ. وبعدها سارت مع إيلين طويلاً، توجهت أودري إلى المطبخ مباشرة وفتحت الثلاجة، وأخرجت إبريقاً بلاستيكيّاً من الشاي البارد المُعد مسبقاً، وصبت لنفسها كأساً طويلة وتجرعت نصفها مرة واحدة وهي لا تزال تفكر فيما أخبرته لإيلين بعد كل تلك السنوات. بدت إيلين مصدومة. حسناً، إن الأمر صادم بالفعل. وعاشت إيلين حياة طبيعية مقارنة بأودري. حملت كأسها وذهبت لتجلس في غرفة المعيشة، جلست وحملت حاسوبها من فوق طاولة صغيرة ووضعته في حجرها.

وبينما تتفقد بريدها الإلكتروني، ومن ثم تتابع الأخبار على الإنترنت، بدأت في الشعور بدوار خفيف، نهضت، وذهبت إلى المرحاض، وغسلت وجهها بالماء البارد، ثم عادت مجدداً إلى حاسوبها وهي لا تزال تشعر بالقليل من عدم التوازن، حاولت تجاهل الأمر حتى بدأت تشعر أنها ليست على ما يرام، وتشعر الآن بالصداع والغثيان. تساءلت إذا ما كانت قد أصيبت بشيء ما. لكنها شعرت بعد ذلك بالبلادة وهي تحاول استعمال الفأرة وبينما تحاول أن تصل إلى كأس الشاي المثلج خاصتها. هناك خطب ما، ورؤيتها مشوشة، أصيبت بالهلع، واتصلت بالطوارئ على الفور، ثم تقيأت على الأرض بجانب الأريكة.

قراءة الظهر يوم الأحد فتحت كاثرين الباب وأدخلت المتجمعين عند العتبة. كان المحقق رايس وبار مع مذكرة تفتيش وفريق بأكملها خلفهما، وجاء تيد ووقف جوارها، أرادت الاحتجاج لكن ذكّرت نفسها أنه لا يوجد ما تقلق حياله. أدخلتهم، فليس بيديها أي شيء آخر لتفعله، ولا شيء هنا ليعثروا عليه. وبينما شرعت عملية التفتيش، ظلت هي وتيد في الأسفل. وأخذ عدم راحتها يزداد حين بدؤوا يفتشون أغراضها الخاصة بها وسلة الملابس المتسخة، أخذوا يصورون كل شيء بحرص بما في ذلك محتويات صندوق مجوهراتها، وأخذوا جميع الأجهزة الإلكترونية الخاصة بها حتى هاتفها، بدأت تتفهم كيف كان شعور دان حين فعلوا ذلك في منزله هو الآخر. إنها غاضبة وقلقة، لكن لا شيء يمكنها فعله.

وضعت إيلين كأس الخمر في الحوض وخرجت من المطبخ. لقد جعلها الكحول متزنة بعض الشيء. كانت على وشك أن تصعد إلى غرفتها في الطابق الثاني لتنام حين دق جرس الباب، ورجعت لتفتح الباب. إنها روز ابنتها. تبدو أسوأ من ذي قبل في كل مرة تراها فيها، ويتصاعد قلق إيلين فور رؤيتها. قالت إيلين: «عزيزتي روز، تعالي إلى الداخل. هل كل شيء على ما يرام؟». أجابت روز بكذب واضح: «كل شيء على ما يرام».

لكنها تبدو وكأنها لا تنام. ولا تتغذى جيدًا، وتبدو ملابسها كبيرة عليها. قالت إيلين بقلق: «إنكِ لا تبدين بخير. تبدين متعبة، وتزدادين نحافة. لماذا لا تخبرينني ما الخطب؟».

- لا يوجد أي خطب. إنه فقط العمل يا أمي. إنه ضاغط للغاية، هذا كل ما في الأمر. لقد أتيت من أجل زيارة، وليس استجوابًا.

رفعت إيلين يديها باستسلام وقالت: «أسفة، هل أنت جائعة؟ هل أعد لك شيئاً لتأكله؟ شطيرة ربما؟».

- بالطبع، شكرًا لك.

وتبعته روز إلى المطبخ حيث بدأت والدتها في إعداد شطيرتي تونة.

قالت ابنتها: «لقد فاتك ما حدث في الجنازة أمس».

- لقد وعدت خالتك بربرا بزيارتها.

- أعلم. لكن كان عليك رؤية ما حدث. لقد كان ما قاله دان مريعًا للغاية. شعرت بالسوء لكثيرين.

التفتت إيلين ونظرت إلى ابنتها ولا تزال الأشياء المريعة التي قالتها أودري في أثناء سيرهما حاضرة في ذهنها، ثم قالت: «لقد قرأت عن الأمر في الصحف هذا الصباح».

بدأت روز مضطربة وأخبرتها بالتفاصيل التي لم تذكرها الجريدة، ثم اختتمت قائلة: «لقد كنت أعرف دائمًا من كثيرين أن الأمور ليست على خير حال في المنزل، لكن لم أكن أدرك أنها بهذا السوء».

هزت إيلين رأسها وقالت: «هل تحدثت إلى كثيرين؟ إن بينكما صداقة رائعة».

قالت روز وهي تركز على شطيرتها: «لقد ذهبت إلى زيارتها. إنها تعاني».

- يجب أن تزورها أكثر. إنها واحدة من أصدقائك المقربين، وأنا متأكدة من أنها في حاجة ماسة إلى دعمك الآن.

شاهدتهم كثيرين وهم يرشون منزلها بالمواد الكيميائية مولين حوض المطبخ والحمام وغرفة الغسيل في الطابق السفلي اهتمامًا خاصًا، وافترضت كثيرين أنهم يبحثون عن آثار دماء كما فعلوا في منزل دان. لكنهم لم يجدوا أي شيء.

فتشوا الحديقة والباحة رأسًا على عقب وهو ما وجدته كثيرين أمرًا مهينًا للغاية. فلقد كان الجيران يشاهدون الأمر من الشارع، ومن خلف النوافذ. وكانت الصحافة هنا أيضًا، لذا اختبأت في الداخل. أخذ الأمر عدة ساعات، لكنهم انتهوا أخيرًا، وأخذ المحققان وفريقهما سيارة كثيرين بعيدًا. إنها غاضبة من هذا الأمر أيضًا. لكن على الأقل لا يزال لديهما سيارة تيد، لكنها بمقعدين فقط وليست عملية بعض الشيء. سألت أحد العاملين كم سيطول الأمر حتى تحصل على سيارتها مرة أخرى، لكنه لم يجبها.

وحين رحلوا أخيرًا، صفقت الباب بقوة خلفهم وهي تشعر بأنها تريد تحطيم شيء ما.

قال تيد ويبدو عليه الارتياح: «على الأقل لقد انتهينا من هذا الأمر، والآن ربما سيتركوننا وشأننا».

نظرت إليه بنظرات متشككة. لماذا هو مرتاح هكذا؟ بالطبع لم يكن يتوقع أن يجدوا شيئًا. تكلفت الابتسام. لا يمكن أن يكون متشككًا بشأنها. الأمر يزداد سوءًا بالنسبة إليها. يزداد سوءًا لجميعهم.

41

في صباح اليوم التالي، يوم الاثنين، أدركت كاثرين التاريخ. وليس الأمر أنه مضى ستة أيام على اكتشاف والديها مقتولين. إنما أن التاريخ هو التاسع والعشرون من إبريل، وبسبب كل الأشياء التي حدثت مؤخرًا، كانت قد فقدت إحساسها بالوقت. إنها متأخرة.

كان تيد قد ذهب إلى عمله بالفعل، لكن كاثرين كانت قد أخذت إجازة أطول. إنها سعيدة أنه ليس هنا. صعدت السلم متوترة إلى حيث مرحاض الطابق العلوي. لقد كانت الشرطة هنا أمس وتذكرت كيف أخذوا يعبثون بجميع الأشياء الموجودة في خزانة المرحاض، وأخرجت اختبار حمل من عبوته وأخذت تستعد الآن لتتبول على شريحة الاختبار، حاولت ألا ترفع من سقف تطلعاتها. إنها متأخرة أربعة أيام فقط، وكل هذا الضغط يمكنه أن يفسد الأمر بسهولة. وعلى الأرجح هي ليست حاملاً على الإطلاق. لكنها بحاجة إلى بعض الأخبار الجيدة حقًا.

تبولت على الشريحة وانتظرت.

لم تستطع حمل نفسها على النظر. لكن حين فعلت، انفجرت في البكاء. إنها حامل، وأخيرًا.

في تمام الساعة التاسعة، كانت جينا مرة أخرى في غرفة الاستجواب أمام رايس، وأكدت عليه أنها لا تحتاج إلى محام. وفور أن جلسوا، وفتحوا التسجيل، قال رايس: «في أحد الفصح، حين مكثت ساعة أطول بعد العشاء بعد رحيل الجميع، هل ذكر والدك أو والدتك أي شيء بخصوص تخطيط والدك لتغيير وصيته ليترك نصف ثروته لأخته؟».

قطبت جبينها وهزت رأسها قائلة: «لا، لم يحدث أي من ذلك. هذا فقط ما تهذي به أودري. وهو محض هراء».

- ربما لا، لقد كان والدك يعاني سرطان البنكرياس. كان يحتضر، وأراد أن يرتب أموره.

بدت مدهوشة وقالت: «لم نكن نعرف هذا».

نظر إليها بثبات وقال: «ذكر أخوك دان بعض الأشياء خلال الجنازة».

- نعم، حسنًا، هذا دان.

- هل كنت تعرفين بأمر البدلات الواقية الموجودة في مرأبه؟

- نعم، لقد كنا جميعنا نعلم بشأن هذا الأمر، وإيرينا أيضًا. لقد رأيناه مرة في إحدى تلك البدلات حين كان يرش العلية.

- هل كنت تعرفين بأمر أنه لا يغلق مرأبه؟

- أعتقد أننا جميعنا كنا نعلم بهذا الأمر. لم يغلقه قط لسبب ما. كان يغلق المنزل فقط.

- كان يفترض أن واحدة منكما أنت وأختك هي من قتلت والديكما.

رفعت حاجبها له وقالت: «إنك لا تأخذه على محمل الجد، أليس كذلك؟ دائمًا ما كان يتلقى اللوم، لذلك يظن دائمًا أنني أنا وكاثرين كنا أفضل حالًا منه بينما كان هو يعاني دائمًا. (ثم تنهدت) ونحن لا ننزعج من هذا لأننا نعلم أنه محق».

استيقظت أودري في فراش المشفى، وهي ترتدي رداء المشفى، ومحاطة بالآلات وبمحلول في وريدها، وللحظة لم تستطع إدراك الأمر. ما الذي تفعله هنا؟ هل كانت في حادث؟ ثم بدأت تتذكر الأمر رويدًا رويدًا - التعب والتقيؤ - ثم الاتصال بالطوارئ قبل أن تسقط مباشرة على الأرض، وهي تفكر في أنها

ربما على وشك الموت، ثم فقدت وعيها. لا تتذكر أي شيء بعد ذلك. لكن قبل ذلك، كانت ترتشف شايًا مثلجًا من ثلاجتها، كانت تشعر بالجفاف الشديد، وأمسكت بالكوب الورقي الممتلئ بالماء الموضوع على طاولة بجوارها وشربته عن آخره، ثم ضغطت زر الاستدعاء وانتظرت قدوم أحدهم.

وصلت كاثرين مرتون مع محاميتها. قال رايس بأدب لها بينما يهمون بالجلوس هم الأربعة داخل غرفة الاستجواب: «صباح الخير».

ثم شغل التسجيل وقال المقدمات الضرورية، وبدأ قائلًا: «هل كنت تعلمين أن والدك كان ينوي ترك نصف ثروته لأخته أودري؟».

- هذا ما تدعيه هي. لكن لا يصدقها أي منّا.

- لم يُناقش هذا الأمر على العشاء؟

- لا، بالطبع لا، لأنها تختلف كل هذا. ما كان ليفعل هذا قط.

- إنني لست متأكدًا مما تقولينه. فلقد حجز ميعادًا بالفعل مع محاميه، لكنه لم يكن متاحًا. وحدد ميعادًا ثانيًا، لكنه كان ميتًا حين حل هذا الميعاد. (ثبتت كاثرين ناظريها عليه دون أن ترمش) كان والدك يحتضر. (رأى رايس الدهشة في عينيها) ربما لهذا السبب كان يعيد ترتيب أموره.

- لم أكن أعلم. ما كان خطبه؟

- سرطان بنكرياس في مرحلة متقدمة. لقد كان أمامه بعض الشهور القليلة. لقد وجدنا شيئًا مثيرًا للاهتمام حين كنا نفتش منزلك.

ثبتت ناظريها عليه وقد ظهر عليها القلق فجأة وقالت: «ما الذي تتحدث عنه؟».

- زوجين من الأقراط.

أجابت بحدة: «يجب عليك أن تحدد أكثر. لدي الكثير من الأقراط».

- لكن هذين القرطين كانا من الأشياء التي فُقدت من صندوق مجوهرات والدتك يوم الحادثة.

قالت حذرة: «ماذا؟».

- زوجان من الأقراط الألماسية. لهما شكل مربع ويزن كل واحد منهما قيراطاً. إنهما قرطان ثمينان للغاية.

فتح الملف الواقع أمامه وناولها صورة لهذين القرطين، حدثت إلى القرطين وشحب وجهها، قال رايس: «هذا من القائمة التي أعدتها شركة التأمين بشأن ما سُرِقَ من منزل والديكِ ليلة السرقة».

- لقد استعرتكما منذ عدة أسابيع.

- هل يمكن لأحدهم أن يؤكد ذلك؟

نظرت إليه بغضب وقالت: «ما الذي تحاول قوله؟ إنني قتلت والديَّ واحتفظت بهذين القرطين؟».

- إنهما القطعتان الوحيدتان اللتان تمكنا من العثور عليهما من القطع الأخرى التي نُهِبَتْ من منزل والديكِ، وعثرنا عليهما في صندوق مجوهراتكِ.

- لأنني استعرتكما!

- سأسألك مرة أخرى، هل يمكن أن يؤكد أحد هذا الأمر؟

- لا، بالطبع لا. لقد كان الأمر بيني وبين والدتي. لكنني كنت أستعير منها أحياناً بعض الأشياء.

- هل رَأَيْتُ أيَّ شخص وأنتِ تضعينهما في الأسبوع أو الأسبوعين السابقين لقتل والديكِ؟

هنا تدخلت محاميتهما قائلة: «لقد قالت إنها استعارتهما، دعونا ننقل إلى نقطة أخرى».

لا يمكن لرايس أن يعرف إذا ما كانت كاثرين تخبره بالحقيقة أم لا. إنها شخص تصعب قراءته. لكن محاميتهما، على الرغم من ذلك، بدأ قلقها يزداد. سأل رايس: «لماذا تركتِ هاتفكِ في منزلك حين عدتِ مرة أخرى في تلك الليلة؟».

بدت مدهوشة. ازدردت بتوتر وقالت: «لقد نسيتته. لقد نسيتته حين كنت ألتقط مفاتيحي من فوق الطاولة. أنا... أنا دائماً ما أنسى الأشياء حين يكون هناك الكثير يشغل عقلي».

نظر إليها راييس نظرة مستنكرة ثم مال إلى الأمام وقال: «إليك هذا الأمر يا كاثرين. إنك وأخوك على وشك أن تراثوا الملايين بعد موت والديكم. وقال أخوك إنكما تعلمان بشأن البدلات الواقية في المرأب وإنك تعلمين أنه لا يغلق باب المرأب، شيء أكدته أختك جينا هي الأخرى. والقطع الوحيدة التي عثرنا عليها من المجوهرات المفقودة كانت موجودة في منزلك. إننا نعلم أنك عدت هناك مرة أخرى في تلك الليلة، لقد اعترفت بذلك. لكنك كذبت بشأن الأمر في البداية، وجعلت زوجك يتستر عليك أيضاً، وتركت هاتفك في المنزل في تلك الليلة ربما لأنك لم تريدي أن تُرصد تحركاتك».

قالت كاثرين بانفعال: «هذا سخيف. إنني لم أقتلها، لقد كانا ميتتين بالفعل حين ذهبت هناك!».

ثم أخذت تحرق إليه بدورها بصمت مفاجئ، وبدأت أنها مصدومة مما قالته توأ، بدت محاميتها مصعوقة هي الأخرى، وبعد لحظة طويلة قال راييس: «لكن هذا لا يبدو منطقياً. لو هذا صحيح، لماذا لم تتصلي بالطوارئ؟».

قالت بائسة: «أعتقد أنك تعرف لماذا».

لم يتفوه راييس بأي شيء حتى قالت أخيراً بصوت ينهار: «لأنني اعتقدت أن دان من فعلها».

مكتبة

t.me/soramnqraa

42

كانت كاثرين قد حددت ميعادًا في الواحدة ظهرًا مع مكتب المحاماة ليناقدشوا الوصية لقد حددت الميعاد مع والتر تيمبل وأعلمت أخويها بالأمر. هذا ما كانوا جميعهم ينتظرونه بفارغ الصبر.

كان تيد قد ترك عمله وعاد ليقبل كاثرين من المنزل. لقد اضطرت إلى طلب سيارة أجرة من الاستجواب الذي أجرته مع المحققين هذا الصباح وإليه لأنهم لم يزالوا يتحفظون على سيارتها. والآن وبينما هم يدخلون بناية شركة المحاماة الواقعة في مركز مدينة أيلسفورد، وجدت كاثرين نفسها تشعر بقليل من التعب. كانت لا تزال تعاني بسبب ما حدث في الاستجواب مع المحققين هذا الصباح، ويتسبب خليط من الخوف والافتراض في اضطراب معدتها. أو ربما هذا بداية غثيان الحمل الصباحي. لم تفش هذا السر لأحد حتى الآن، هذه البارقة الصغيرة لسعادتها الخاصة. وستتحين اللحظة المناسبة لتخبر تيد. وأخذت تذكر نفسها أنه لا شيء يدعو للقلق. إن والدهم لم يغير وصيته على الرغم مما تزعمه أودري. هذا ما قاله والتر لدان.

كانت هي وتيد أول الحضور. وبينما ينتظران في غرفة الانتظار، جاء دان وليزا، نهضت كاثرين واقفة وتوجهت إليها بشكل تلقائي لتعانقها، بينما وقف دان على بعد خطوات، وحين وصلت حينًا، أخذت السيدات يتحدثن قليلًا بينما ظل تيد ودان صامتين أغلب الوقت. خرج والتر إلى غرفة الانتظار في تمام الساعة الواحدة وقادهم جميعًا إلى غرفة أوسع حيث جلسوا إلى مائدة مستطيلة الشكل. كان يحمل ملفًا معه، ووضعه على الطاولة، ثم قال وهو

ينظر إلى كل واحد منهم: «إنني سعيد أنكم جميعاً هنا، على الرغم من أنني لم أحلم يوماً أن يكون الأمر في مثل هذه الظروف المأسوية».

كان يمكن لكثيرين الشعور بالأجواء المتوترة التي تسود الغرفة. ربما غير والدهم وصيته منذ عدة سنوات ولم يخبرهم قط. كانت تتخيله وهو يضحك عليهم من وراء قبره، أو تتخيله يجلس في ذلك الكرسي الخالي، ويستعد ليستمتع بما سيحدث، ثم أخذت تنظر خلسة إلى كل من أخويها وهي تشك في أن الشكوك ذاتها تساورهما. يبدو دان شاحباً ومتمللاً، وتمسك ليزا بإحدى كفيه لتطمئنه.

قال والتر: «إن وصية أمكم واضحة للغاية، كانت قد وقّعت منذ عدة سنوات على وثيقة تنص على ألا تتضمنها وصية والدكم مقابل حصولها على المنزل وكمية من الأموال. لم ترد أن تقف في طريقكم أيها الأولاد لترثوا كل تركة فريد إذا ما مات والدكم أولاً. ووصيتها هي أن تُقسّم تركتها بينكم أنتم الثلاثة. أما وصية والدكم فهي أكبر، سأبدأ بشروطه المحددة أولاً ثم أخبركم بالمتبقي من التركة. هناك عدة أوقاف صغيرة موصى بها أن تذهب إلى عدة منظمات...».

وذكر المشفى المحلي وبعض المنظمات الخيرية الصغيرة التي كان يتطوع إليها والدهم. تقلقلت كثيرين في كرسيها بنفاد صبر وقلق، وأخيراً بدأ يتحدث في صلب الموضوع وقال: «مليون دولار إلى إيرينا دابروفسكي». هذا كم هائل من الأموال. أخذت تنظر حول الطاولة إلى الآخرين. إنهم متفاجئون أيضاً بعض الشيء، لكنهم يبدوون سعداء من أجل مربيتهم العجوز. - مليون دولار إلى أودري ستانيسك.

وتنفست كثيرين الصعداء. الأمر حقيقي إذاً. إنه لم يغير وصيته ليعطيها النصف.

تابع والتر قائلاً: «بقية التركة بعد الضرائب، والتكليفات، وخلافه، سأعفيكم من استخدام اللغة القانونية، (ثم نظر إليهم) بقية تركة والدكم ستُقسّم بالتساوي بين أبنائه».

وأخذ ينظر إلى كل واحد منهم حول الطاولة.

كان يمكن لكثيرين الشعور بأجواء الارتياح وهي تسود الغرفة، مثل زفرة عميقة، وأدركت الآن أنها لم تكن هي وأخوها وأختها الوحيدتين القلقتين. وإنما

تيد يظهر عليه الارتياح الواضح، وكان يمكنها رؤية الهدوء ينتشر على وجه ليزا أيضًا. لقد كانوا ينتظرون ذلك على أحر من الجمر طوال الأيام المروعة الماضية، ونظرت إلى تيد وأمسكت يده.

ورجع دان للخلف في كرسيه وأغلق عينيه، كان مشهده الصورة الأمثل لما يعنيه الارتياح. لمحت كاثرين والتر وهو ينظر إليه بنفور، وتساءلت عما يفكر فيه. لقد حضر والتر الجنازة، وكان واحدًا من أصدقاء والدهم المقربين. قالت كاثرين: «وهل يمكنك أن تخبرنا كم تبلغ التركة بالتحديد؟».

وشاهدت عينا دان وهي تُفتح واعتدل في جلسته وأولى اهتمامه إلى المحامي مجددًا.

قال والتر بثقل: «انتظروا قليلاً».

حدقوا جميعاً إليه بترقب، وتابع قائلاً: «ربما يكون هذا مفاجئاً بعض الشيء لكم، لكن ثلاثتكم لم تكونوا أولاد فريد الوحيدين».

أخذ رايس يتفقد شؤون دان مرتون المالية مرة أخرى، وهذه المرة بتركيز أكثر. إنه يعلم أنه منذ نحو ستة أشهر، قبل أن يبيع والده الشركة مباشرة، سحب دان معظم مدخراته ليُقرض نصف مليون دولار إلى شخص يُدعى «أمير غُرباني»، بضمان رهن عقاري أول على منزله في بريكن هيل، لهذا السبب لم يكن لدى دان سيولة مالية. لكن ما لاحظته رايس هذه المرة هو اسم المحامي على الوثيقة، روز كاتر. أخذ يحدق إلى الاسم. إن روز كاتر هي الابنة غير الشقيقة لأبناء فريد مرتون، والتي سترث مثلهم حصة متساوية تحت وصية فريد. الابنة التي لا يعرف بأمرها إختوتها الشرعيون. ثم قال لبار: «انظري إلى هذا!!».

فغرت كاثرين فاهها وأخذت تنظر حول الطاولة، إن الذعر يعلو وجوه الجميع، قالت كاثرين: «ماذا؟ إننا لا نعرف أي شيء بخصوص أي ابن آخر». قال دان: «إنني لا أصدق هذا! كان لدى والدي أولاد غير شرعيين، هل هذا ما تقصده؟ والآن سيحصلون على حصة من الميراث؟ هذا لا يصدق». سألت كاثرين: «من هو؟».

أجاب المحامي: «شابة تُدعى روز كاتر».

نظرت كاثرين على الفور إلى دان وحقق إليها هو الآخر في صدمة. وليزا، من خلفه، تجمدت في مكانها فجأة.

سأل والتر وتبدو عليه المفاجأة الواضحة: «هل تعرفونها؟».

قالت كاثرين باستنكار: «إنها صديقة مقربة إليّ».

وشعرت بأنها لا تستطيع التنفس.

بعد لحظة، قال دان: «لقد أقنعتني بأن أستثمر معها ورهنت معظم مدخراتي. إنها السبب في كوني في حاجة ماسة إلى المال».

حقق الجميع إلى دان، وخيم الصمت على الغرفة لثوانٍ قليلة، ثم قال دان وهو يرفع صوته: «إنها السبب وراء اعتقاد الشرطة أنني قُلت والدي».

ثم نظر إلى كاثرين وقال: «هذا خطأك. إنك من اقترحتِ عليها أن تعرض الأمر عليّ».

في البداية لم تجب كاثرين. لكنها ردت بعد ذلك قائلة: «لم أكن أدرك أنك كنت ستودع كل أموالك تقريباً، ولم أكن أعلم أن أبي سيبيع الشركة وأنت ستبقى دون عمل».

قال دان: «نعم، حسناً، ولا أنا أيضاً».

قال والتر: «لم أكن أعلم أنكم على صلة بها. لم يكن أحد يعلم بشأن وجود روز كاتر في الوصية إلا أنا ووالدكم، لم تكن والدتكم على علم بذلك حتى، وبالتأكيد روز كاتر لا تعلم بهذا الأمر».

قالت جينا باستهزاء: «أعتقد أنه أرادها أن تكون مفاجأة».

سألت كاثرين: «لكن هل تعلم بأن لدينا الأب نفسه؟».

وتساءلت كاثرين إذا ما كانت روز تعلم بشأن هذا الأمر طوال الوقت، طوال سنوات صداقتهما الطويلة، ولم يكن لدى كاثرين أدنى فكرة. لكن ربما روز كانت تعرف.

قال والتر: «هذا ما لا أعرفه. ربما أخبرتها والدتها. لكن والدتها لم تكن تعلم أي شيء بشأن الوصية، أنا متأكد من ذلك».

وفكرت كاثرين في أنها لن تستطيع كبح شعورها بالخيانة، والاستغلال، وحتى التجسس عليها إذا ما كانت روز على علم بهذا الأمر طوال الوقت.

سألت كاثرين: «هل يمكننا الطعن في الأمر؟».

أجاب والتر: «لا أنصح بالأمر. اعترف لي فريد منذ وقت طويل أنها ابنته. لقد كانت والدتها، إيلين كاتر، تعمل مع والدكم في فترة ما، وكان يمدّها بالأموال للاعتناء بـروز طوال السنوات العشرين الماضية. ومن ثم، هناك اختبار الحمض النووي، سيكلفكم الأمر أموالاً كثيرة للطعن على الوصية وستخسرون في النهاية».

أخذت كاثرين تفكر بمرارة أن روز ربما كانت تعرف من هو والدها بالفعل. وربما توقعت من كاثرين والآخرين أن يرحبوا بها في العائلة ويتشاركوا الميراث معها في رضا تام. إنها إذاً لا تعرفهم جيداً.

سأل دان: «كم تبلغ التركة؟».

أجاب والتر: «بعد الضرائب، قرابة ستة وعشرين مليوناً، وتضيف تركة والدكم ستة آخرين».

ثم نظر بنظرة يشوبها الامتعاض الخفي قليلاً وقال: «مبارك لكم. حتى بوجود أختكم غير الشقيقة في الوصية، جميعكم أثرياء للغاية الآن». حذقت كاثرين إلى المحامي محاولة أن تقرأ تعبيرات وجهه، وأدركت أنه يظن أن واحداً منهم قاتل. ربما، فكرت كاثرين: حين ينتهي كل ذلك، يجب عليهم أن يجدوا محامياً جديداً.

تركوا مكتب المحامي وتوقفوا بعد ذلك ليتحدثوا في موقف السيارات، وبدأ أن التوتر بين دان وبقيتهم قد انجلى. فهم متحدون الآن ضد عدو مشترك، مغتصب.

قالت جينا: «إنني لا أصدق هذا الأمر».

قال دان وهو متجهم: «إنني لا أعلم لماذا لم نكن نتوقع أمراً كهذا. لقد كان سيئاً مع والدتنا. اعتقد أننا محظوظون لأنه لا يوجد المزيد».

قالت كاثرين: «بصفتي القائمة بتنفيذ الوصية، يجب أن أتصل بأودري وأخبرها أنها ستحصل على مليون دولار. لكنني لن أخبرها بشأن أننا سنتقاسم الثروة مع روز، لا أريد أن أجعلها تشعر بالسعادة. وإنني سعيدة لإيرينا أيضاً».

هز بقيتهم رؤوسهم موافقين.

تحدثوا أكثر قليلاً. قبل أن يتفرقوا ليذهب كل منهم إلى سيارته، قالت كاثرين لدان وچينا: «يجب علينا أن نقف بجانب بعضنا بعضاً. لا تخبروا الشرطة بأي شيء. سيمر كل هذا، وسنصبح أثرياء».

43

إن الملكية الموجودة في شارع 22 في بريكن هيل هي ملكية ضخمة مزودة في مقدمتها بنافورة بانخة مبنية على الطراز الإيطالي. قالت بار حين اقتربا من المكان: «أوه. هذا مبالغ فيه بعض الشيء، أليس كذلك؟».

لم يقل رايس رأيه. إن المالك، أمير غُرباني، في انتظارهما، رن رايس جرس الباب وكان يمكن سماع رنين فخم يتردد صداه من داخل المنزل، قلبت بار عينها، فتح الباب رجل يبلغ قرابة الأربعين وحياهما، تفقد هويتهما بدقة وقال: «تفضلا بالدخول».

وقادهما إلى غرفة معيشة كبيرة حيث جلسا تحت ثريا كريستالية مزخرفة. بدا المنزل خالياً، هادئاً. لا يعتقد رايس أن هناك أي شخص آخر. قال غُرباني وكأنه كان يقرأ أفكاره: «إن زوجتي وأطفالي في زيارة للعائلة في دبي». شرع رايس في الحديث قائلاً: «كما ذكرت سلفاً على الهاتف، إننا نُجري تحقيقاً بشأن قتل فريد وشيلا مرتون».

هز الرجل رأسه، وقال: «الأمر مريع. الجميع في بريكن هيل مستأوون بسبب الأمر. إنني جديد هنا بعض الشيء، لكن على حد فهمي، لم يحدث أي شيء مشابه هنا قط».

- سبب زيارتنا هو أننا على علم بعملك مع ابنتهما، دان مرتون. سكن الرجل للحظة، ثم قال: «عمل؟ ليس لدي أي عمل معه».

أخرج رايس ملفًا وناول إياه الوثيقة التي تظهر إقراض دان مرتون خمسمائة ألف دولار إلى أمير غُرباني بضمان رهن عقاري أول على المنزل الذي يجلسون فيه الآن، قرأها الرجل وبدأ عليه الدهشة الواضحة، وقال: «لم أرَ هذه من قبل في حياتي، وأنا لم أقترض المال قط من دان مرتون. الرهن العقاري الوحيد على هذا المنزل مع البنك. لا يمكن أن يكون هذا قد وُثِّقَ. فلن يسمح البنك لهذا بالحدوث أبدًا».

ثم نظر غُرباني إلى الورقة مرة أخرى وقال: «لم أسمع قط عن روز كاتر. إنها ليست محاميتي».

ثم عاد بظهره إلى الخلف، وقال: «لكنني سأخبركما بشيء آخر. لقد رأيت دان مرتون يجلس خارج هذا المنزل في الليل عدة مرات. كان يجلس في سيارته، يشاهد المنزل».

تفاجأ رايس من سماعه لهذا. هذا سلوك غريب نوعًا ما، سأل رايس: «أنت قابلته إدا؟».

- لا، لقد استأجرت محققًا خاصًا ليعرف من هو. لقد أفلقني الأمر، ولم أكن أعرف ما يفعله هناك، (ثم هز رأسه وهو يبدو عليه التوتر الآن) شخص ما أخذ أمواله، لكنه ليس أنا.

تشارك رايس وبار نظرة مفادها أنهما علما أن روز كاتر قد خدعت أخاها غير الشقيق، دان.

قال غُرباني: «هل تعتقدان أنه قتل والديه؟ لقد كان هنا في تلك الليلة، في أحد الفصح. خارج منزلي».

سأل رايس: «أيُّ وقت كان ذلك؟».

- لمحته قرابة العاشرة والنصف، ربما أبكر قليلًا. في العادة، يمكث لساعة أو أكثر، لكنه رحل في تلك الليلة بعد عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة فقط. أذكر أنني ألقيت نظرة من النافذة، ولاحظت أنه قد رحل، لأنني لا أدخل إلى النوم أبدًا إلا بعد أن يرحل».

فكر تيد بينما يقود إلى المنزل أنه حتى مع وجود الشقيقة غير المتوقعة فحصة كاثرين من التركة ستبلغ ثمانية ملايين تقريبًا، أمر يستحق الاحتفال.

لكن كاثرين تبدو حزينة للغاية من معرفة أن روز كاتر، التي كانت تعدّها دائماً صديقة مقربة، هي أختها غير الشقيقة. يجب أن يعترف أن الأمر أذهله هو الآخر. سيغير هذا من الأمور بينهما، ويمكنه أن يستشف أن كاثرين لا تحب الأمر.

قالت كاثرين وهي تعود للخلف في كرسيها: «حسناً، الآن نعلم».

لا يريد تيد أن يتحدث في الأمر، لكن يجب عليه أن يعرف. سأل: «ما الذي حدث في مركز الشرطة هذا الصباح؟».

التفتت إليه وقالت: «لقد وجدوا زوجين من أقراط أمي في صندوق مجوهراتي».

- إذا؟

قال هذا متظاهراً أن الأمر عادي لكن أفكاره كانت تتدافع داخل عقله.

- إذا، إنهما يقولان إنهما قرطين فُقدَا من أمي ليلة القتل. لديهما قائمة بالأشياء التي فُقدت من شركة التأمين. لكنني استعرت هذين القرطين منذ عدة أسابيع، وبعد ما قاله دان في الجنازة...

سأل تيد بذعر وهو ينظر إليها: «لا يمكن أن تقصدي أنهما يشتبهان بجديّة فيك؟».

- صدقاً لا أعلم، لكن الأمر يبدو كذلك.

أخذ تيد يحدّق إلى الطريق أمامه، بينما يحكم قبضته على عجلة القيادة بقوة. يشعر وكأنه في فيلم سريالي نوعاً ما، يقود فيه في طريق مألوفة بينما حياته تدور من حوله، قاد بقية الطريق وهما صامتتين. تيد يفكر في القرطين. إنه لا يتذكر أنها استعارت أيّ أقراط من والدتها. لكن كيف سيتذكر شيئاً كهذا؟

وقبل أن يتوقفا عند مدخل منزلهما، قالت كاثرين: «تيد، هل يمكنك أن تدعمني في أمر القرطين؟ وأن تقول إنك تعلم أنني اقترضتهما؟».

صف سيارته ونظر إليها، قلقاً. لقد قرر أنه لن يكذب على رجال الشرطة مرة أخرى. كيف يمكن أن يكون في هذا الموضع مرة أخرى؟ لكن كاثرين لم تقتل والديها. الأمر ببساطة مستحيل. ولقد ورثت كاثرين ثروة ثمانية ملايين دولار، وأكثر إذا ما اعتُقلَ دان وصُوِدِرَت حصته من الميراث.

وقال: «بالطبع».

تفاجأت ليزا من الكشف عن أمر روز كاتر. إنها لا تعرفها. لكنها لا ترى أين المشكلة. فلا يزال إرث كل واحد منهم ثمانية ملايين دولار. وهذه أموال طائلة. يمكنهم حتى أن يتبرعوا منها. لكن رضاها عن محتوى الوصية تسمم بالطريقة التي كان ينظر بها المحامي إلى زوجها. من المؤكد أنه يظن أن دان من فعلها؛ كان بالكاد يخفي نفوره. إن مشاعر الخزي تملؤها. لا يمكنها تحمّل أن ينظر الناس إليهما بتلك الطريقة. لكن أسوأ ما في الأمر هو الجانب النفسي.

جلس دان في مقعد الراكب بجوارها بينما كانت تقود هي.

قالت ليزا: «لا بأس. لا يزال هناك كثير من الأموال».

- الأمر السيئ أننا لا يمكننا الاستمتاع بها. (ظلت صامتة) يجب علينا أن نحتمي الشمبانيا وأن نخطط للذهاب في رحلة إلى إيطاليا، ونبتاع منزلاً جديداً. لكننا لا يمكننا فعل كل هذا. كيف سيبدو الأمر؟ الجميع يقول بالفعل إنني من قتلتهما».

قالت ليزا محاولة تهدئته: «سيأخذ الأمر وقتاً حتى تُسوَّى التركة على كل حال، وفور أن يكتشفوا من فعل الأمر، سنستطيع حينها أن نستمتع بالأموال».

أو ربما تحاول أن تهدئ نفسها.

أخذ يحدق من النافذة وهو يقضم ظفر إبهامه بتوتر.

قادت جينا من مكتب والتر إلى منزلها وهي تفكر في الوصية. يجب أن تكون سعيدة، إنها سعيدة بالفعل، ستصبح ثرية. لكن ما يثير غضبها هو أن يتساوى شخص مجهول وغير شقيق معهم في الميراث. إنها لا تعرف روز كاتر حقاً، على الرغم من أنها قابلتها في زفاف كاثرين منذ عدة سنوات.

وإنها ليست مستقرة بعض الشيء حيال چاك. لقد تستر چاك عليها. إن علاقتهما المؤقتة -أو أيّاً ما يكن الأمر- مسلية الآن، لكن ماذا إن سئما من بعضهما بعضاً؟ ماذا إن أراد أحدهما أن ينفصل؟ هل يمكنها أن تثق به حينها؟

ستصير الأمور للأفضل لو أنهم ألقوا بالقبض على أحدهم، وإنها لا تهتم بتأتا من هو ما دام ليس هي.

44

أطلت بار برأسها من باب مكتب رايس وهي تلهث بعض الشيء. فسألها رايس: «ما الأمر؟».

- لقد تلقيت تَوًّا مكالمة من المشفى. لقد نُقلت أودري ستانك إلى المشفى البارحة، ويعتقدون أنها تسمت.

ذهب رايس وبار إلى المشفى بأسرع ما يمكنهما، وتمكنا أخيرًا من الوصول إلى طبيب أودري ستانك، دكتور «وانج». سأل رايس: «هل تسمت؟ هل أنت متأكد؟». مكتبة سُرَّ مَنْ قرأ

هز الطبيب رأسه بنعم بسرعة وقال: «لا شك في ذلك. «إثيلين جلايكول Ethylene Glycol». لو لم تكن اتصلت بنا بالسرعة التي فعلتها، لكان من المحتمل أن تكون في غيبوبة الآن. لقد عالجنها بعقار «فومبيزول Fomepizole»، إنه يعكس تأثير السم ويمنع تلف الأعضاء. (والتفت وكأنه على وشك أن يرحل وقال) ستكون بخير. ستتمكن من العودة إلى منزلها في وقت لاحق اليوم».

قال رايس: «انتظرا!».

توقف الطبيب لبرهة.

- من أين يمكن أن يأتي الإثيلين جلايكول؟

- من المواد المضادة للتجمد تقريبًا. هذا تخصصك أنت، وليس أنا. بمقدوركما رؤيتها. إنها متلهفة للحديث إليكما. إنها في غرفة 712.

عرفا مكان غرفة أودري، وطرق رايس بخفة الباب المفتوح جزئياً ودخلا. إنها غرفة شبه خاصة، فهناك امرأة أخرى في الفراش المقابل لها. أسدل رايس الستائر حول فراش أودري من أجل الخصوصية، ووقف هو وبار بجانب فراشها، وقال رايس: «كيف تشعرين؟».

قطبت جبينها بضعف، وقالت: «لست بخير. لكنهم أخبروني أنني سأكون على ما يرام. وأنه لا يوجد أي تلف دائم».

سأل رايس: «ماذا حدث؟»، فقالت أودري بحزم: «لقد كان الشاي المثلج. أنا متأكدة من هذا. إنني أبقى إبريقاً بلاستيكيّاً من الشاي المثلج في الثلاجة. حين عدت إلى المنزل من المشي صباح يوم الأحد، شربت كأساً منه، وبدأت بعد ذلك في الشعور بالمرض. (نظر رايس إلى بار. وتابعت أودري بإصرار) لقد حاول أحدهم قتلي. لقد اقتحم أحدهم منزلي وحاول أن يسممني. لا بد وأنه أحد هؤلاء الأولاد».

- لم سيحاول أيّ منهم قتلك؟

- لأنني أعرف أن أحدهم قاتل، وأياً ما يكون هذا الشخص فهو يعرف أنني أتحدث معكم ومع الصحافة. لقد كنت المصدر المجهول الذي ظهر في الجريدة أمس.

فور أن دخلا المنزل، أخبرت كاثرين تيد أنها ستصعد للطابق العلوي لتنام. إنها تعاني صداماً شديداً، على الأرجح من القلق من كل ما يحدث، من استجواب الشرطة صباحاً، والوصية، والأخبار بشأن روز هذا العصر. إنها تريد أن تفكر بشأن روز، وما الذي ستفعله معها. لا تشعر بأنها اكتسبت أختاً، لكن بأنها خسرت صديقة.

تدثرت كاثرين بالأغطية وجذبتها حتى عنقها، حاولت أن تخلي ذهنها حتى تتمكن من النوم وتتخلص من الصداع، حاولت أن تستدعي أفكاراً سعيدة، أن تفكر في الأموال التي ستحصل عليها، والطفل الذي سترزق به، وكيف ستخبر تيد بالأمر. تتمنى أن تكون بنتاً. أخذت تتخيل نفسها تزين غرفة الأطفال في منزل والديها، فالغرفة وكل شيء فيها الآن سيكون ملكها. دان وچينا لا يهتمان. سيثمنون المنزل ومحتوياته وسيصبح هذا حصتها من الميراث. حين قالت إنها تريده عندما كانوا يقفون في المرأب بعد اجتماعهم

مع والتر، لم يتفاجأ دان أو چينا، لكن تيد تفاجأ. وحين ذكرت أن في نيتها الانتقال إلى هذا المنزل، دُهل. لم تعرف السبب في وقتها، إذ إنه دائماً ما علم كم أرادت الحصول عليه.

قال تيد معترضاً: «لكن...».

- لكن ماذا؟

ازدرد تيد وقال: «لقد قُتِلَ والدك في هذا المنزل... هل ما زلتَ تريدين العيش فيه؟».

لم ترد أن يعتقد أنها باردة. لذلك قالت بإصرار، وحزن، وعينين قصدت أن تجعلهما دامعتين: «إنه المكان الذي ترعرت فيه».

وأرادت لو تقول يمكنني أن أعيش مع الأمر، هل تستطيع أنت؟ لكنها لم تكن متأكدة من أنها ستحب إجابته. هذا شيء آخر يجب عليها أن تتعامل معه، فرط حساسية زوجها. والقرطين، بدأت الأفكار تتدافع داخل عقلها. لماذا لا يريد المحققان تصديق أنها استعارتهما؟ والآن أصبح من المستحيل أن تغط في النوم لأنها شرعت تفكر في أودري. هل تحدثت بالفعل إلى المحققين؟ تذكرت كيف لمحتها في سيارتها في موقف السيارات الخاص بمركز الشرطة. وأنها كانت هناك لأنها تراقبهم، وكيف هددها هي وأخويها حين اكتشفت أنها لن تصبح غنية.

أودري على علم بماضيها. حين كانت كاثرين صغيرة، لم تكن دائماً الابنة المثالية، حين كانت تبلغ من العمر اثني عشر عاماً، سرقت قلادة. كانت في زيارة إلى منزل صديقتها، ولم يكن والدا صديقتها في المنزل. صعدت كاثرين الطابق العلوي لتدخل المرحاض، وبدافع الفضول، تسللت إلى غرفة نوم والذي صديقتها، لم ترد كاثرين أن تتجسس في العموم، أرادت فقط أن تتفقد صندوق مجوهرات السيدة «جيبسونز». لقد كان لديها عديد من الأشياء الرائعة، وكان هناك قلادة جميلة صغيرة في قاع الصندوق حملتها كاثرين ونظرت إليها في الضوء. قلادة جميلة رقيقة من الذهب وتتدلى منها ماسة صغيرة، سللتها كاثرين داخل جيب بنطالها الجينز، واعتقدت أن السيدة جيبسونز لن تلاحظ اختفاءها سريعاً، ولن تتمكن من ربط اختفائها بزيارة كاثرين.

لكن كانت والدتها من اكتشفت أمر تلك القلادة بعدما وجدتها إيرينا مخبأة تحت فراش كاثرين حينما كانت تغير ملاءات فراشها، أخبرت إيرينا أمها التي

واجهتها وأجبرتها على أن تقول الحقيقة، ثم أخذتها وذهبت إلى منزل عائلة جيبسونز وجعلتها تعيد القلادة وتعتذر بينما كان وجهها أحمر من الخزي، كان يملؤها السخط تجاه أمها لأن كاثرين كانت محقة؛ لم تلحظ السيدة جيبسونز اختفاء القلادة نهائياً، وقد أنهت هذا الحادث صداقتها مع ابنة عائلة جيبسونز، وكانت والد كاثرين محرجة للغاية، وأخبرت والد كاثرين حين عاد إلى المنزل والذي وبخها بدوره وجعلها تشعر بالخزي الشديد والغضب إلى حد أنها أرادت أن تهرب من المنزل.

وبالطبع أخبر والدها أودري. كان يخبرها بكل شيء وكأنه كان يحب أن يعرض إخفاقات أبنائه، وهناك واقعة أخرى بعد ذلك حين أرادت أن تسرق سواراً من الألباس من متجر للمجوهرات حين كانت في السادسة عشرة من عمرها، واستُدعيت الشرطة، لكن تدخل والدها وأخرجها من الأمر، كانت لا تستطيع منع نفسها عن الأشياء البراقة.

انضم إلى رايس وبار في منزل أودري مجموعة من التقنيين من فريق الطب الشرعي، وبتفحص منزلها لم يجدوا أي دليل على أن منزلها اقتحم مؤخراً. لكن هناك نافذة كبيرة تركت مفتوحة في آخر المنزل ويمكن أن يكون أحدهم قد تسلل بتلك الطريقة، ستعود أودري إلى منزلها من المشفى في وقت لاحق من هذا اليوم، وأخذ رايس يغلق كل نوافذ المنزل، وأخذوا إبريق الشاي المثلج للفحص، والكأس المتروكة على الطاولة الصغيرة، ولوى رايس أنفه بسبب رائحة القوي المنتشر على الأريكة وأرضية حجرة المعيشة. أتت بار ووقفت بجانبه وقالت: «هل تفكر فيما أفكر فيه؟».

- تفكرين في أنها سممت نفسها؟

هزت بار كتفها وقالت: «تبدو لي كشخصية هستيرية، لذا لن يفاجئني هذا». قال رايس: «لا علامة على اقتحام المكان، لكن هذا لا يعني أي شيء بالضرورة». هزت بار رأسها موافقة وقالت: «النافذة كانت مفتوحة».

- واتصلت بالطوارئ في الوقت المناسب.

بدأ العاملون في مسح بصمات المقتحم المحتمل، لكن رايس يشك بالفعل في أنهم لن يعثروا على أي شيء، ووجب على المحققين العودة إلى مركز الشرطة مرة أخرى ليتعاملوا مع روز كاتر، لذا تركا هذا الأمر للعاملين.

45

كان يمكن لروز كاتر أن تشعر بقلبها وهو يخفق في صدرها. كانت تجلس في مكتبها في مكتب المحاماة خاصتها في شارع ووتر. إنها تمارس المحاماة بصورة منفردة وتعمل في العقارات أغلب الوقت. أسدلت الستائر على واجهة المكتب وأدارت عبارة مغلق للشارع. لقد أرسلت مساعدتها إلى منزلها مبكرًا اليوم. والآن، لقد تخطت الساعة الخامسة بقليل، وهي تريد أن تذهب إلى منزلها هي الأخرى.

لقد كانت طموحة أكثر مما ينبغي، وأدخلها هذا في مأزق. دائمًا ما كانت تريد أكثر مما تمتلك، ودائمًا ما كانت تغار، وتسخط حتى، من أصدقائها الأيسر حالًا وزملائها الذين ينحدرون من عائلات ثرية. إنشاء مكتب الخاص صعب، ومكلف. مساحة عمل، ومعدات، وتأمين، ومصاريف قانونية، وراتب للمساعدة. ووجدت أن كسب المال أصعب مما توقعت. ولا تزال لديها أموال الإيجار، وقروض مصاريف الطلاب لدفعها.

أخذت روز تفكر في عائلة مرتون. إنها تعلم كم هم أثرياء. وهذا لأن كاثرين قد أذاقتها كيف تبدو حياتها، ودائمًا ما كانت تصر كاثرين على الدفع - سواء كان ذلك ليوم للإبحار مع شمبانيا ومحار، أو دفع عشاء باهظ - وكانت روز تتركها تفعل لأن كليهما تعلم أن كاثرين يمكنها تحمل تكلفة الأمر بسهولة بينما روز لا.

قبل أن يبيع فريد مرتون شركته ويترك دان عاطلاً عن العمل، كانت روز تعلم أن دان يجلس على تلال من الأموال، ورأت هذا فرصة، وتمكنت من إقناع كاثرين أن تجعل دان يتحدث إليها بشأن فرصة استثمار يمكن أن يكون مهمتها، أقنعت أن يسحب أمواله من المكان الذي كانت فيه ويستثمر كمقرض خاص إلى مالكي العقار رقم 22 في بريكن هيل مع العقار كضمان. كان العرض يقدم معدل عائد مرتفع أعلى بكثير مما كان يأخذه في أي مكان آخر، لمدة اثني عشر شهرًا بلا أي مخاطر. لكنه بعد ذلك خسر وظيفته وأراد استرداد أمواله قبل المدة المتفق عليها. لم تستطع مساعدته، وأخبرته أن عليه الانتظار. فما بيدها فعل شيء.

والحقيقة هي أنه لا رهن على هذا العقار. وأنها قد زورت الأوراق لتجعل دان يستثمر نصف مليون في شيء كان من المفترض أنه حقيقي. كانت قد سمعت باستثمار ما في البورصة. واستثمرت الأموال هناك وهي تظن أنها ستدر عليها ثروة طائلة في وقت قصير. لقد كانت جشعة، لكنها عازمت على أن تعيد أمواله بالكامل حين تحين المدة المتفق عليها دون أن ينتبه أي شخص لما فعلته. لكن الأمور لم تسر كما أرادت، والشيء المؤكد فشل. لا يعرف دان بفعلتها. لكن إن لم تستطع أن تحصل على الأموال في الأشهر القليلة القادمة، سيكتشف دان الأمر.

حين تلقت روز مكالمة من المحققة بار منذ عدة دقائق، استدارت بالكرسي مولية ظهرها لمساعدتها وأغلقت عينيها، طلبت منها المحققة أن تأتي إلى مركز الشرطة، أغلقت المكالمة، وأرسلت «كلي» إلى منزلها، وجلست ساكنة تمامًا، وهي تتساءل عن كمية المعلومات التي تعرفها الشرطة، وما الذي يمكن أن يتهموها به. والآن، وبعد أن وصلت إلى مركز الشرطة، دخلت برأس مرفوع وظهر مستقيم، وأظهرت شخصية المحامية الواثقة وحيث المحققين بابتسامة.

- قالت وهي تجلس في غرفة الاستجواب: «كيف يمكنني مساعدتكما؟».
- كما تعرفين على الأرجح، إننا نحقق في جريمة قتل فريد وشيلا مرتون. وعلى حد علمي أنت تعرفين كاثرين مرتون جيدًا.
 - هذا صحيح. أنا وكاثرين صديقتان منذ سنوات. لقد ارتدنا المدرسة ذاتها.
 - على حد علمنا أنت كنت تتولين استثمارًا يخص أخاها دان.

يجب عليها أن تتمالك نفسها. كل شيء يعتمد على كيف ستصرف مع الأمر.

- نعم، هذا صحيح.

- هل يمكنك إخبارنا بذلك؟

- كنت أبحث عن مقرض خاص لعميل، وذكرت لي كاثرين أن أخاها ربما لديه بعض الأموال ليستثمرها، وتقابلنا أنا ودان ووافق على الاستثمار وأخذ رهاناً مبدئياً على العقار.

كان رايس يهز رأسه، ثم قال: «أخشى أنني يجب أن أحذرك...». وشرع في فعل ذلك.

شعرت بوجهها يأخذ في الاحمرار بينما اجتاحتها موجة من الذعر. كان المحققان يراقبانها من كُتب، وشعرت وكأنه لا يمكنها التنفس.

سأل رايس: «هل تريدین بعض الماء؟».

هزت رأسها موافقة دون أن تجيب وصبت لها بار بعض الماء. إنها ممتنة على هذا الفاصل. إنها تريد التفكير. لكن لا يمكنها ذلك. ناولتها بار الماء وشربت بنهم ويدها ترتعشان.

لم تتمكن أودري التي عادت تَوَّأ من المشفى أن تصل إلى هاتف المطبخ قبل أن ينتقل إلى خدمة البريد الصوتي، وتجمدت عند مدخل مطبخها، وأخذ قلبها يخفق بشدة حين سمعت صوت كاثرين على السماعة. لم تلتقط الهاتف. إنها لا تريد التحدث إليها. كانت رسالة كاثرين قصيرة. قالت إن فريد ترك لكل منها هي وإيرينا مليون دولار في وصيته، ثم أغلقت الهاتف فجأة تاركة أودري تحرق إلى الهاتف. إنها لا تستطيع تحديد شعورها.

إنها بالطبع سعيدة بحصولها على مليون، كانت على وشك أن تنصاع لحقيقة أنها لن تحصل على أي شيء. لكن أودري كانت تتوقع أكثر من ذلك بكثير. إنها لا تملك أي أسباب لتطعن على وصية فريد. لكنها لن تستسلم عن كفاحها من أجل تحقيق العدالة لأخيها. والآن هي مقتنعة أن واحداً منهم حاول قتلها هي الأخرى. لم تعد فضولية وحسب. لا، لقد باتت في خطر الآن.

هل كانت كاثرين ستتصل إذا ما كانت قد سممت أودري واعتقدت أنها ترقد ميتة على الأرض؟ نعم، كانت ستفعل ذلك. كانت ستخفي أنها وراء الأمر، وأنها تترك رسالة تؤدي فيها مهامها كواصية لا أكثر. لو كانت هي القاتلة، ومن سممت أودري، تخيل كم كانت ستندهش لو كانت أودري أجابت الهاتف. والآن تمنى لو أنها فعلت ذلك. كل هذا لأنها تحدثت إلى الصحافية، روبين فونتين، ثم شعرت أودري برغبة مبالغتة في أن تتحدث لشخص يمكنها الوثوق به. فالتقطت الهاتف واتصلت بإيلين.

أخذ رايس يفحص روز كاتر وهي تتعرق في كرسيها المقابل له ولبار، وضعت الماء على الطاولة وقالت: «أريد محامياً».

قال رايس حسناً، وغادر الغرفة حتى يتسنى لها الاتصال بمحاميها. وبعد فترة قصيرة، وصلت محاميتها وجلستا على انفراد، ثم فتحت المحامية الباب وقالت للمحققين إنهما مستعدتان. وجلسا في مكانيهما وفتحا التسجيل.

قال رايس: «ما ذكرته لنا هو محض هراء، أليس كذلك؟ لا يوجد أيُّ رهن على عقار 22. لقد تحدثنا بالفعل إلى المالك».

لم تتفوه بشيء، وكأنها تجمدت في مكانها من الخوف.

سأل رايس: «ما الذي فعلته بأموال دان مرتون؟».

أجابت روز أخيراً بصوت متوتر: «لا تعليق».

- إننا نعلم أن الرهن الذي أحضرته كان مزوراً ولم يُسجَل قط.

- لا تعليق.

قال رايس منتقلاً إلى موضوع آخر: «حسناً إذاً، أين كنت ليلة الحادي والعشرين من شهر إبريل؟».

قالت روز وكأنها لا تفهم ما يعنيه السؤال: «آسفة؟».

- لقد سمعتني. أين كنت في ليلة أحد الفصح؟

سألت محامية روز بحدة: «ما علاقة هذا بالأمر؟».

- لقد قُتل فريد وشيلا مرتون في تلك الليلة، والسيدة كاتر هنا هي مستفيد رئيسي من وصية فريد.

قال هذا وهو يشاهد روز وهي تحبس أنفاسها، بدت وكأنها سيغشى عليها.

قالت روز بصوت يرتعش: «ما الذي تتحدث عنه؟».

- إنكِ ابنة فريد مرتون غير الشرعية، لا تتظاهري بأنكِ لا تعرفين.

فغرت فاها ونظرت إلى محاميتها، ثم نظرت مرة أخرى إلى المحققين وقالت: «إنني لا أعلم ما تتحدث عنه».

- إنكِ على وشك أن ترثي ثروة طائلة.

وكان يبدو على المحامية الدهشة مما أقحمت نفسها فيه.

قالت روز: «إنكِ تخلق هذا. لا بد وأنكِ تفعل».

تفحصها رايس بدقة وقال: «أؤكد لك أنني لا أفعل هذا. لذا، أين كنت ليلة الحادي والعشرين من إبريل، ليلة أحد الفصح؟».

- أنا... أنا تناولت العشاء مع أمي وخالتي ببربرا، ثم عدت إلى المنزل.

- وهل كنت بمفردك طوال الليل؟

- نعم.

قالت المحامية فجأة بعد أن أصبحت قادرة على الكلام أخيرًا: «لا يمكنك أن تكون جادًا بشأن ما ترمي إليه».

قال رايس: «حسنًا، إننا نعلم الآن أنها تحركها الأموال. (رمقته روز بنظرة ملؤها الغضب والقلق) لقد احتلت على دان مرتون وأخذت نصف مليون دولار. من سيقول إنها لا يمكنها أن ترتكب جريمة قتل؟ (ثم نظر إلى روز وقال) يمكنك أن تذهبي الآن. لكن سنستدعيك مرة أخرى من أجل تهمة الاحتيال. وبينما كانت تقف، قال) من الأفضل أن تذهبي وتقابلي والتر تيمبل في الصباح. سيكون في انتظارك».

46

لا يستطيع دان النوم، ظل يتقلب في فراشه حتى تجاوزت الساعة منتصف الليل، وبجواره ليزا تغط في سبات عميق مرهقة من الضغط النفسي الناجم عن الأيام الأخيرة الماضية. نهض من الفراش بهدوء وانتعل جوربين، ولبس ملابس داخلية، وبنطال جينز، وارتدى معطفًا. إنه يريد أن يقود إلى مكان ما. أيّ مكان. إنه فعل يفعله لا إراديًا في بعض الأحيان.

خرج من المنزل وركب سيارة ليزا. إنه ناظمٌ على فقد سيارته. لكنه قرر أنه سيبتاع واحدة أخرى، حين ينتهي كل هذا، شيئًا رياضيًا، وقويًا، وباهرًا. أغلق هاتفه وقاد في ليلة ربيعية مظلمة.

تذكر دان كيف عندما كان في السابعة عشرة من عمره قد أعجب بفتاة في المدرسة تُدعى «تينا ميثيني»، وكان مهووسًا بها، كان يتابعها في المدرسة، ويحرق إليها في الفصل، ويمر بجانبها في الردهة. لقد كان طفلًا فقط، وكان محرجًا للغاية، ولم يكن يعرف كيف يتعامل مع مشاعر رغبته الجنسية التي تجتاحه. اعتقد أنه واقع بحبها، وهي لم يعجبها الأمر، وأخبرته أن يتركها وشأنها، وأن يتوقف عن النظر إليها هكذا. لقد كان الأمر أكبر من مجرد رفض. لقد تركته وهو يشعر بأنه أفزعها، بأنه أخافها.

لم يكن والده قد أهداه سيارته الأولى قبل ذلك بوقتٍ طويل، وكان دان يحب التجول بها، كان يحب الخروج في جولات طويلة في تلك الأيام ليهرب من الضغط الطاحن في المنزل، كانت أقرب شكل يمكن أن يشعره بالحرية.

قاد دان أمام منزل تينا عدة مرات، وفي يوم من الأيام بعدما أخبرته أن يتركها وشأنها، توقف أمام منزلها لينتظرها حتى تأتي إلى المنزل، أراد أن يتحدث إليها، أراد أن يفهمها. لكن حين رآته يقف هناك، ينتظرها، لم تتحدث إليه. دخلت إلى المنزل وأخبرت والدها، وفي تلك الليلة جاء والدها إلى منزلهم واشتكى إلى والد دان، شعر فريد بالإحراج والغضب، وأحضر دان من مكتبه ووبخه بشكل مؤلم أمام الرجل الآخر، قال والد تينا إنه لن يقاضيه إذا ما ترك ابنته وشأنها، جلس دان على كرسي وهو يحرق إلى السجادة مذعورًا، وحزينًا، وخجلًا تمامًا. يقاضيه؟ على ماذا؟

بعد ذلك، غرق في الخزي، والوحدة، والحيرة واقتنع لوقت طويل أنه لن يحصل على حبيبة أبدًا. لقد أهيّن من تينا ووالده الذي أخبر كل فرد في العائلة ما فعله. «لقد تتبع فتاة، وأفزعها. وكانت على وشك الاتصال بالشرطة» وظل والده يردد القصة لشهور.

لم يجرؤ دان على النظر إلى تينا بعد ذلك، ولم يقترب منها، ولم يقترب من أي فتاة أخرى، خوفًا مما قد يحدث. قلق من أن تكون قد أخبرت الفتيات الأخريات في المدرسة بشأنه، وأنه غريب الأطوار بعض الشيء. شعر بالظلم. وفي بعض الأحيان، بعد أن يخلد الجميع إلى النوم، كان يقود من أمام منزلها في وقت متأخر من الليل، وفي بعض الأوقات كان يتوقف ويصف سيارته في الخارج. لكن مشاعر الرغبة والإعجاب التي كان يكنها لها لم تحتل الرفض والإهانة. وأصبح يحتقرها، ويحتقر أي شخص تسبب في إهانته. أن يجلس خارج منزلها، دون أن يعرف أي شخص، ويفعل ما مَنع منه قد أمده بشعور صغير من القوة.

والآن، وهو يقود -طريقة فعالة لتهدئته بحق- وجد نفسه يفكر في أودري. إنها تعرف كل ما حدث مع تينا. تعتقد أودري أنه غريب لأن والده كان قد بالغ في تضخيم الأمر إلى حد كبير مما جعل الأمر على غير حقيقته. ومنذ تلك الليلة التي هددهم فيها في منزل كاثرين، ودان قلق من أن تقول شيئًا كهذا للمحققين أو للصحافة. إنه يعلم أنها المصدر المجهول الذي ظهر في تلك الجريدة. لكنه لا يعتقد أن تظهر عائلة تينا وتقول أي شيء عنه. إن عائلة ميثيني مثل عائلة مرتون، أثرياء وشديدو الخصوصية. إنهم لا يعرضون أمورهم الشخصية أمام مرأى الجميع. لكنه يتساءل عما تقوله عنه عائلة

ميثيني الآن. «لقد كان غريبًا للغاية. كنت أعلم أن هناك أمرًا غريبًا بشأنه. ربما قتل والديه».

أحكم قبضته على عجلة القيادة وبطريقة ما وجد نفسه أمام منزل أودري. إن المنزل مظلم تمامًا، ولا توجد أيُّ إضاءة به. لا يوجد أيُّ شخص هنا ليراه، صف سيارته وأخذ يراقب.

لا تستطيع أودري النوم فهناك الكثير يشغل تفكيرها.

نهضت من فراشها وذهبت إلى المطبخ لتشرب كأسًا من الماء. يمكنها أن تثق بصنبور الماء، كانت قد ألقت أيَّ شيء آخر مفتوحًا أو ليس محكم الغلق في البالوعة، كانت الساعة الموضوععة أعلى فرن المطبخ تشير إلى الواحدة واثنين وعشرين دقيقة بعد منتصف الليل، وقفت عند الحوض وتركت صنبور الماء مفتوحًا حتى أصبح الماء باردًا ثم ملأت كأسًا وحملتها إلى غرفة المعيشة، كان ضوء القمر يتسرب من نافذة غرفة المعيشة وكان يمكنها أن ترى جيدًا. لذلك لم يكن هناك داع لفتح أيِّ أنوار، ثم ذهبت إلى النافذة ونظرت إلى الخارج. هناك سيارة في الشارع، أمام منزلها مباشرة. وهناك رجل يجلس فيها، فقط ظل في الظلام، ويبدو أنه يراقب المنزل. وجعلها هذا تقفز لا إرادياً للخلف من الفزع. لا بد وأنها أخافته هي الأخرى لأنها رآته أشاح بوجهه بعيدًا وحرك ذراعه ليشغل السيارة، وقاد إلى الشارع مارًا تحت عمود إنارة سريعًا بينما يهرب بعيدًا.

لم تكن قد رآته جيدًا. لكنها تعرفت على السيارة. إنها سيارة ليزا. أفزعها هذا الأمر، وظلت واقفة عند النافذة وقلبها يخفق بشدة. لا بد وأنه دان الذي كان يقف أمام منزلها في الليل هكذا. هل هو من سممها؟ هل كان يجلس هنا يحاول أن يستجمع شجاعته ليتسلل إلى المنزل ويرى إذا ما كانت ميتة؟ حسنًا، إنه يعلم الآن أنها ما زالت على قيد الحياة. أو ربما عاد مرة أخرى إلى حيله القديمة.

أخذت إيلين تتقلب بقلق في فراشها، وفي النهاية دفعت الأغطية عنها وتوجهت إلى المطبخ لتعد كوبًا من الشاي خاليًا من الكافيين، نظرت إلى

الساعة المعلقة على الحائط. لقد تجاوز الوقت الثالثة بعد منتصف الليل. المكان هادئ للغاية، وذكرها هذا بحين اعتادت الاستيقاظ في منتصف الليل لترضع ابنتها حين كانت طفلة رضيعة منذ زمن طويل مضى، كلتاها فقط على الأريكة بمفردهما في الظلام.

فكرت في أحوال ابنتها في الوقت الحالي، وكيف يبدو عليها أنها تعاني، وكيف أنها مضغوطة ومرهقة. لم يكن حالها دائماً هكذا. تمكنت روز من اجتياز كلية الحقوق بنجاح دون أيّ عناء يذكر بعد أن قضت عدة سنوات تعمل في وظائف مختلفة. لكنها الآن تعاني. لو فقط يمكنها مساعدتها.

فكرت في زيارة أودري لها هذا المساء. إن صديقتها ستحصل على مليون دولار من وصية أخيها، وتتذمر حيال هذا. إنها تشعر بالتأكد أن صمتها طوال تلك السنين بشأن ما ارتكبه فريد يستحق أكثر من ذلك، وتشعر بأنها يجب أن تكافأ على ولائها.

وكل هذه الثروة بشأن تسميمها. إن إيلين لا تعرف ما عليها التفكير به. إنها تصدق أن أودري ابتلعت سمّاً، فلا يزال يظهر على قسماتها الإعياء. لقد كانت في المشفى على الرغم من أنها لم تتصل بإيلين حين كانت هناك، وذهب المحققان إلى منزلها وتفحصاه باعتباره مسرح جريمة. لا يستطيع المرء أن يكذب بشأن هذا الأمر لأنه وإن فعل سيكون واضحاً. لكن تفكر أيضاً في أن أودري من المحتمل قد سمت نفسها. يبدو أن هذه الجريمة قد أثارت جنونها. لكنها غاضبة للغاية من أنها لم تحصل على ما كانت تظن أنها تستحقه، ومتأكدة للغاية أن أحد الأولاد قاتل إلى حد أن إيلين بدأت تظن أنها ربما تختلق هذا الأمر... إن إيلين تتذكر الليلة التي أخبرتها فيها أودري بأن فريد سيغير وصيته ليعطيها نصفها. تتذكر كيف كانت أودري منتشية بذلك، وكيف كانت إيلين تشعر بالغيرة سراً. تدعي هي وأودري أنهما تخبران بعضهما بكل شيء، لكن هذا الأمر ليس حقيقياً. لا أحد يخبر أيّ شخص بكل شيء. لم تخبر إيلين أودري أن ابنتها هي ابنة أخيها. إنها لم تخبر أيّ شخص إلا فريد. والآن سيرث كل من أولاد فريد ثروة طائلة. إن أودري تشعر بالخدا، لكن شعورها لا يقارب ما تشعر به إيلين.

حين لم تستطع إيلين أن تحمل من زوجها، وافقت أخيراً على عرض فريد وأقامت علاقة معه. وحملت سريعاً بعد ذلك، كان فريد غاضباً للغاية حين علم بالأمر. لكنه تجاوز الأمر حين أدرك أن إيلين لن تخبر أيّ شخص، ولم يعرف

زوجها قط أن روز لم تكن ابنته البيولوجية، وحين مات زوجها بشكل مفاجئ بسبب أزمة قلبية ولم تكن روز قد بلغت عامها الأول، ذهبت إيلين إلى فريد وطلبت منه المال، ولم تضطر إلى الإلحاح في الأمر، لأنه كان يعلم أنه يمكنها أن تثبت أن روز هي ابنته، وكان يمدّها بالمال بانتظام لسنوات. لم يكن مألّا كثيرًا، لكنه كان كافيًا.

حاولت إيلين ألا تفكر في كيف قتل فريد والده بدم بارد، لكنها تظل تتخيل الأمر المرة تلو الأخرى منذ أخبرتها أودري، وقد بحثت عن كلمة سيكوباتي على جوجل والآن تعلم أنها وراثية بشكل جزئي. لكن روز ابنتها ليست كذلك، روز لطيفة.

47

في صباح اليوم التالي، يوم الثلاثاء، اتصل دان بمحاميه، ريتشارد كلين، وأخبره: «إنهما يريدان استجابتي مرة أخرى. ما الذي يجب عليّ فعله؟».

كان يمكن لدان سماع نبرة القلق في صوته وهو يخبره بذلك، وأجابه كلين: «تماسك واهداً. ما الذي حدث؟».

- هذا المحقق اللعين اتصل بي تَوًّا وطلب مني أن أذهب إلى مركز الشرطة مرة أخرى لي طرح عليّ عدة أسئلة. لست مضطراً إلى الذهاب، أليس كذلك؟

- لا، لست مضطراً. لكن ربما عليك. سأكون هناك معك. إننا نريد أن نعرف إلى أين يتجهون بشأن الأمر. سأقابلك هناك بعد نصف ساعة، حسناً؟

- حسناً.

- دان، سأكون بجانبك. لا تقل أيّ شيء حتى أصل هناك، وإذا ما اعتقدت أنه يجب ألا تجيب عن سؤال، سأخبرك.

حين وصل دان إلى مركز الشرطة - ظلت ليذا في المنزل بوجه شاحب - وانتظر حتى وصل محاميه بعد عدة دقائق. إن رؤية الرجل الآخر، في بدلته الجيدة، بسلوكه المعتد بنفسه، يطمئن دان قليلاً.

سأل دان محاميه: «لماذا يأتیان خلفي هكذا؟ هذا يعد تحرشاً! إنهما لا يمتلكان أيّ دليل، أليس كذلك؟ لا يمتلكان أيّ دليل وإلا كانا أخبراك، أليس كذلك؟».

- إذا كان لديهما دليل، سيخبرانني بالأمر عاجلاً أم آجلاً. لكن لا يبدو أنهما يمتلكان أيّ شيء بعد. وأنت لست رهن الاعتقال يا دان. لذا دعنا نرى ما يريدان الحديث بشأنه.

وفور أن جلسا في غرفة الاستجواب، وُفُتِحَ التسجيل، قال رايس بشكل صريح: «لدينا شاهد رآك في سيارتك في بريكن هيل ليلة جريمتي القتل، قرابة الساعة العاشرة والنصف».

فقد دان تمالكه لنفسه ونظر بذعر إلى محاميه.

قال كلين: «لا تعليق».

مال رايس إلى الأمام ونظر إليه في عينيه، وشعر دان بأنه سيغشى عليه، وقال: «إن أباك باع شركته بدلاً من أن يتركها لك لتتولى زمام أمورها، لم تستطع أن تجد وظيفة، واستثمرت معظم مدخراتك -نصف مليون دولار- في استثمار عقاري لمنزل في بريكن هيل ولم تتكمن من استعادة أموالك حين احتجت إليها، وكنت تقف خارج المنزل -الذي ليس ببعيد عن منزل والديك بالمناسبة- وأنت تحرق إليه الليلة تلو الأخرى، رآك مالك المنزل هناك في ليلة أحد الفصح. هذا تصرف غريب للغاية يا دان. هل عرفت أنك لن ترى هذه الأموال مرة أخرى؟ ما الذي كنت تفكر فيه يا دان؟ هل كنت غاضباً؟ يائساً؟ أنك خُذْتَ أكثر من مرة؟».

شعر دان بأنه على وشك أن يغشى عليه مرة أخرى. لكنه سأل بصوت حاد: «ماذا تقصد بأنني لن أرى الأموال مرة أخرى؟ ما الذي تحدث عنه؟».

- لقد ذهبت الأموال سدى يا دان. لا يوجد أيّ رهن عقاري على عقار 22 في بريكن هيل. لم يسمع المالك بك قط، أو بأموالك. كل هذا كان احتيالاً أعدته روز كاتر المحامية. لكن ربما كنت تعلم بهذا الأمر بالفعل.

حرق دان إلى المحقق وهو مصدوم. لا عقار على... هذا مستحيل. لقد وُقِعَ على الأوراق. لقد وثق بها، وكانت تخدعه، وبالكاد صاح في المحقق الذي يعذبه: «لم أكن أعلم!».

- هل أعطاك والدك الأموال التي كنت في حاجة ماسة إليها على عشاء عيد الفصح؟ لقد أخبرتنا أنك لم تكن في مكان قريب من بريكن هيل في تلك الليلة، لكننا نعلم الآن أنها كذبة، ولديك البدلات الواقية لذا...
قال كلين وهو ينهض واقفًا: «انتهى الاستجواب. نحن راحلان إلا إذا كان لديك دليل يدين عميلي وستقبض عليه».
قال رايس: «لن نقبض عليه، ليس بعد».
وبينما يلتفتان ليرحلا، قال رايس: «شيء أخير. حاول أحدهم أن يسمم عمك أودري. ماذا تعرف عن هذا الأمر؟».
- لا شيء.
ورحلا دون أي كلمة أخرى.

كانت روز ترتشف قهوتها الصباحية وهي تحقق من نافذة مطبخها الصغير. لم تذهب إلى المكتب اليوم، فما المغزى؟ الشرطة تعلم بأمر الاحتيال وسيتهمونها قريبًا. لا يوجد أيُّ مهرب من ذلك. ستذهب إلى السجن، على الأقل لفترة قصيرة. لم يكن من المفترض أن تعرف الشرطة بشأن الأمر، أو أيُّ شخص آخر. ولم يكن دان ليعرف قط، كان من المفترض أن تكون جريمة بلا أيِّ ضحايا، وكان سيحصل على أمواله مرة أخرى. لكن الأمور لم تسر كما خطط لها. والآن يظنون أنها مجرمة، ويتهمونها بالقتل.

هل سيكتشفون كل شيء؟ تسال إليها الخوف وبدأت ترتجف. لأن هناك المزيد. ارتدت أفضل بدلة كحلية لديها بعناية، وقميصًا أبيض نظيفًا، ووضعت مساحيق وجهها بعناية، وسارت بظهر مستقيم، ورأس مرفوع خارجة من منزلها لتقابل والتر تيمبل من شركة تيمبل بلاك للمحاماة. ستبقي رأسها مرفوعًا قدر استطاعتها.

كان تيد يغسل يديه على أحد الأحواض حين اقتربت موظفة الاستقبال وقالت له: «هناك محققان يودان رؤيتك».
التفت إليها وقال: «ماذا؟».

برد فعل فوري يظهر فزعه. إنه لا يريد أن يتحدث إلى المحققين هنا. إنه لا يريد أن يتحدث إليهما بتاتا.

- لدي مرضى لأتفقدهم. أخبريهما أنني لا يمكنني أن أتحدث إليهما الآن. رجعت مرة أخرى وأنهى هو غسل يديه وقلبه يخفق بشدة الآن. لا بد وأن هذه الزيارة بخصوص القرطين، ويجب أن يدعم زوجته، لا خيار آخر لديه. وفكرة الكذب على الشرطة مرة أخرى توتره. فهما يعرفان بالفعل أنه كاذب. ظهرت موظفة الاستقبال مرة أخرى، وهذه المرة بجبين مجعد وقالت: «إنهما يصران على مقابلتك. لن يرحلا».

أشاح بوجهه حتى لا ترى كم هو متوتر، وقال: «حسنًا، أرسليهما إلى مكتبي».

تمهل عدة دقائق حتى يتمالك نفسه ودخل إلى مكتبه على عجل ليريهما أنه في عجلة من أمره وأنه لا يمكنه أن يعطييهما الكثير من وقته. وأيضًا، ليخفي توتره. ويعلم أن هناك بقعًا من العرق بدأت في الظهور تحت ذراعيه على ملابسه الزرقاء.

كان المحققان رايس وبار يجلسان على كرسيين أمام مكتبه الفوضوي. قال تيد قبل حتى أن يجلس: «كيف يمكنني مساعدتكما؟».

- لدينا فقط بعض الأسئلة.

- بالطبع، لكن ليس لدي الكثير من الوقت، لذا...

- كما تعلم هناك بعض الممتلكات التي فُقدت من منزل الزوجين مرتون ليلة الجريمة. بعض من مجوهرات شيلا، لدينا قائمة، وحين فتشنا منزلك، وجدنا زوجين من الأقراط داخل صندوق مجوهرات زوجتك والذين كانا جزءًا من تلك القائمة.

قال تيد وهو يحاول أن يبدو طبيعيًا وهو يجلس: «أوه، نعم. إنني أعلم بهذا الأمر. استعارت كاثارين هذين القرطين من والدتها منذ عدة أسابيع مضت».

- هل أخبرتك بذلك أم هل أنت تعرف ذلك؟

شعر تيد بوجهه يشحب، لا يستطيع أن يفكر كيف يجيب.

قالت المحققة بار: «الأمر بسيط. هل رأيتهما من قبل وهي تضع هذين القرطين قبل ليلة القتل؟».

- نعم، لقد كانت تضعهما.

قال رايس: «جيد، صفهما لنا إذا».

لكنه لا يستطيع، حقد إليهما تيد بدوره دون أن يقول أي شيء. كان يجب على كاثرين أن تخبره كيف كان هذان القرطان اللعينان يبدوان. يا له من غبي، قال أخيرًا وهو يشعر بوجهه يحمر خزيًا: «لا أستطيع التذكر. لكنني أعلم أنها استعارتهما».

قال رايس وهو ينهض من كرسیه: «فهمت. لن نأخذ المزيد من وقتك».

وبينما كان المحققان يرحلان، قال تيد بقوة بعض الشيء: «كاثرين ليس لديها أي دافع لأذية والديها. إننا ميسورا الحال. وأعلم أن كاثرين ستكرهني لقولي هذا، لكنني أخشى أنه دان من يجب عليكما أن تتعقبا».

رجع رايس مرة أخرى ليوواجهه وقال: «لقد قرر فريد مرتون تغيير وصيته ليعطي أخته أودري نصفها قاطعًا بذلك جزءًا كبيرًا من حصة زوجته».

- أودري فقط تقول هذا، لكن لا أحد يصدقها.

- أنا أصدقها، كان فريد يحتضر، ربما قد قال شيئًا ما لزوجتك. وإذا ما كانت شيلا تعرف بما ينوي فعله، ربما قد أخبرتها، أو واحدًا آخر من أولادها الآخرين. هذا الدافع كافٍ بالنسبة إليّ.

وخرج المحققان من المكتب.

انتظر تيد حتى سمع وقع أقدامهما وهما يخرجان من العيادة، ثم قام من مكتبه وأغلق الباب. أراد لو يصفقه، لكنه منع نفسه. شرع يسير جيئةً وذهابًا في مساحة مكتبه الصغيرة، وهو يفكر في النظرة المتعجرفة التي كانت تعلو وجه المحقق وهو يرحل. إنه لا يصدق أمر القرطين. إن المحققين يتعاملان وكأنهما يعتقدان أن كاثرين من قتلت والديها. الأمر جنوني. لا بد وأنه دان. إنه الوحيد الذي يملك دوافع واضحة. لا بد وأنه هو. لماذا إذاً يفتشون وراء زوجته بتلك الدقة؟

غاص تيد في كرسیه وهو يشعر بالإرهاق فجأةً وتجاهل المرضى المنتظرين. إنه يفكر في تلك الليلة، ليلة أحد عيد الفصح في منزل والدَي كاثرين. قالت شيلا إنها تريد أن تخبرهما شيئًا، لكن قُوطِعَ حديثهم بوصول دان. هل كان الأمر يخص أودري والوصية؟ لكن أخبرته زوجته بعد ذلك أن

إعانة چينا هي ما كانت أمها تريد التحدث إليها بخصوصه، هذا ما أخبرته إياه في الصباح التالي. لكنها قالت إن والديها كانا ميتين حين وصلت إلى هناك. اضطربت معدته، وشعر بالدوار.

والآن تذكر شيئاً آخر يخص تلك الليلة، شيء قد نسيه. حينما كان يجلس على الأريكة مع چاك، بينما دان يقف على أحد جوانب غرفة المعيشة يتحدث مع والده، كانت كاثرين ووالدتها تنزلان من السلم معاً. بالكاد لم يلحظ الأمر لأنه كان يتنصت لحديث دان مع والده. ربما أخبرتها شيلاً بشأن أودري والوصية حين كانتا في الأعلى. ربما كانت كاثرين تعرف. إنه يفكر كيف أرادت كاثرين المنزل بشدة. وكيف أنها تتعلق بسرعة بالأشياء المادية. كالمنازل والأقراط. لقد تركت هاتفها الجوال في المنزل في تلك الليلة. ثم جلس على مكتبه وحاول أن يتمالك نفسه.

48

دلفت روز إلى شركة تيمبل بلاك للمحاماة عبر الباب الزجاجي إلى الاستقبال وهي تستحضر كل الاتزان الذي يمكنها حشده. إنه نوع شركة المحاماة التي كانت تطمح طوال حياتها إلى أن تعمل فيه، الشركة التي تنضح بالأموال، والقوة، والنجاح. ليس كمتجرها اللعين الصغير بعلامة مرحبًا بكم على بابيه. كان يجب أن تعمل في شركة كبيرة ومرموقة مثل هذه، بدلًا من إنشاء مكتب يخصها، لكن الحقيقة هي أنها لم تتلقَ أيَّ عروض للعمل في شركات مثل هذه. ربما لم تكن لتدخل نفسها في المتاعب إذا ما كان هناك من يتابع عملها. دائمًا ما كانوا يحذرون الممارسين العاملين بمفردهم من هذا الأمر. لكن فات الآوان على التفكير في مثل هذه الأشياء الآن.

وبينما كانت تسير خلف موظفة الاستقبال إلى آخر الردهة حيث مكتب والتر تيمبل، نظرت مصادفة من خلال زجاج إحدى قاعات الاجتماعات ولمحت زميلة قديمة لها من كلية الحقوق، «جانت تشوشك». رأتها جانت وأشاحت بوجهها بعيدًا بسرعة.

لم تقابل روز والتر تيمبل من قبل، رحب بها بحفاوة. فكرت روز: لا بد وأنه لم يعلم بعد، ما فعلته بأموال دان. قال: «أنسة كاتر، شكرًا لقدمك».

ابتسمت وقالت وهي تجلس مقابله وتضع ساقًا فوق الأخرى: «لقد أخبرتني الشرطة بأمر الوصية».

هز المحامي رأسه وقال: «إنها أخبار جيدة لك على الرغم من أنني أتصور أنه يمكن أن تكون محزنة أيضًا».

نظرت إليه وقالت: «الأمر حقيقي إذا؟».

- نعم، لقد تضمنتك وصية فريد مرتون كمستفيدة. إنني لا أعلم إذا ما كنتِ تعلمين أنه والدك البيولوجي.

هزت رأسها بالنفي، وقالت: «لا».

جلست ساكنة تمامًا بينما كان يخبرها بما سترثه، وحين انتهى، أخذت نفسًا عميقًا وقالت بعينين خفيضتين: «لم يكن لدي أي فكرة بشأن هذا الأمر. لم أكن أعلم أنه والدي. هذا... لا يمكن تخيله».

وبينما نهضت لترحل، قال لها والتر بنبرة محذرة: «يجب أن تستعدي، فالآخرون لا يعجبهم الأمر».

قادت روز مباشرة إلى منزل والدتها. وتفاجأت أمها لرؤيتها، قالت روز وهي لم تكد تدخل من الباب الأمامي: «يجب علينا التحدث يا أمي».

وجلسا في مقابل بعضهما في غرفة المعيشة الصغيرة، نظرت أمها إليها بترقب وسألت: «ما الأمر؟».

أجابت روز بنبرة اتهامية: «لم يكن والدي أبي الحقيقي، أليس كذلك؟».

شحب وجه والدتها وحتى بدا عليها الخوف بينما أخذت روز تحقق إليها، أخفضت أمها عينيها وقالت: «لا، لم يكن. (ثم ترددت لبرهة وتابعت) كان والدك عقيمًا، لذا وجدت شخصًا آخر».

حين ظلت أمها صامتة، قالت روز: «كنتِ على علاقة غير شرعية».

نظرت إليها والدتها وهي ترجوها وقالت: «أردت بشدة الحصول على طفل يا روز. لقد كانت هذه هي الطريقة الوحيدة».

حذقت روز إلى أمها. إنها لم تعرف قط الرجل الذي كانت تعتقد أنه والدها، فلقد مات حين كانت تبلغ من العمر سنة تقريبًا. لكن يظل أمرًا غريبًا أن تعرف هذا عن والديك، وعن نفسك. قالت روز: «لقد اكتشفت تَوًّا أن فريد مرتون كان والدي».

سألت أمها والصدمة بادية بوضوح عليها: «كيف؟».

- لقد تضمنت وصية فريد مرتون اسمي.

قالت هذا وشاهدت وجه أمها يتغير، بدت عليها الدهشة أولاً، ثم السعادة.

- هل فعل؟ كم ترك لك؟

قالت روز وهي لا تكاد تصدق الأمر حتى الآن: «قراءة الملايين الستة. مثل الأبناء الآخرين».

قالت والدتها معبرة عن دهشتها الكاملة: «مثلهم... يا إلهي! لم أكن أعلم أنك في الوصية البتة».

ثم مالت أمها إلى الأمام وأمسكت بيديها وقالت: «هذا رائع يا روز! لأنك من لحمه ودمه مثل الأبناء الآخرين تمامًا، وتستحقين حصة كحصتهم. (ثم تابعت أمها بحماس) لطالما كان يعلم أنك ابنته، وكان يعطيني الأموال كل شهر لأعطني بك من وقت كنت صغيرة حتى تخرجت في كلية الحقوق. (ثم بدت جدية أكثر) إنني آسفة لأنني لم أخبرك. ربما كان يجب علي أن أخبرك. لكنه لم يرد ذلك، ولم أرد أن أثير المشكلات. اعتقدت في بادئ الأمر أنه ربما سيتوقف عن إرسال الأموال، وكنت بحاجة إليها. ثم، بعد ذلك، أعتقد أنني كنت جبانة لا أكثر».

شعرت روز برفرقة في بطنها. هذا هو نوع الأشياء التي يحلم بها المرء الذي تربى بواسطة أم عزباء وله أصدقاء أثرياء، يبدو الأمر قصة خيالية. لكن كل القصص الخيالية يتخللها الظلام.

قالت والدتها: «ربما لن يتقبلوك فوراً أختاً لهم على الرغم من أن كاثارين صديقتك. لكنني متأكدة من أنهم سيقتربون. أوه يا عزيزتي، سيغير هذا حياتك». لكن روز لا تسمعها بانتباه الآن.

شرعت ليزا تسير في أرجاء المنزل وهي فاقدة الإحساس ومشوشة. لقد مر أسبوع بالتمام على اكتشاف الجثتين. حاولت أن تتعامل بشكل طبيعي، لكن الأمر صعب. حين عاد دان إلى المنزل في وقت سابق من مركز الشرطة، كان غاضباً ومستاءً، ولم يُرد أن يخبرها لماذا. لكنها بالأخير تمكنت من جعله يخبرها. اعترف بأن لدى الشرطة شاهدًا رآه في بريكن هيل ليلة القتل.

كانا يجلسان في غرفة المعيشة بعيداً عن بعضهما، كان هو يجلس على الأريكة بينما هي على الكرسي، وهذا عندما لاحظت أنها أصبحت تبقي مسافة بينها وبين زوجها مؤخراً. متى بالتحديد توقفت عن الجلوس بجواره، ويديها

على كتفه، وهي تنظر إليه مواسية؟ بدلاً من ذلك، كانت تجلس بفتور على الجهة المقابلة وتشاهده وهو يحني رأسه للأسفل محدقاً إلى الأرض. جلست متصلة في كرسيها، وسألت بصوت يتخلله الرعب والمرارة: «هل هذا حقيقي؟».

لقد كان أمر البدلات الواقية مثيراً للقلق، لكنها كانت تعلم سبب وجودها هناك، وأنه يستخدمها من أجل العلية. وكان قد أخبرها أنه كان يقود في الجوار تلك الليلة، محاولاً أن يهدأ، وأنه لم يكن في أي مكان بالقرب من بريكن هيل، وهي صدقته. أقر معترفاً: «نعم، لكن يمكنني التوضيح».

جلست هناك تستعرض الخيارات أمامها، بينما يستجدي طريق عودة مكانته إلى قلبها مرة أخرى.

قال: «إنني لم أذهب إلى منزل والدي مرة أخرى في تلك الليلة. أقسم لك». وأخبرها كيف أن روز كاتر احتالت عليه. وأن الأموال ضاعت. وأن مالك المنزل هو الشاهد الذي رآه. جلست هناك تفكر في كيف أن زوجها أحرق ليخدع بواسطة روز كاتر ليخسر نصف مليون دولار أمريكي بهذه الطريقة. ربما كان والده محقاً بشأنه طوال الوقت. وإن لم يُدَن وورث كل تلك الأموال، سيصيران غنيين. ولن يتحتم بالضرورة أن تظل متزوجة إياه إلى الأبد.

قال دان وهو يتحدث بسرعة: «لقد قدت إلى ذلك المنزل في بريكن هيل ووقفت أمامه فقط، أفكر. لقد كنت غاضباً للغاية من نفسي لأنني استثمرت أموالنا لمدة طويلة، لم أكن أعلم أننا قد نحتاج إليها. وتعتقد الشرطة أنني كنت على علم بما فعلته وأنني لن أحصل على أموالي مرة أخرى، ويجعل هذا الأمر يبدو أنني من قتلت أُمِّي وأبِي. (ثم توقف غاضباً وقال) هذه العاهرة اللعينة، هذا كله خطؤها! لو لم تكن قد دفعت بهذه الصفقة إليّ، ما كنا لنصبح في هذه الفوضى».

كانت ليزا تفهم ما يرمي إليه. لقد كانا يخصصان نصف مليون دولار للاستثمارات، ورُهن المنزل بالكامل لأن عائدات الفوائد كانت منخفضة للغاية. لكن دان سحب تلك الأموال دون أن يعلمها، وقد خُدع. كان يمكن لهذا المال أن يبقيهما في حال ميسور لمدة طويلة حتى يتمكن دان من ترتيب أموره. والآن لقد ضاعت الأموال، وأدركت أنه بسبب ما فعلته روز كاتر، ربما قد ارتكب زوجها جريمة قتل.

أخذت تفكر في الأمر كله مرة أخرى، ودان في المرأب يحاول أن يشنت عقله الآخذ في الاضطراب عما يحدث مؤخراً. وهي في المنزل ترتب بلا هدف وهي تفكر كيف أن كل شيء يؤدي إلى الآخر.

49

وضعت إيرينا قطعها في حجرها وسمعتة يخرخر بينما كان الليل ينسدل في الخارج.

شعرت بالامتنان لاتصال كاثرين بها الليلة الماضية بشأن الوصية، لكن الأمر كان ليصبح أكثر لطفاً لو كانت حملت إليها الأخبار بنفسها. إيرينا تعلم أنها أصبحت على هامش حياتهم الآن. هذا يؤلم قليلاً وبخاصة بعد كل ما فعلته إيرينا من أجلهم. لكنها دفعت مشاعرها المجروحة جانباً.

كانت إيرينا قد عادت تَوّاً من عند كاثرين هذا المساء؛ أرادت أن تعرف ماذا يحدث، وكيف يتصرف الجميع، وكاثرين أكثر شخص سيكون لديه علم، حين أخبرتها كاثرين أن ليزا قد اتصلت لتخبرها أن الشرطة لديها شاهد يثبت أن دان كان في بريكن هيل ليلة القتل، شعرت إيرينا بالقشعريرة تسري في عمودها الفقري، وتذكرت آخر استجواب لها مع الشرطة وكيف اعترفت مُكرهة أن كل واحد من هؤلاء الأولاد قادر على ارتكاب الجريمة، وتذكرت كيف كان فريد يفرح بتحريضهم ضد بعضهم، وكيف أنه كان يجعلهم يبذلون جهداً دون أن يسفر عن أيّ طائل في النهاية، وكيف أن اللعبة يجب أن تنتهي بفائز واحد لا غير، وكيف كان يشعل المنافسات بينهم، ولم تكن أيّ منها منصفة قط.

فكرت إيرينا: إن الأمور تبدو سيئة لدان. وهي ليست متأكدة إذا ما كانت كاثرين تهتم بأمر دان حقًا رغم اعتراضاتها، أو حتى حينًا، فدائمًا ما كان دان يُترك ليلقى إلى التهلكة.

في صباح اليوم التالي من يوم الأربعاء كانت إيلين تعد نفسها لخوض مناقشة صعبة. إن أودري في طريقها لشرب القهوة معها، ولا تعتقد أن أودري ستحب ما ستقوله لها. لن تحب سماع أن ابنة إيلين، روز، هي ابنة أخيها. وأن روز ستحصل من تركة فريد مرتون أكثر مما ستحصل هي عليه. لكنها بلا شك ستسمع بالأخبار عاجلاً أم آجلاً، ومن الأفضل أن تسمعها منها هي.

أخبرت نفسها أنه على الجهة الأخرى يمكن أن تُسر أودري من أن هؤلاء الأولاد المدللين سيتقاسمون ثروتهم مع غريب. إنهم لا يحبون المشاركة. ودائمًا ما كانت أودري تحب روز. ربما ستكون سعيدة في النهاية أنها عمة روز، وأن روز هي ابنة أخيها. فكرت إيلين في أن الأمور ستكون صعبة قليلاً مع الأولاد الشرعيين -ربما ليس مع كاثرين، التي تحب روز، لكن مع الاثنين الآخرين- وتتمنى أن تقف أودري بجانبها.

لكن أودري صارت غريبة للغاية مؤخرًا، أصبحت نسخة متطرفة أكثر من نفسها؛ وإيلين قلقة بعض الشيء.

لم تهتم روز بالذهاب إلى العمل لليوم الثاني على التوالي، اتصلت بمساعدتها كيلى وأخبرتها مرة أخرى أن تتولى زمام الأمور وأن تلغي أي مواعيد، وأخبرتها أنها مريضة بالزكام. إنها تخطبى، لا تريد مقابلة أي شخص وهي تعلم أنه سيُلقي القبض عليها قريبًا بسبب جريمة التحايل. وسينتهي عملها في القانون على أي حال، وسيُغلق مكتبها. تتمنى لو يمكنها أن تتحاشى الدخول إلى السجن. يمكنها بأموال ميراثها، أن تعيد الأموال وتلقي بنفسها أمام رحمة المحكمة. ستحصل على أموال أكثر مما حلمت به، لذا لا حاجة إلى أن تذهب إلى مكتبها اللعين مرة أخرى أبدًا. أخذ عقلها يفكر بتوتر

في المحققين، وفي مقابلتها أمس مع والتر تيمبل. لكنها أخبرت نفسها أن الأمور ستسير على خير ما يرام.

في وقت لاحق من هذا الصباح، أخبر رايس أن أودري ستانسك تقف في مكتب الاستقبال وتريد أن تتحدث مع المحققين، فكر رايس بعد ملاحظة ألوان أكثر في خديها: تبدو أفضل حالاً من آخر مرة قد رأياها فيها في المشفى.

لم تستطع أودري تمالك نفسها قبل أن يجلسا حتى قبالتها وقالت: «هل هناك أي أخبار بخصوص من حاول قتلي؟».

- كان هناك بكل تأكيد مادة مضادة للتجمد في الشاي المثلج، لكن لا يوجد أي دليل على من تسلل إلى منزلك ووضعها هناك.

تنهدت بشكل مبالغ فيه باستياء واضح، وقالت: «كان دان مرتون يجلس في سيارة زوجته يشاهد منزلي الليلة الماضية».

- هل أنت متأكدة من أنه كان هو؟

- نعم. إنه يفعل أشياء من هذا القبيل، كما تعلم، لقد أخبرتك بالأمر. (ثم مالت للأمام وأضافت) لدي معلومات أخرى أرى أنها ستكون مفيدة لكما. أتصور أنكما تعرفان بالفعل أن روز كاتر هي ابنة فريد البيولوجية، وأن اسمها متضمّن في الوصية.

- نعم.

- إن والدتها، إيلين كاتر، هي صديقة مقربة إليّ. أعرفها فيما يزيد على أربعين عاماً. كانت تعمل مع أخي سكرتيرته الخاصة منذ وقت طويل. كان هناك حيث التقينا. كنا نعمل نحن الاثنان مع فريد في شركته في ذلك الوقت. الأمر فقط أن إيلين كانت تعلم بنية فريد لتغيير وصيته من أجل أن يعطيني النصف قبل أن يموت مباشرة لأنني أخبرتها في الليلة نفسها التي أخبرني فيها فريد. وأنا لا أصدق لثانية، مهما تظاهرت إيلين بعكس ذلك، أنها وروز لم تكونا تعرفان أن روز في الوصية. كان فريد ليخبر إيلين، وكانت إيلين لتخبر ابنتها.

- لماذا تعتقدين هذا؟

- لأن فريد كان يحب أن يُعلم الناس بأنه يقدم لهم معروفًا، مثلما كان يحب أن يعلم الناس أنه يعد شيئًا لأذيتهم. كان يحب شعور السيطرة على الأشخاص، أن يكون قادرًا على إعطائهم أشياء وسلبهم أشياء أخرى. لو كنتما تعرفانه، لكنتما فهمتما ما أعنيه.

50

كانت روز كاتر في منزلها تحاول الاستمتاع بتملصها من العمل. إنها بحاجة إلى التفكير. هناك الكثير يجول بفكرها، وأجفلتها طريقة مباغثة وحادة للباب في مكانها، تجمد جسدها كله. ربما يجب أن تتظاهر بأنها ليست في المنزل. لكن الطريقة دوت مرة أخرى، بثبات، وسمعت صراخًا عند الباب، وتعرفت روز على صوت كاثرين.

- أعلم أنك هنا يا روز. لقد ذهبت بالفعل إلى مكتبك وأستطيع أن أرى سيارتك في المدخل.

نهضت روز على مضض وفتحت الباب. يجب عليها مواجهتها في وقت ما. وتنحت جانبًا، ودخلت كاثرين المنزل، حاولت روز أن تقرأ التعبيرات البادية على وجهها. لكن كاثرين، كما هو معتاد، تصعب قراءتها.

سألت كاثرين: «هل يمكننا الجلوس؟».

قالت روز: «بالطبع».

وقادتها إلى حجرة المعيشة حيث توجد أريكتان صغيرتان في مقابلة بعضهما وبينهما طاولة منخفضة. بدأت كاثرين فور أن جلستا الكلام لأن روز لا تستطيع حمل نفسها على الكلام: «أيجب عليّ أن أصدق أنك أختي غير الشقيقة؟».

أجابت روز: «كاثرين، إنني أعلم أن الأمر لا بد وأنه مزعج. لم يكن لدي أي فكرة. لقد اعترفت لي أُمي بالأمر الأمس فقط، بعد ما علمت بشأن الوصية».

أشاحت كاثرين بوجهها بعيداً في ازدياء، وبدأت روز ترى الآن كيف ستسير الأمور. إن كاثرين ليست سعيدة بحصولها على أخت غير شقيقة. لقد تمنّت روز أن تكون كذلك، وكانت تأمل أن تتحول علاقتهما من صداقة إلى أخوية. لكن والتر حذرهما. وبدأت مخاوف روز في التصاعد، وشعرت بأنها على وشك الاختناق، ثم قالت وهي تتحدث سريعاً: «إنني آسفة يا كاثرين. لا بد وأن الأمر مزعج لكم جميعاً. لم أقصد أن أسبب لكم أيّ أذى. إنكِ صديقتي». قالت كاثرين: «صديقتك؟ لقد سرقَت أموال دان! أجل بالطبع، إنني أعلم كل شيء بخصوص هذا الأمر. أيّ صديقة ترتكب شيئاً كهذا؟ (ثم مالت إلى الأمام وقالت) كيف أمكنك فعل هذا؟».

أجابت روز معترضة بياس: «الأمر لا يبدو هكذا يا كاثرين. أنا كنت فقط أستعير تلك الأموال. كنت سأعيدها كلها مرة أخرى. لم يكن يفترض لأيّ شخص أن يعرف هذا أبداً».

- حسناً، جميعنا نعرف الآن، أليس كذلك؟ (نظرت كاثرين بدورها إليها في احتقار) يمكنكِ إذاً أن ترديها إليه.

همست روز وهي تطأطئ رأسها: «لا أستطيع. ليس لدي الأموال لأردها إليه مرة أخرى. ليس بعد».

- ماذا؟

- استثمرتها وخسرت معظمها.

كررت كاثرين بغضب: «كيف أمكنك فعل أمر مثل هذا؟».

- كيف؟ سأخبرك كيف. لم أحظ منذ صغري بما كان لديك، لم أكن ثرية. كان يجب عليّ أن أكّد من أجل الحصول على كل ما معي الآن، وأصبحت جشعة ونفد صبري، لم تكوني لتفهمي.

لكن أحنّت رأسها بعد ذلك وأخفضت صوتها وهي تنظر إلى كاثرين بتمعن وقالت: «أو ربما يمكنكِ. ربما أصبحت جشعة ونفد صبرك وقتلتِ والديك. هل هذا ما حدث يا كاثرين؟ أم هل هو دان؟».

حملت إليها كاثرين بعينين باردتين، ونهضت واقفة سريعاً ونظرت للأسفل إلى روز التي ما زالت جالسة وقالت: «سنسترد منك ما تدينين به لأخي حتى لو اضطررنا إلى أن نقاضيك. وسأجعل من معاقبتك بأقصى مدى يسمح به القانون مهمة شخصية لي. ولن تُقبلي بصفتك جزءاً من هذه العائلة أبداً».

عادت أودري إلى منزلها من مركز الشرطة والأفكار تتدافع داخل عقلها. إنها تصدق ما قالته للمحققين بشأن أن فريد أخبر إيلين عن الوصية، وإيلين أخبرت روز، وروز لديها الجينات المختلة التي تحملها من فريد مثل الآخرين. ربما كان واحد من هؤلاء الأبناء الأربعة هو من قتل فريد وشيلا. إن أودري تشعر بأن إيلين خانتها، التي طالما كانت صديقتها المقربة. لم تكن إيلين قد كشفت لها هذا الأمر من قبل، وأخذت تتساءل إذا ما كانت روز قادرة على ارتكاب جريمة قتل. ربما ستسأل إيلين نفسها السؤال ذاته قريبًا. وإن فعلت، فستكون بمفردها تمامًا في جحيمها الخاص.

إن أودري ممتنة أنها لم يكن لديها قط أي أسباب لتقلق بشأن ابنتها.

نهضت جينا من فراش چاك وبدأت في ارتداء ملابسها. الوقت متأخر بعد الظهيرة، لكنها قد جاءت إلى نيويورك لتراه وكما جرت العادة دائمًا، انتهى بهما الأمر في الفراش قبل أن يتمكنوا من فعل أي شيء آخر. هناك بعض لطخات الطلاء الصغيرة على الفراش، وسيحتاج إلى كسوة فراش جديدة. كانت تصب لنفسها بعض العصير من الثلاجة حين دلف إلى المطبخ الصغير، وهو يلبس بنطاله الجينز، أخذت تنظر إليه لبرهة وهي تتغزل فيه.

ثم قال چاك: «هناك شيء أريد أن أحدث إليك بشأنه».

وارتبكت، فهناك شيء ما في صوته لا يعجبها. ما يمكن أن يكون هذا، القلق؟ أجابت وهي تبتسم إليه لتحاول أن تخفي ارتباكها: «ماذا؟».

- إنني بحاجة إلى بعض الأموال.

- ماذا تقصد؟ (تظاهرت بأنها لا تفهم لتكسب مزيدًا من الوقت).

- لقد ازداد إيجاري وليس لدي الأموال الكافية لسداده.

فكرت: يا إلهي. لم يأخذ هذا وقتًا طويلًا. لقد مضى على وفاة والديها أكثر من أسبوع بقليل وبدأ في طلب الأموال. أخذت وقتها وهي تضع العصير مرة أخرى في الثلاجة، وهي مولية ظهرها إليه، ثم أغلقت باب الثلاجة والتفتت لتتأمل إليه، وهي لا تزال لا تعلم كيف ستتعامل مع الأمر. سألت، لتكسب مزيدًا من الوقت: «هل يمكنهم فعل ذلك؟ يرفعونه هكذا دون أي إشعار؟».

- إنني أحدث عن مكان مرسمي. يمكنهم فعل أي شيء يريدونه.

إنها تعلم أنه محق. لقد رأت مرسومه والأمر غير شرعي ويمكنهم أن يفعلوا ما يحلو لهم.

قال بنبرة حادة بعض الشيء: «لا يمكنني أن أخسر مرسمي».

لم يعجبه أنها تماطل، ولا تمطره بالأموال، أخذت تفكر. لكن هذه رقصة حساسة التي يرقصانها الآن، شيء سينصب إيقاع المستقبل على الأرجح. إنهما لا يعرفان كيف سيسير الأمر معهما باعتبارهما ثنائياً على المدى الطويل، أو إذا ما سيكون هناك حتى مدى طويل. إنه يعلم أن لديها أموالاً أو سيكون لديها في النهاية. أموال طائلة. ولقد تستر عليها أمام الشرطة. فلقد شهد تلك المشادة الكلامية المريعة بينها وبين عائلتها في الليلة التي ماتا فيها، وقد أخبر الشرطة أنه كان معها طوال الليل. إنها مدينة له، لكن على الرغم من ذلك، لم يرق لها طلبه بعض الأموال.

سألت وهي تحاول أن تظهر أنها لا تهتم، وأن هذا أمر يمكن أن يفعله حبيبان جديان، وظنت أن بعض مئات الدولارات ستكون كافية لتساعده.

- إلى كم تحتاج؟

- هل يمكنك أن تتصرفي في خمسة آلاف؟

التفتت إليه في دهشة، وقالت: «كم يبلغ إيجارك؟».

نظر إليها بدوره في عينيها وقال: «إنني فقط أريد أن أحتفظ بالبعض حتى لا أقلق. إنك تعرفين أنني أعد لوحة كبيرة الآن، ولا يمكنني أن أفكر في الانتقال». ها هو هذا. إنها تعرف. إنه يطلب أكثر مما يحتاج إليه. إنه يطلب ما يريده. وما يريده سيأخذ في الازدياد والازدياد.

- ليس معي تلك الكمية من الأموال في حسابي.

- أعلم، لكن يمكنك الحصول عليهم الآن، أليس كذلك؟

لاحظت الآن التي قالها. وقالت: «أعتقد أنني يمكنني أن أحاول طلب بعض الأموال مقدماً من والتر».

هز رأسه وقال: «رائع، يجب علي أن أذهب. لدي الكثير من العمل لأنجزه. ابقني قدر ما تشائين».

واقترب منها وقبلها قبله طويلة رومانسية، تظاهرت بأنها تستمتع بها بقدر ما تفعل في العادة. لكن حين رحل، أخذت تحقق إلى الباب المغلق وراءه لمدة طويلة.

51

فور أن اقترب رايس وبار من بيت إيلين الصغير حسن المظهر رغم تواضعه، تعجب رايس من أي نوع من النساء هي. إنها بالتأكيد تبدو شخصًا قادرًا على أن يحتفظ بالأسرار. فتحت الباب امرأة في بداية عقدها السادس، أظهرها شارتيهما وعرفا نفسيهما، وسأل رايس: «هل لنا بالدخول؟».

سمحت لهما بالدخول وجلسوا جميعهم في غرفة المعيشة، قال رايس: «إننا نحقق في جريمتي قتل فريد وشيلا مرتون. إننا نعلم أن ابنتك روز هي الابنة البيولوجية لفريد مرتون».

أجابت باقتضاب بعض الشيء: «نعم، هي كذلك».

- إننا لسنا هنا لنشكك في هذا. إننا نعرف بالفعل أن لها من ميراث فريد حصة مساوية لأبناء فريد مرتون الآخرين.

- نعم، لقد كان صادمًا بعض الشيء معرفة ذلك. لقد علمت بالأمر أمس. روز أخبرتني.

- لم يكن لديك أي فكرة أن ابنتك روز في الوصية؟

- لا، بالطبع.

- أين كنت في ليلة الحادي والعشرين من شهر إبريل، ليلة أحد عيد الفصح؟

بدت أنها مدهوشة، وقالت: «ماذا؟ لماذا؟».

لم يجبها رايس وأخذ ينتظر فقط.

- كنت في المنزل. لقد جاءت أختي وابنتي أيضًا من أجل عشاء عيد الفصح، وذهبت روز، لكن أختي بقيت وقضت الليلة معي ثم رحلت في الصباح إلى منزلها. إنها تعيش في «ألباني». لماذا تسألني عن هذا الأمر؟ وجه رايس نظره لها بثبات، وضحكت ضحكة قصيرة ناتجة عن الحيرة. وقالت: «إنكما تتساءلان إذا ما كنت قد قتلتهما؟ هذا سخيف». وأخذت تنقل ناظريها الآن بقلق بين رايس وبار وكأنها ليست متأكدة من موقفها.

شرح رايس: «لقد قرر فريد مرتون تغيير وصيته وأن يمنع عن أولاده نصف ثروته».

- كيف يمكنني أن أعرف ذلك؟

- لأن صديقتك أودري ستانسك أخبرتك.

لاحظ رايس تفاجؤها وأخذ يشاهدها وهي تخسر بعض تمالكها لنفسها، وقالت وهي تحاول ألا تربط الأمر بها: «ربما فعلت، لا أتذكر. لكن لم يكن لدي أدنى فكرة أن روز كانت في الوصية. ليس لي أيُّ علاقة بهذا الأمر».

وترك رايس الصمت يخيم على المكان، وأخذ ينتظر ليرى إذا ما ستملؤه أم لا. وهو ما فعلته وقالت: «لقد قضت أختي معي الليلة كما قلت. لم تذهب إلى منزلها إلا في الصباح التالي. يمكنك أن تسألها».

- ماذا عن روز؟ متى رحلت؟

- قرابة الساعة الثامنة.

ثم استنتجت ما يرميان إليه وقالت بنبرة رفض: «روز لم تكن تعرف حتى أن فريد هو والدها إلا بعد أن مات بالفعل. (لم يقل رايس شيئاً، وتابعت إيلين) إن ابنتي ليس لها أيُّ علاقة بهذا الأمر. ربما يجب أن تبحث وراء الأولاد الآخرين الذين كانوا يعرفون بالفعل أنهم سيرثون».

لم يخبرها رايس بأن ابنتها على وشك أن تُحبس بسبب الاحتيال. سيترك هذا الأمر لروز. لكنه لم يقاوم أن يقول لها وهما يرحلان: «ربما لا تعرفين ابنتك جيداً كما تعتقدين».

شاهدت إيلين المحققين وهما يرحلان، وفكرت أن أودري هي من وراء ذلك، لا بد وأنها هي. لا بد وأن أودري أخبرتهما أنها أخبرت إيلين بشأن تغيير الوصية المتوقع، والآن انقلبت أودري عليها، ووجهت الشرطة إليها وإلى روز لأنها غاضبة من حصة روز في الميراث. هذا الجنون بعينه. فأودري من أقدم أصدقائها. وأخذت تفكر بمرارة أنه لا يمكن للمرء أن يأمن بالكامل لأي شخص، أليس كذلك؟

حاولت الاتصال بروز، لكنها لم تجب على هاتفها.

نظر والتر تيمبل إلى الأعلى من مكتبه وشاهد جانت تشوشك وهي تهول سريعا في الرواق أمام مكتبه مطأطئة الرأس، أخذ يحدق إليها، وأدرك فجأة أنها كانت تتحاشاه الأيام القليلة الماضية، وأدرك فقط السبب وراء مشاعر عدم الارتياح التي كانت تحوم حوله مؤخرا. لقد كان مشغول البال منذ أن قابل روز كاتر، ثم التفت إلى حاسوبه وبحث أين ارتادت روز كاتر كلية الحقوق ومتى، وفعل الشيء نفسه مع جانت تشوشك، المحامية المبتدئة، ثم عاد بظهره قلقا إلى الخلف في كرسيه الجلدي الكبير وهو يخشى ما يجب عليه فعله، وأغلق عينيه لمدة طويلة وهو يشاور نفسه إذا ما يجب ألا يفعل أي شيء حيال الأمر، ثم فتح عينيه وأخرج بطاقة من الدرج العلوي في مكتبه، واتصل بالمحقق رايس.

وجهت موظفة الاستقبال في تيمبل بلاك رايس وبار إلى مكتب والتر فور أن وصلا، وحين دخلا إلى مكتبه بدا والتر لرايس مثقل الكاهل، وسأله رايس بينما يهيم بالجلوس هو وبار مقابله: «ما الأمر؟».

تنهد والتر بإعياء، وقال: «منذ شهرين أو ثلاثة، طلبت من محامية مبتدئة عندي تُدعى جانت تشوشك أن تراجع الوصية الخاصة بفريد وشيلا مرتون، كان قد مضى خمس سنوات منذ آخر مرة تفقدا فيها وصيتيهما وعادة ما تراجع في ذلك الوقت».

- واصل!

- البارحة، جاءت روز كاتر إلى هنا لتتحدث بشأن الوصية. وشيء ما لم يبدأ على ما يرام.
- مثل ماذا؟

هز والتر رأسه في حيرة وقال: «لا أعلم. كان هناك شيء مريب. أنا لم أصدقها. لم أصدق أنها لم تكن تعلم بشأن أي من هذا. (عض على شفته مستغرقًا في التفكير) لقد كان الأمر يشغل تفكيري منذ حينها، ثم أجريت بعض البحث واكتشفت أن جانت وروز ارتادت كلية الحقوق نفسها في الوقت نفسه».

- وفكرت في أنهما من الممكن تعرفان بعضهما وأنها ربما أخبرت روز بما في الوصية؟

هز المحامي رأسه موافقًا ببيّوس وقال: «فكرت في أنه سيكون من الأفضل لو أنكما سألتماها».

قال رايس بحماس: «دعنا نتحدث إليها».

قال والتر: «سأحضرها لكما».

وترك مكتبه. بعد عدة دقائق، عاد إلى مكتبه ومعه شابة ترتدي بدلة رصاصية وشعرها الأشقر معقود للخلف، أخرج كرسيًا لها وبينما كانت تجلس بتوتر، قدم والتر المحققين، حين أدركت جانت تشوشك أنهما محققان، بدا عليها الخوف واضحًا، وحين أخبرها رايس أنهما يحققان في جريمتي قتل الزوجين مرتون، أخذت ترتعش.

قال رايس: «إنك على حد علمنا على دراية بما تحتوي عليه وصيتًا فريد وشيلا مرتون».

احمر وجه المحامية الشابة. وسكتت، ثم أقرت ووجهها لا تزال تملؤه الحمرة: «لقد راجعتهما».

- ألا تعرفين امرأة تدعى روز كاتر؟

ازدردت وأخذت عيناها ترمشان بسرعة، وقالت: «لقد ارتدنا كلية الحقوق نفسها».

- فهمت.

ونظرت المحامية الشابة خلسة إلى مديرها وبدأت وكأنها على وشك البكاء، ثم تابع رايس قائلاً: «وأخبرتها أنها في وصية فريد مرتون».

وبدأت بالفعل في البكاء، ناولها والتر منديلاً من العلبة على المكتب، وانتظرا حتى تجف دموعها، واستطاعت أن تقول أخيراً: «أعلم أنه انتهاك للسرية. ما كان يجب عليّ أن أقول أيّ شيء قط. (كان وجهها مثلاً للبؤس) لكن روز محامية أيضاً، ولم تكن لتقول أيّ شيء هي الأخرى. لم أكن أعرف أن الأمر يمكن أن يتسبب بالأذى لأيّ شخص، (ثم نظرت إليهما مكروبة) كيف يمكنني أن أعلم أنهما سيُقتلان؟».

- ومتى أخبرت روز بشأن هذا المكسب المالي الاستثنائي؟

- ربما منذ شهرين؟ كان الأمر مفاجئاً للغاية حين رأيت اسمها هناك في الوصية. لم أخبرها حين اكتشفت ذلك أول الأمر، لم أقصد أن أخبرها قط. لكننا كنا نتسكع معاً في إحدى الليالي واحتسيت الكثير من الخمر.

نظر رايس نظرة خاطفة إلى والتر وكان يظهر على وجهه الغضب الشديد، ثم سأل رايس: «بعد جريمتي القتل، هل طلبت منك روز ألا تخبري أيّ شخص بشأن هذا الأمر؟».

أجابت جانت ببؤس: «لا، ما كانت لتضطر إلى هذا. كلانا كان يعلم أنه إذا عرف أحد بالأمر، سيفسد هذا عملي. (ثم نظرت إليهما وقالت) بالتأكيد لا تظنان أنها من فعلت هذا، أليس كذلك؟».

52

كانت روز تقف أمام عتبة منزل والدتها، اتصلت بها أمها عدة مرات، لكنها لم تجب. إنها لا تريد حقاً أن تتحدث إليها، لكنها تعرف أنها يجب عليها ذلك، رنت جرس الباب.

فتحت أمها الباب ويبدو عليها الاستياء الواضح وقالت: «إنني سعيدة أنك هنا. لقد كنت أحاول الوصول إليك».

كذبت روز قائلة: «أعلم، لقد كنت مشغولة».

- لقد كانت الشرطة هنا.

- ماذا؟

- من أجل جريمتي قتل فريد وشيلا مرتون.

سألت روز وقد اختل توازنها بينما كانت تتبع أمها إلى غرفة المعيشة: «ما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟».

وحين دلفت إلى حجرة المعيشة، وجدت أن أمها قد صبت كأساً من الخمر لنفسها لتتمالك نفسها، وبينما أخذت أمها تشرح ما حدث، شعرت روز بقلقلها وهو يتصاعد.

- فقط لأنني كنت أعلم أن فريد كان ينوي تغيير وصيته من أجل أن يعطي أودري نصفها، كان لديهما الوقاحة ليقترحا أنني فعلت الأمر لأحمي مصالحك. لم أكن أعرف حتى أنك في الوصية! وسألاني إذا ما كان لدي حجة غياب.

قالت روز معترضة بينما هم بالجلوس بجانبها: «لا يمكن أن يكونا جادين».

- لحسن الحظ، بربرا كانت هنا طوال الليل. (التفتت إليها والدتها وقالت لها) وكانا يسألان عنك أنتِ الأخرى. لكنني أخبرتهما أنك لم تكوني تعلمين حتى أن فريد والدك إلا بعد وفاته، وأنتِ لم تعرفي أيَّ شيء بخصوص الوصية أيضًا.

تذكرت روز وهي تشعر بالغثيان كيف استجوبها المحققان بشأن جريمة القتل، فقالت وهي تشعر بالدوار قليلاً: «لقد أخذت إلى النوم بعد أن قضيت عشاء عيد الفصح معك. ليس لدي أيُّ حجة غياب».

حاولت أمها طمأننتها قائلة: «حسنًا، ما كنت لأقلق. مستحيل أن يشتبها بك. إنكِ لم تكوني تعرفين أيَّ شيء. هل تحدثت بعد إلى كاثرين؟». لكن روز لم تكن تستمع. كانت تشعر بالغثيان في معدتها. قالت أمها بحدة: «روز؟».

نظرت إلى أمها وقالت: «هناك شيء يجب عليَّ أن أخبرك به».

اقترب شرطي من رايس وبار في مركز الشرطة ليريهما شيئًا، كان يبدو عليه الحماس، وتبع هو وبار الشرطي إلى شاشة الكمبيوتر وأخذوا ينظرون إليها جميعًا.

ثم قال رايس: «هذا رائع! (وضرب الشرطي على كتفه قائلاً) أحسنت عملاً».

فور أن رحلت ابنتها، أخذت إيلين في السير جيئةً وذهابًا في حجرة المعيشة مذعورة بشأن روز والشيء البشع الذي فعلته، حين أخبرتها روز عن الفوضى التي أدخلت نفسها فيها بأموالٍ دان، لم تستطع ببساطة أن تصدقها. لقد أبكمت الصدمة لسانها عن الكلام، لم تستطع حرفيًا أن تتحدث لمدة طويلة.

لم تكن إيلين داعمة بقدر ما كان ينبغي لها أن تكون. لكن، كيف أمكن لروز أن تكون أنانية بهذا القدر؟ بهذا الطيش؟ بهذا الغباء؟ الأمر برمته لا ينبئ عن حقيقتها. هذه لم تكن روز التي تعرفها. لقد استطاعت أن تفهم أخيرًا لماذا كانت ابنتها قلقة للغاية مؤخرًا، ولماذا خسرت الكثير من الوزن. إنها غاضبة للغاية منها. وأخبرتها بالفعل كيف قد خاب أملها فيها.

دائمًا ما كانت إيلين فخورة بروز، وبأنها والدتها. لكن الجميع سيعرف بهذا الأمر، ستذهب روز على الأرجح إلى السجن -ليس لمدة طويلة- لكن فكرة زيارة ابنتها في السجن تُشعر إيلين بالإهانة تمامًا. سيعلم الجميع بفعلتها، ولن تستطيع العمل بالمحكمة مرة أخرى، بعد ما بذلته من جهد مضن، وستشعر إيلين بالخجل منها إلى الأبد، ولن تستطيع قول إن ابنتها محامية. إن ابنتها مجرمة، ولن تتمكن من قول أي شيء آخر أبدًا.

والآن، وبينما تبكي إيلين، والدموع تنهمر على خديها، يتمنى جزء صغير منها لو أنها لم تتصرف بتلك القسوة مع روز، يتمنى لو أنها عانقت ابنتها قبل أن ترحل كما تفعل دائمًا. لكنها لم تفعل. سيكون من الصعب المسامحة في هذا الأمر. إنها تحتاج إلى بعض الوقت.

واصلت السير جيئةً وذهابًا ثم توقفت وذهبت إلى المطبخ لتعيد ملء كأس الخمر خاصتها. على الأقل ستحصل روز على ميراثها، ويمكنها أن تبدأ من جديد فور أن تخرج من السجن. ستضطران على الأرجح إلى الانتقال بعيدًا فكيف ستمكن أي منهما أن ترفع رأسها بعد هذا؟ كان الأمر ليصبح رائعًا لو أن روز لم تخالف القانون وورثت كل تلك الأموال. كان يمكنها أن تحصل على أي شيء أرادته. وكان يمكن لإيلين أن تكون فخورة بها للغاية.

إنها تعلم أيضًا أنهما استجوبا روز بالفعل بشأن جريمتي القتل، لقد اعترفت روز لها بالأمر. ستُنَّهَم بالاحتياط. لكن لا يمكن أن يفكر هذان المحققان بجدية أن روز لها أي علاقة بجرائم القتل. ولن يهم أنها لا تملك حجة غياب لأن روز لم تكن تعرف أنها في الوصية. لم تكن إيلين قد فكرت قط في أن روز يمكنها سرقة أموال شخص آخر، وتذكرت الكلمات المريعة التي تفوه بها المحقق بينما كان يهم بالخروج من منزلها «ربما لا تعلمين ابنتك جيدًا كما تعتقدين».

لم تستطع إيلين أن تتوقف عن التفكير عما قرأته على الإنترنت بشأن السيكوباتية، وكيف يمكن أن تمتد للأجيال، وأخذت تفكر في أبناء الزوجين

مرتون. إن روز أصبحت جزءًا من تلك العائلة الآن. ماذا لو أن واحدًا منهم هو القاتل فعلًا؟ إنها تعلم أن أودري كانت تفكر في هذا الأمر دائمًا. ربما لن تتحدث أودري إليها ثانية، وهذا يؤلمها. قد تمنيت لو أمكن لهذه الصداقة الطويلة أن تصمد أمام كشف نسب روز.

ثم جال بخاطرهما أن لو أحد أبناء فريد الآخرين كان قاتلًا بالفعل، سيصادر هذا حصته من الميراث، وسيكون هناك المزيد لروز.

فكرت روز: لقد كان هذا حتميًا. وهي تجلس من جديد على الكرسي الصلب في غرفة الاستجواب ذاتها، بينما محاميتها تجلس بجانبها، قلقة. وبينما يحل الليل في الخارج، أخذ المحققان يستجوبانها بتعسف. كانت قد تمنيت ألا تقول جانت أي شيء، وألا يكتشف أي شخص العلاقة بينهما. لكن ها هي ذي الآن، ولقد تحدث المحققان بالفعل إلى جانت.

كرر رايس قائلاً: «لقد كنتِ تعلمين أنك في الوصية. لقد أخبرتك جانت تشوشك بذلك. لقد كذبت علينا».

أقرت روز مُنهكة أخيرًا: «نعم، لقد كنت أعرف. لكنني لم أقتلها».

قال رايس موضِّحًا: «ليست لديك أي حجة غياب. وتريدين أموالًا لتدفعيها لدان مرة أخرى حتى لا يُلْقَى القبض عليك بسبب الاحتيال. هل هذا ما كنتِ تفكرين فيه؟ أنه لو كان فريد وشيلا ميتين، ولو حصل الجميع على ميراثه، ستتمكنين من رد الأموال إليه دون أن ينتبه أحد، أو السيناريو الأكثر ترجيحًا أنه في حالة لم يأت المال من تسوية الشركة في الوقت المناسب، واكتشفوا ما فعلت بأموال دان، هل كنتِ تظنين أنهم لن يبلغوا الشرطة عنك، وسينتظرونك حتى تسددي الأموال له، ويسامحونك فقط لأنك أصبحت فردًا من العائلة؟».

كررت روز بعند: «لم أقتلها».

لكن الخوف أخذ يتسلل إليها حتى استقر في أحشائها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

53

أخذت كاثرين تهئ المشهد باهتمام هذا المساء. وعلى الرغم من كل الأحداث التي تحدث في الوقت الحالي، إنها تريد للحظة التي أخذت هي وتيد ينتظرانها أن تكون مثالية، ابتاعت بعض الأزهار ووضعتها على الطاولة، وطلبت وجبة فاخرة من مطعمهما الفرنسي المفضل، والتي تبقئها في الفرن لتظل دافئة. حين عاد تيد إلى المنزل من العمل، أخذت كاثرين معطفه وأخبرته أن لديها مفاجأة له، التفت ونظر إليها وابتسمت، وقالت: «ليست مفاجأة سيئة».

- أوه، جيد. لأننا حصلنا على عديد من هذه مؤخرًا.

- أخرج كل هذا من عقلك، وتعال معي.

تبعها تيد إلى غرفة المعيشة، حيث أعدت طاولة رائعة، سألته: «هل تشم هذا؟ لقد طلبت الطعام من مطعمنا الفرنسي المفضل».

- ما المناسبة؟

- سأخبرك، لكن أولاً، اجلس.

أحضرت الطعام إلى المائدة، وجلسا في مقابل بعضهما، وأشعلت الشموع، وضعت زجاجة من النبيذ الأحمر على الطاولة، وفتحتها تيد بتلقائية، واقترب منها ليصب كأسًا لها، لكنها وضعت أصابعها أعلى كأسها وابتسمت له، نظر إليها بسرعة في حيرة، فقالت: «ليس لي».

لم يبدو أنه فهم ما ترمي إليه، فقالت: «ليس جيدًا للطفل».

- هل أنتِ حامل؟

قال هذا ونهض مسرعاً إلى جانبها من الطاولة، ووقفت وعانقها، ولم تستطع رؤية وجهه. فكرت كاثرين: هذه لحظة مثالية.

في وقت لاحق من هذا المساء، تسلل تيد خارجاً من المنزل، أخبر كاثرين أنه ذاهب لشراء بعض الأشياء. تبدو سعيدة، وظلت تثرثر كيف أنها ستستبدل بالخمير ماء التونيك والليمون حتى لا يشك أي شخص في أنها حامل. على الأقل لبعض الوقت. حتى يتخطيا أول ثلاثة شهور. وحثها تيد على الاسترخاء، وأن تأخذ حماماً، وتدلل نفسها بينما هو في الخارج، وأخبرها كم هو سعيد بخبر الحمل وأنه سيعود إلى المنزل في أقرب وقت ليعتني بها.

ثم غادر المنزل، وأغلق الباب وراءه.

إنه يريد أن يحظى بطفل، بالطبع يريد. إنه فقط ليس متأكداً إذا ما كان هذا الطفل منها. تخيلهما معاً يرعيان طفلاً في منزل ارتكب فيه جريمة قتل، ومن المفترض ألا يحرك ساكناً.

قاد إلى المكان المتفق عليه. سيقابل زوجة أخي زوجته، ليزا. إن لديه حاجة ملحة في أن يتحدث مع أحدهم، ولا يوجد أي شخص آخر سيستطيع أن يتحدث معه بشأن هذا الأمر، ويأمل ألا يكون قد ارتكب خطأ بالوثوق بليزا. لكن إن لم يقل أي شيء، سينفجر. تحدث هو وكاثرين بشأن قلقهما من أن دان ربما يكون القاتل المحتمل واتفقا على أن يفعل ما بوسعهما لحمايته. لكن ربما دان ليس القاتل.

بعدما زاره المحققان في مكتبه أمس، أخبر تيد كاثرين بما قالاه. وكيف أنها كانت حمقاء لأنها لم تخبره كيف يبدو هذان القرطان، ظلت ساكنة من الصدمة وقالت: اللعنة. ووصفتها له حينها، لكن الحقيقة هي أنه لا يتذكر أنه رآها تضعهما أبداً. لكن على الجانب الآخر، إنه لا يلاحظ أبداً ما تضعه من مجوهرات. لا فكرة لديه عما تفكر فيه كاثرين بالفعل. هل تعلم أنه يشك بها؟

وقف تيد وهو يميل على سيارته في أحد مواقف السيارات الخاصة بمتجر الأدوات المنزلية بينما الغسق يغشى وأخذ يتكهن بما يحدث في بيت دان. إنه يأمل أن يعرف هذا، ثم رأى ليزا وهي تصف سيارتها الصغيرة وتتوقف، صفت

سيارتها وترجلت منها واقتربت منه والقلق يبدو عليها، ثم وبشكل غير متوقع ارتمت بين ذراعيه لتضمه، ثم تذكر تيد كيف أنها دائماً ما تضم كاثرين. إنها تضم الجميع. إنها امرأة تحيا على الراحة: إعطائها وأخذها أيضاً، ثم ابتعدت عنه وقالت: «أسفة، أنا في حالة يرثى لها».

- لا بأس، وأنا أيضاً.

- أين كاثرين؟ لماذا نتقابل هنا؟

- أردت التحدث، أنا وأنتِ فقط.

هل يتخيل الأمر أم هل أنها امتعضت فعلاً؟ إنها قريبة لكاثرين أكثر منه، قالت ليزا: «لماذا؟».

سارع يطمئنهما: «إنني فقط أجد الأمر صعباً، وتصورت أنه ربما أنتِ الأخرى كذلك. وفكرت في أنه يمكننا مد بعضنا بعضاً بالمساندة المعنوية».

مالت ليزا على سيارته بجانبه، وقالت: «إنني أعرف أن كاثرين تحاول حماية دان. (ثم أخذ صوتها يرتعش) لكنني أظن أنه يمكن أن يحدث...».

ثم توقفت عن الكلام وحدقت أمامها مباشرة عبر موقف السيارات وكأنها ترى الجريمتين في مخيلتها، ثم قالت بالأخير في صوت كئيب: «إنني أعرف أن كاثرين تحاول حمايته، لكنني لست متأكدة إذا ما كنت أقدر على ذلك».

قال تيد وهو يلتفت إليها: «ماذا تقصدين؟».

(هل تعرف شيئاً؟ هل تعرف شيئاً لا يعرفونه؟).

وازدردت ثم قالت: «لو كان هو من فعلها... هل يمكنك أن تعيش معه؟».

أشاح تيد بعيداً. لا شيء مؤكد إذًا، لا شيء يمكنها قوله سيساعده. إنه يعيش مع الرعب ذاته. لقد تقابل مع ليزا لأنه كان يتمنى أن تخبره بشيء يؤكد تورط دان، أنه اعترف لها مثلاً أو شيئاً من هذا القبيل. حتى تتوقف حينها شكوك تيد. لكنها لا تعرف أكثر مما يعرف. إن كليهما لا يعلم شيئاً، ظلاً صامتين لبرهة، ثم قالت ليزا وهي تفكر: «أحاول أن أقول لنفسني إنه لا يمكن أن يكون فعلها، هذا ليس دان الذي أعرفه، لكن ماذا إن كان هناك دان لا أعرفه؟ لديهم شاهد رآه في بريكن هيل في تلك الليلة، وكذب عليّ بخصوص هذا الأمر. لكن أقول لنفسني دائماً إنه لم يرتكب الأمر لأن جزءاً مني لا يصدق الأمر، ولا يريد أن يصدق الأمر».

نظر تيد إليها وشعر برغبة ملحة في أن يزيح العبء عنه هو الآخر، ثم ازدرد وقال: «أفهم ما تقصدينه».

هزت رأسها وقالت: «لا أعتقد أنك تفعل».

أجابها تيد بصوت خفيض ومُجهد: «اسمعي، لا أعلم هل فعلها دان أم لا. لكن إن لم يكن هو من فعلها، فعلى الأرجح كاثرين هي من فعلتها».

نظرت إليه في صدمة واضحة وقالت: «لماذا تعتقد هذا؟».

- لقد كانت هناك يا ليز.

- لكن بعدما قُتلا.

- هذا ما تقوله هي، لكنها عادت إلى المنزل في تلك الليلة وتظاهرت بأن كل شيء على ما يرام، واختلقت أنها خاضت محادثة كاملة مع والدتها التي كانت ميتة بالفعل، ولم تقل أي شيء ليومين. من يقدر على فعل هذا؟

- لقد كانت تظن أنها تحمي دان.

هز رأسه، ثم تردد، إنه على حافة الخيانة. وأخذ يتساءل هل يثق بليزا أم لا؟ ثم زفر وقال: «هذا ما اعتقدناه جميعًا. لكن الشرطة جاءت إلى مكتبي، لقد عثروا على قرطين من أقراط شيلا في صندوق مجوهرات كاثرين حين فتشوا المنزل. إنهم يقولون إنهما من الأشياء التي اختفت من المنزل في تلك الليلة».

- ماذا؟ لم أسمع قط عن أي شيء يخص هذا الأمر.

- قالت كاثرين إنها استعارتهما منذ عدة أسابيع، لكنني لا أذكر أنني رأيتهما من قبل.

- ربما استعارتهما بالفعل.

- ربما، لقد أقسمت لي إنها فعلت. يبدو المحقق مقتنعًا أن فريد كان على وشك تغيير وصيته ليعطي أودري نصفها وأن أحدهم كان يعلم بالأمر.

- هذا هراء، أليس كذلك؟

هز تيد كتفيه وقال: «لا يبدو أنهم يظنون ذلك لأن فريد كان يحتضر، ويبدو أنهم يعتقدون أنه كان يسوي أموره قبل الرحيل. (هزت ليزا رأسها تفكر) إنني أعرف أن هناك شيئًا أرادت شيلا إخبار كاثرين به في تلك الليلة. ربما كان هذا ما أرادت قوله. (ثم تردد، لكنه لا يستطيع منع نفسه، إنه بحاجة

إلى إخبار أحد) وكاثرين كانت مع والدتها بمفردها في الطابق العلوي قبل العشاء. ربما أخبرتها حينها بشأن الوصية».

حدقت ليزا إليه وعيناها على اتساعهما، ثم سادت لحظة صمت أخرى حتى سألها تيد: «هل أخبرك دان بأي شيء عن كاثرين؟».

- أخبرني فقط بأنها كانت تعلم بأمر البدلات الواقية وأنها تعرف أنه لا يغلق باب مرأبه أبدًا. (ثم قلبت عينيها وقالت) إنه يدعي أنها تحاول الإيقاع به، لكنني لم أصدق الأمر قط... (ثم توقفت).

قال تيد: «لا أعرف ماذا أصدق».

ثم قالت ليزا ببطء في صدمة واضحة: «من الممكن أن يكون أيُّ منهما فعلها، ما الذي سنفعله؟».

- لا أعرف. لكن لا تخبري دان بأمر القرطين. حسنًا؟

54

في صباح اليوم التالي، يوم الخميس، استجوب المحققان چاك برنر مرة أخرى. لقد ركب القطار من نيويورك إلى أيلسفورد، ويبدو عليه القلق أكثر هذه المرة.

قال رايس: «چاك، إننا نمنحك فرصة أخرى لتكون صادقًا بشأن هذا الأمر معنا».

- ما الذي تقصده؟

- إننا نعلم أنك لم تقض ليلة أحد الفصح مع چينا في منزلها هنا في أيلسفورد. لقد كذبت علينا.

أخذت عينا چاك ترمشان سريعًا، وسأله رايس: «لقد رُصدتَ على كاميرا المراقبة الخاصة بمحطة قطار أيلسفورد. لقد ركبت قطار الثامنة وأربعين دقيقة عائدًا إلى نيويورك».

أخذت عينا چاك تترددان بين رايس وبار ثم أقر معترفًا أخيرًا: «حسنًا، نعم، لقد رجعت إلى نيويورك مرة أخرى في تلك الليلة».

- ولم يكن لديك أيُّ مشكلة في التستر عليها؟

ازدرد چاك، ثم قال: «لا، فلقد جاءت إلى نيويورك في صباح اليوم التالي، يوم الاثنين، وقضينا الليلة معًا. كل شيء كان على ما يرام. وفي صباح يوم الثلاثاء، ذهبت إلى العمل، واتصلت بي بعد ذلك وأخبرتني أن والديها سُرقا وقُتلا، وطلبت مني أن أقول إنني قضيت ليلة عيد الفصح كلها معها. قالت إن الأمر سيكون أسهل بالنسبة إليها، ووافقت لأنني ظننت أن لا علاقة لها بهذا الأمر».

ألقي رايس ببعض صور مسرح الجريمة على الطاولة أمام چاك. نظر چاك إلى الأسفل، وبهت وجهه. وبدا وكأنه سيصاب بالغثيان، ثم قال: «إنك بكل تأكيد لا تظن أنها قد فعلت هذا».

لم يجب رايس على هذا، لكنه قال بدلاً من ذلك: «عرقلة سير العدالة يعد تهمة خطيرة».

- لم أكن أتخيل قط، أقصد لقد كانت تتصرف بطبيعية للغاية يوم الاثنين. لم أتصور قط أنها يمكن أن تقتلها. أقصد، لمَ قد تفعل هذا؟ إنني أعلم أنهم تشاجروا تلك الليلة، لكن اللعنة...

- ما الذي تشاجروا بشأنه؟

لقد كان أكثر من مستعد لأن يخبرهما بكل شيء الآن، وقال: «لقد كان الأب بغيضاً مع الجميع على العشاء. لقد أهان الجميع، ورحل الجميع غاضبين حتى العاملة المستأجرة. لقد كنا على وشك الرحيل نحن أيضاً، لكن حيناً تشاجرت مع والدها، (ثم توقف وكأنه لا يود أن يقول ما سيقوله تالياً. لكنه تابع قائلاً) لقد بدأ والدها في التذمر بشأن كيف أنهم جميعهم عديمو الجدوى، وقال إنه قد قرر تغيير وصيته ليرك لأخته نصف أملاكه، وإنه قد حدد ميعاداً مع المحامي ليفعل ذلك بالفعل، كانت حيناً غاضبة، وأردت أن نذهب، لكنها لم ترد الذهاب. لقد كان الأمر مريعاً».

- هل استخدمنا العنف؟

- لا، لكن تبادل كلاهما الصراخ. وأخبرتني بعد ذلك أنها الوحيدة التي تقف في وجه أبيهم، وأن الآخرين يخافونه للغاية.

فكر رايس: حسناً، حسناً، حين أنها استجوابهما لچاك. إن حيناً مرتون، على الأقل، كانت تعرف بالتأكيد أن والدها كان ينوي تغيير وصيته. ولم يكن چاك معها في تلك الليلة. أخذ ينقر بقلمه على مكتبه وهو مستغرق في التفكير. إن كل شخص من هؤلاء الأولاد الأربعة على وشك أن يحصل على الملايين، وجميعهم متساوون في الطول تقريباً، ويستخدمون أيديهم اليمنى، وقادرون جسمانياً على ارتكاب جريمتي القتل. من الممكن أن هؤلاء الأولاد قد خططوا لهذا الأمر معاً وأن هذا كله جزء من خطة أكبر. ربما يتلاعبون به. لا دليل لديه على أن هذه مؤامرة، لكن أيُّ مؤامرة يسهل ارتكابها دون ترك أي خيط. إنهم يبتثون ما يكفي من الالتباس بينهم ليخلقوا شكوكاً يمكن

أخذها في عين الاعتبار، فمثلاً: كل واحد فيهم يتصرف كما لو أنه من فعلها، ويطلبون من الناس التستر عليهم، والقرطان في صندوق مجوهرات كثرين، ورؤية دان في بريكن هيل ليلة القتل، وچينا تكذب بخصوص ما حدث في تلك الليلة بعدما رحل الجميع وأن چاك كان معها، حتى تصرف إيرينا مع السكين، وروز. ربما دبروا هذا الأمر جميعاً معاً بشكل ما.

هل كان يُتلاعب به بواسطة جميعاً؟ ثم تذكر كيف أخبرته إيرينا أنه لا يمكن أن يعملوا في أمر معاً. ألا يستطيع حل هذه الجريمة؟ فرك رايس عينيه بإرهاق. لكنه رفض أن يعترف بهذه الاحتمالية. إن الحقيقة هناك. عليه فقط أن يعرف ما الذي حدث هناك بالتفصيل، ومن ثم عليه أن يتمكن من إثبات الأمر. يجب عليهما أن يتحدثا إلى چينا مرة أخرى.

رن هاتف چينا، ورأت أن چاك هو من يتصل. ربما شعر أنها لم تكن سعيدة بشأن طلبه أن تقرضه المال.

قالت چينا بهدوء: «مرحباً، كيف حالك؟».

أجاب چاك بصوت صارم: «لقد كنت في أيلسفورد. كانت الشرطة تستجوبني».

- ما الذي تحدث عنه بحق الجحيم؟

- إنهما يعرفان يا چينا.

- يعرفان ماذا؟

- لقد رصدتني كاميرا محطة قطار أيلسفورد وأنا أركب القطار عائداً إلى مدينة نيويورك تلك الليلة. ولقد أخبرتهما الحقيقية، أنني لم أكن معكِ. وأخبرتهما بشأن شجارك مع والدك.

أصابت چينا صدمة، وأصبحت غاضبة، وسألته بصوت فاتر: «ما الذي أخبرتهما عنه بالتفصيل؟».

- أن والدك قال إنه قد قرر تغيير وصيته ليعطي أخته نصف ثروته.

لبرهة لم تقل شيئاً، ثم سألته: «لماذا أخبرتهما عن هذا بحق الجحيم؟».

- فقط ابتعدي عني. إنني لا أريد أي شيء يربطني بك بعد ذلك.

وأغلق المكالمة.

55

زارت جينا أختها هذا المساء.

أدخلتها كاثرين وجلستا مرة أخرى في غرفة المعيشة بينما الستائر مسدلة، سألتها كاثرين:

- هل تودين احتساء أي شيء؟ خمر؟ تونيك وليمون؟

قالت جينا وهي تهتم بالجلوس على أحد الكراسي بالطبع، ورأت على الطاولة الصغيرة أن كاثرين كانت تشرب بالفعل تونيك وليمون، فقالت لها جينا: «بعضاً من النبيذ من فضلك».

وكان تيد يحوم في الخلف كعادته وكأنه ليس متأكدًا إذا ما كان مرحبًا به في هذا النقاش أم لا. لكن من الواضح أنه يريد أن يكون هناك. إنه يريد أن يسمع ما تود قوله.

لاحظت جينا التغير البادي على تيد. لقد خسر بعضاً من هدوئه. كانت تتوقع أن يكون سعيدًا بحصول كاثرين على أموال طائلة من ميراثها، وبدأت تتفحصه بصمتٍ بينما كانت كاثرين في المطبخ تعد لها مشروبًا. إن تيد لا يعبأ بدان، أو بسمعة العائلة كما تفعل كاثرين، لماذا إذاً يبدو عليه الاضطراب؟ ثم باغتتها أنه ربما لا يظن أن دان هو من فعل الأمر. ربما يظن أن كاثرين هي من فعلت هذا، سألته: «هل أنت بخير يا تيد؟».

أجاب وهو متوتر للغاية: «لقد وجدوا بعضًا من أقراط والدتك هنا في صندوق مجوهرات كاثرين. لقد استعارتهما كاثرين، لكن المحققين لا يريدان تصديق هذا».

- أيُّ أقراط؟

عادت كاثرين من المطبخ وهي تقول: «القرطان العتيقان المرصعان بالألماس، هل تذكرينهما؟ لقد استعارتهما منذ فترة، والآن يُقَضَّان مضجعي بسبب هذا الأمر».

ناولتها كاثرين كأس الخمر، ثم جلست على الأريكة مرة أخرى وطوت ساقها تحتها وهي تقول: «ما آخر الأخبار إذن؟».

تأملتها حينًا طويلًا ثم قالت: «يريد المحققان أن يستجوباني مرة أخرى صباح الغد، وأردت أن أتحدث إليك أولًا».

مالت كاثرين للأمام قليلًا لتلتقط كأسها وقالت: «لماذا؟».

ترددت حينًا للحظة ثم قالت: «لقد غير چاك من أقواله، وأخبرهما أنه لم يكن معي في تلك الليلة».

سكنت كاثرين تمامًا، وسألتها: «هل هذا صحيح أم لا؟».

فأقرت حينًا: «نعم. لقد طلبت منه أن يتستر عليّ».

سادت لحظة من الصمت الطويل، ثم قالت كاثرين أخيرًا وهي ترتشف رشفة من كأسها: «يا لنا جميعًا من مجموعة كاذبين».

قالت حينًا بإصرار: «لقد كنت في منزلي طوال الليل. لم أقتلها. أنا فقط لم أحزن عليهما».

- هذا يجعلنا اثنين إذنًا.

- سأصطحب محاميًا معي.

سألتها كاثرين وهي تنظر في كأسها: «وما الذي ستقولينه لهما؟».

- لا شيء.

هزت كاثرين رأسها وحذرتها قائلة: «إننا جميعًا نعرف أن دان على الأرجح هو من فعل هذا. لكن لا يبدو أن بحيازتهما أيُّ دليل مادي. حتى هذا الشاهد الذي قد رأى دان في بريكن هيل في تلك الليلة، ماذا في ذلك؟ هذا غير كافٍ،

ولا يعني أي شيء. ليس الأمر وكأنه شوهد في منزل أبي وأمي. يجب علينا جميعًا الاسترخاء. يجب علينا أن نتمالك أنفسنا».

نظرت جينا إليها وقالت: «لقد تشاجرت مع أبي في تلك الليلة، بعدما رحلت جميعًا، وأخبرني أنه ينوي تغيير وصيته ليعطي أودري نصفها. كان قد طفح كيله منا جميعًا. وسمع جاك كل هذا، وأخبر المحققين».

- هل كان ينوي حقًا فعل هذا؟ هل أنت متأكدة؟

- هذا ما قاله. (ثم نظرت إلى كاثرين بجدية وسألتها) هل كنت تعرفين بشأن هذا الأمر؟

- ماذا؟ لا بالطبع.

ساد صمت متوتر حتى قالت كاثرين: اللعنة! وتجرعت كل مشروبها دفعة واحدة. ثم قالت: «هذا لا يبشر بالخير لك، أليس كذلك؟».

في وقت لاحق من هذا المساء، بعدما ذهبت جينا، جلست كاثرين في فراشها متظاهرة بأنها تقرأ رواية، بينما تيد بجوارها يفعل الأمر نفسه. إنه شيء جيد أنه لا يستطيع قراءة أفكارها، لأنها لا ترى من الصفحة أي شيء، وإنما ترى شيئًا آخر، ترى وجه أمها الشاحب، وعينيها المحدثتين المفتوحتين على اتساعهما، وتذكر كيف أنها جثت على ركبتيهما، واقتربت منها وكأنها على وشك تقبيل خدها. لكن بدلًا من ذلك، التقطت القرطين المرصعين بالألماس من أذني والدتها. إن شيلّا تضع القرطين العتيقين المرصعين بالألماس اللذين طالما أرادت كاثرين الحصول عليهما. يجب عليها أن تحصل عليهما. كانت أمها تضع قرطين آخرين على العشاء. ويمكن أن تقول إنها استعارت هذين. لن يكتشف أحد الأمر.

كان دان وليزا يجلسان على الأريكة يشاهدان التلفاز. لقد أصبح التعامل بينهما غريبًا وحادًا مؤخرًا، واختفى منذ وقت طويل اللين الذي تشاركاه دائمًا. إن دان ليس متأكدًا من موقف ليزا من جريمتي القتل. ربما تعتقد أنه من فعلها، إنه لا يعلم. لكنه متأكد تمام التأكد من أنها لم تعد تحبه.

وجد نفسه لا يستطيع مشاهدة التلفاز وأخذ يفكر كيف ازداد الأمر سوءًا بهذه السرعة. ولم يكن أيُّ مما حدث خطأه حتى. إنه خطأ الجميع، خطأ والده لأنه باع الشركة وحطم حياته المهنية، خطأ روز كاتر لأنها عرضت عليه هذا الاستثمار واحتالت عليه، خطأ أخته كاثارين لأنها من اقترحت على روز أن تعرض عليه الأمر في المقام الأول. تقلقل في مقعده وأخذت ساقاه تهتزان للأعلى والأسفل على الأريكة في تماشٍ مع أفكاره المتسارعة التي تتردد في عقله. ويمكنه أن يعرف أنه يزعج ليزا بهذا.

نهض واقفًا وقال: «سأذهب في جولة بالسيارة».

نظرت إليه وسألته وكأنها تراودها بعض الشكوك: «لماذا؟ إلى أين تذهب؟».

لم يحب نبرة سؤالها، لذلك لم يجيبها. ترك الغرفة، وهو يتوقع أن تنهض وتأتي خلفه لتطلب منه البقاء في المنزل، لكنها لم تفعل، ظلت جالسة في الغرفة وكأنها لم تعد تهتم بما سيفعله، وأخذ معطفًا -ليس سترته الواقية من المطر المعتادة لأنها لدى الشرطة- وترك المنزل. إنه بحاجة ماسة إلى الخروج. لا يستطيع أن يمكث دقيقة واحدة ساكنًا مع كل هذا القلق الذي يسوده. إنه بحاجة إلى القيادة.

ركب سيارة ليزا. إنه غاضب للغاية من أنه لم يسترجع سيارته بعد ولم يعلموه متى ستعود إليه. يبدو أنه تُسلب منه جميع الأشياء، أغلق هاتفه المحمول وانطلق بسيارته، كان يقود في البداية في طرق مألوفة بلا هدف، تساعده القيادة على التفكير، وعادة ما تهدئه. لكن مؤخرًا، لم تعد تفلح في ذلك، ولا تفلح الليلة أيضًا. إن غضبه يتأجج ويتصاعد.

استقر تفكيره على روز التي يلومها لأنها السبب في كل شيء. لقد سرقت أمواله وستحصل الآن على حصة مساوية له من ميراث العائلة، ستحصل على الأموال التي كانت من المفترض أن تذهب له ولإخوته. إنه يعلم مكان مسكنها. لقد بحث عنه. وكان قيادته إلى منزلها أمرًا حتميًا، وحين وصل إلى شارعها، حيث توجد بيوت متواضعة، صف سيارته أمام منزلها وأخذ يراقبه. جميع الأضواء مطفأة إلا ضوء الباب الأمامي، ولا توجد أيُّ سيارة في المدخل.

إنه غاضب للغاية منها، وأخذ يطبق قبضته على عجلة القيادة بقوة حتى بدأت يداه تؤلمانه، لكنه ظل ماكثًا هناك يراقب.

عادت روز إلى منزلها بعد الحادية عشرة بقليل بعدما تناولت العشاء رفقة أصدقائها. لم تستمتع به. لقد كانت صامتة وشاردة طوال الوقت إلى حد أن أصدقاءها لاحظوا الأمر. أنكرت أن هناك خطبًا ما. وعلى كل حال سيكتشفون الأمر قريبًا. لم تخبر أيَّ شخص بشأن الوصية، ويبدو أن أولاد مرتون لم يفعلوا هم الآخرون. ولم يصل الأمر إلى الصحافة بعد. لكن الأمر سينكشف للجميع في نهاية المطاف.

كان الشارع مظلمًا حين صفت روز سيارتها في المدخل، وسُرت لأنها قد تركت ضوء الباب الأمامي مضاء، وبينما كانت تصف سيارتها وتترجل منها، لاحظت السيارة الصغيرة في آخر الشارع، كان بها رجل فطنت روز إلى أنه يراقبها، وعلى الفور بدأت نبضات قلبها في التسارع. لا تستطيع أن تتبينه، فالمكان مظلم للغاية، ولا تريد أن تتوقف وتمعن النظر، يجب عليها أن تدخل سريعًا إلى منزلها، فأخذت تتسلق السلم بسرعة وهي تتحسس مفاتيحها بينما كانت تسمع صوت باب سيارة يُفتح من خلفها ووقع أقدام تمشي على الرصيف، وفور أن دخلت إلى منزلها، أغلقت الباب عليها بالمزلاج. مالت مستندة إلى الباب في الظلام وهي تلهث.

أرادت بشدة لو تفتح جميع أنوار المنزل، لكن لم تفعل. إنها لا تريده أن يتمكن من معرفة موضعها داخل المنزل، وجلست في مطبخها في الظلام الحالك وهاتفها في يدها على استعداد لطلب الطوارئ، ثم استجمعت شجاعتها أخيرًا في الواحدة صباحًا وخرجت إلى غرفة المعيشة ونظرت من خلف الستائر، لتجد السيارة قد اختفت.

56

على الرغم من اصطحابها لمحامٍ معها إلى مركز الشرطة، يبدو على جينا التوتر على نحو غير معهود. إنها غاضبة للغاية من چاك لخيانته إياها. إنه ليس سوى جبان. على الأقل لن تضطر إلى دفع بعض الأموال من أجل ضمان التزامه بالصمت. ليس لديه أي شيء ليساومها عليه الآن، فلقد أخبر الشرطة بكل ما يعرفه. ربما سيندم على فعلته تلك عندما لا يستطيع دفع إيجاره، أشعرها هذا ببعض الرضا. ربما هذا أفضل للجميع. ليس لديها حقاً ما تقلق بشأنه.

جلسوا في غرفة الاستجواب حيث جلست جينا ومحاميها عند أحد جوانب الطاولة بينما رايس وبار على الجانب المقابل، حاولت جينا تمالك نفسها بينما كان رايس يقول المقدمات قبل أن يبدأ الاستجواب، بدأ رايس الاستجواب قائلاً: «لقد وشى بك حبيبك».

قالت بابتسامة صغيرة: «لم يعد حبيبي».

- لقد أخبرنا أنه لم يكن معك في ليلة القتل، وأنت طلبت منه أن يتستر عليك.

نظرت إلى محاميها ثم إلى رايس مرة أخرى: «هذا صحيح. لقد طلبت منه أن يتستر عليّ. لكنني لم أقتل والديّ. لقد أقللته إلى محطة القطار بعد العشاء ثم عدت بمفردي مرة أخرى إلى منزلي».

- لماذا كذبت؟

- لماذا تعتقد؟ لكي لا تظن أنه أنا. السبب نفسه وراء كذب أخي وأختي.
- إنكم على وشك أن تراثوا الملايين.
- بالضبط، لهذا نعرف أننا جميعًا محل الاشتباه.
- أخبرنا چاك بشأن الشجار الذي حدث بينك وبين والدك تلك الليلة. وأن الشجار كان محتدمًا للغاية، وأنه أخبرك أنه ينوي ترك نصف ثروته إلى أخته أودري.

قالت معترفة: «لقد تشاجرنا بالفعل، ومن الممكن أنه قال هذا. لكن أبي كان دائمًا ما يردد أشياء من هذا القبيل حين يكون غاضبًا. لذلك لم آخذ الأمر على محمل الجد. على الأرجح بدا الشجار سيئًا لچاك أكثر مما كان يبدو عليه بالفعل».

- حاليًا، أنتِ الشخص الوحيد الأكيد الذي كان يعلم بأمر نية والدكِ تغيير وصيته.

هزت چينا كتفيها وقالت: «أنا لست متأكدة تمام التأكد من هذا الأمر، لأنه لو كان ينوي حقًا فعل ذلك، لا بد إداً وأن أُمي أخبرت كاثرين. كانت ستخبرها إذا ما كانت تعرف بالأمر».

- لماذا كاثرين خصيصًا؟
- كانت أُمي تخبر كاثرين بكل شيء. لقد كانت المفضلة بالنسبة إليها، ولم تكن تخبرني أنا أو دان أي شيء قط.
- هل لديك علم أن عمّتك أودري تسممت؟
- سمعت بالأمر، وإنني لأتساءل من أغضبت هذه المرة.
- إنها بخير على كل حال.

كانت إيلين كاتر تؤدي بعض المهام في مركز المدينة حين لاحظت جانت تشوشك قادمة باتجاهها على ممر المشاة. وكانت تسير محنية الرأس لهذا لم تلحظها. لكن إيلين لاحظت زميلة ابنتها من كلية الحقوق، الزميلة التي حصلت على وظيفة رائعة في شركة للمحاماة في أيلسفورد بينما ابنتها لم تستطع الحصول على شيء. قررت إيلين أن تباعد مساحة كافية لأنها تدرك تمامًا أن قريبًا سيعرف القاضي والداني بأن روز قد احتالت على عميل وخرقت

القانون. وبينما إيلين على وشك أن تنحرف حولها، تصادف أن رفعت جانت رأسها ونظرت إلى الأعلى ثم توقفت في مكانها فجأة وتجمدت ملامحها فور أن رأت إيلين. تابعت إيلين سيرها لكن اقتربت منها جانت ووضعت يدها على ذراعها وقالت: «سيدة كاتر».

إن إيلين في مأزق الآن؛ لا يمكنها أن تتظاهر بأنها لا تعرفها، ثم ازداد الأمر سوءاً. فلقد نظرت جانت إليها بعينين مغرورتين بالدموع وهمست قائلة: «إنني آسفة للغاية».

أخذت إيلين بدورها تنظر إليها في حيرة، وتساءلت: هل تعرف بالفعل ما فعلته روز؟ هل أخبرتها روز بالأمر؟ على كل حال إنها لا تريد شفقتها. وقبل أن تجذب ذراعها عنها وتستكمل السير، تحدثت جانت مرة أخرى: «أعلم أن روز في مشكلة الآن، وهذا كله بسببي. ما كان يجب عليّ أن أخبرها قط أنها في وصية فريد مرتون».

شعرت إيلين بأنها على وشك أن تتداعى، لكنها تريد أن تعرف كل شيء عن هذا الأمر.



في وقت لاحق من هذا اليوم، توجه رايس وبار وفريق كامل من الطب الشرعي مع مذكرة تفتيش إلى منزل جينا الصغير المستأجر في ضواحي أيلسفورد. إن المنزل عقار ريفي مصنوع من الأخشاب وفي حاجة ماسة إلى الطلاء. إنه في وسط اللامكان، دون أيّ جيران بالقرب، دون وجود أيّ شخص يلاحظ متى تأتي ومتى تغادر. ولم تكن متفاجئة لرؤيتهم.

لم يكن رايس متأكداً مما سيجده هناك — هل المكان غارق في فوضى ممتلئة بمنافض السجائر، والحشيش، والمخلفات الناتجة من حياة فنان ماجن — لكن ما رآه هناك أدهشه، كانت الغرف نظيفة وذات إضاءة جيدة، وطلّيت الحوائط مؤخراً بالأبيض، وهناك لوحات فاتحة الألوان معلقة على الحوائط، وتساءل إذا ما كانوا هدايا من حبيبها چاك. لكن فكر بعد ذلك في لو أنها كانت كذلك، كانت لتصبح مُزاة وممزقة الآن. إنها لوحات حديثة، ومجردة، وتسّر النظر بطريقة ما. وخلف حجرة المعيشة توجد غرفة خلفية مشمسة حولتها جينا إلى مرسوم يطل مباشرة على الحقول. وهناك منحوتات مختلفة في أرجاء المكان، أخذ رايس يتفقدتها باهتمام، رأى صفّاً كاملاً للجزء

العلوي من الجسد الأنثوي بلا أيّ رؤوس، كانت فقط مجموعة نهود مختلفة الأشكال والأحجام.

قالت جينا بتهكم: «نهودي».

هناك بعض المنحوتات الواضحة للأعضاء التناسلية النسائية، لكن أكثر المنحوتات تقليدية. ربما تتوسع في فناها. وتلك المنحوتات بالتأكيد تجريبية. هناك واحدة مصنوعة من الصلصال تبدو أنها رأس رجل وكتفاه، لم تنتهِ منها بعد، أو ربما انتهت، لا يعرف. إنه لا يفهم الفن الحديث.

لم تبدُ جينا منزعة بوجودهم هناك، وسألت وكأنها كانت تقرأ أفكاره: «هل تحب الفن؟».

أجاب رايس معترفًا: «لا أعلم. لم أفكر في الأمر حقًا من قبل».

أومأت برأسها إليه وكأن لا ذوق لديه. ربما هو كذلك. لكن ربما تكون قاتلة، وليس من حقها أن تحكم عليه. وعاد بتركيزه مرة أخرى على المهمة التي بين يديه. يعرف رايس أنها ذكية. ولو أنها من قتلت والديها، فليس من المستبعد أنهم لن يعثروا على أيّ شيء. فتشوا منزلها كله. لا علامة على وجود دماء في أيّ مكان. ولا يوجد أيّ من مجوهرات والدتها هنا.

أخذت سيارتها الميني كوبر لتفحص وكانت هناك سيارة مستأجرة مصطفة على الجانب الأيسر من المنزل. وبينما يخرجون من المنزل، لاحظ رايس وجهًا مألوفًا يجلس في سيارة مصطفة على الطريق الموحد أمام المنزل. إنها أودري ستانيسك، خطت جينا خطوة للأمام من وراء رايس حين رأت عمته، ثم خطت بغضب خطوة أوسع وهي تسأل: «ما الذي تفعلينه هنا بحق الجحيم؟».

أجابت أودري بابتسامة خبيثة على وجهها: «هذا بلد حر».

انفجرت جينا قائلة: «أذهبي بعيدًا. (ثم التفتت إلى رايس) ألا يمكنك التخلص منها؟».

أجابت أودري: «لا تهتم. إني راحلة»، وأدارت سيارتها وذهبت.

تبع رايس وبار الفريق التقني إلى الفناء الخلفي. وسرعان ما أبدوا اهتمامًا بحفرة النار الموجودة هناك، اقترب المحققان وشاهدوا الفريق وهو يجمع بقايا الرماد والحطام من حفرة النار لأخذها إلى المعمل لتفحصها، شعر رايس بجينا تأتي وتقف بجانبه والتفت لينظر إليها.

قالت جينا: «إنها حفرة نار».

أجابها ريس: «ثم ماذا؟».

وأولى تركيزه مجددًا إلى الحفرة المتقحمة عند موضع قدمه. قالت له جينا: «لن تعثر على أي شيء هناك».

كانت أودري تشعر في اليوم التالي، يوم السبت، بالوحدة والإحباط في منزلها. إنها تفتقد إيلين. وتساءلت ما خطب هذين المحققين؛ إنه لمن الواضح أن واحدًا من أبناء أخيها هو من قتله هو وزوجته، لكن لا يبدو أنهما قادران على معرفة أي واحد. وحاول واحد منهم قتلها هي الأخرى. من قال إنه لن يحاول مرة أخرى؟ وتمنت لو أنها تستطيع التحدث إلى إيلين. فإيلين شخص متزن وهادئ للغاية. لكن أودري لا تزال تشعر بالغضب نحوها، كيف تمكنت إيلين طوال تلك السنوات ألا تخبرها أن روز هي ابنة فريد؟ على الرغم من أن أودري كانت تودعها أحلك أسرارها. ربما كان هذا خطأ، وربما تكون ابنة إيلين قاتلة. إنها لن تسمح لقاتل أخيها بأن ينجو بفعلته. وإنها لعازمة على إيجاد من فعل هذا، وبينما كانت على وشك أن تغط في النوم، أدركت أن هناك شخصًا آخر بجانب القاتل ربما يعرف الحقيقة.

جلست إيلين على طاولة مطبخها تحديقًا إلى الفراغ. إنها تعرف كل شيء الآن، ولم تكن ابنتها هي من أخبرتها. إنها في صدمة من وقت أن صادفت جانت في الشارع بالأمس وعلمت بالحقيقة المرة. لم تستطع حمل نفسها على الاتصال بروز، وضعت وجهها في كفيها وانفجرت في البكاء وكأن قلبها قد كسر، وأصيب بنوبة من الخوف. كذبت روز عليها بشكل متكرر، ولم يكن لديها أي فكرة، ولم تتمكن من المعرفة. وهذا يعني إما أن ابنتها كاذبة بارعة للغاية وإما أن إيلين غبية للغاية. فدائمًا ما كانت تظن أن ابنتها صادقة وصريحة، ولم تكن تظن قط أنها قادرة على سرقة هذا الكم الهائل من الأموال. لم تكن تعرفها قط، وكذبت روز عليها أمامها حين أخبرتها أنها لم تكن تعلم أنها في وصية فريد بينما الحقيقة هي أنها كانت تعلم بالأمر منذ شهور. ما الذي لا تعرفه أيضًا عن ابنتها؟

لقد وضعت أودري مخاوف كبيرة في قلب إيلين بقصصها عن فريد وما فعله. وهي خائفة من أن يكون هناك جزء مظلم في قلب ابنتها وهي لا تعرف عنه شيئاً. إنها حتى لا تعرف إذا ما كانت ستستطيع أن تنظر إليها بالنظرة ذاتها بعد ذلك.

57

توقفت أودري عند مدخل منزل إيرينا. يبدو المنزل هادئًا، ثم رأت أودري الستارة وهي تُزاح عن النافذة الأمامية وإيرينا تطل برأسها لترى من هناك، وأخذت أودري تتساءل إذا ما كانت إيرينا ستسمح لها بالدخول أم لا. يعرف إيرينا وأودري بعضهما بالطبع، لكن ليس بصفة جيدة. إن كليهما امرأة قوية وعلى أتم الاستعداد للوقوف في وجه فريد مرتون إذا ما تطلب الأمر. دائمًا ما كانت أودري معجبة بإيرينا وفي المقابل كانت تحتقر شيلا، فلا أحد يمكنه أن يُنكر أن إيرينا فعلت كل ما بوسعها من أجل هؤلاء الأولاد. لقد تدخلت ولعبت دور الأم الذي لم تفعله ولم تستطع فعله شيلا. وبينما كان الأولاد يكبرون ويصبحون أقل اهتمامًا بعمتهم وأكثر اهتمامًا بأصدقائهم، وبينما أوضحت شيلا أنها لا تحب أن تتردد أودري على منزلهم، قلت زيارات أودري ورؤيتها لهم وإيرينا أيضًا، لذلك لا تعرف ما ستكون ردة فعل إيرينا معها الآن، فلقد كانت إيرينا دائمًا تحمي الأولاد، وأودري هنا لتعرف أيًا منهم القاتل. ترجلت أودري من سيارتها وشقت طريقها إلى الباب الأمامي، وقبل أن تطرق الباب حتى، فتحت إيرينا الباب بوجه شاحب وهي تنظر إليها بعين الريبة.

قالت إيرينا: «ما الذي تريدينه يا أودري؟».

- إنني أريد فقط أن أتحدث معك.

حدقت إليها إيرينا بصمت لمدة طويلة، وقالت في النهاية حسنًا، وأدخلتها إلى المنزل. تنفست أودري الصعداء داخلها، فهي لم تتوقع أن تصل حتى إلى الباب، ثم قالت أودري بتعاطف: «كيف حالك؟».

وحين اقتربت أودري من إيرينا، استطاعت أن ترى كم يبدو وجهها مرهقًا بكل تلك الهالات السوداء تحت عينيها، وشعرها المسحوب للخلف بحدة لا تتناسب مع وجهها الذي تسوده التجاعيد. تبدو أكبر في السن، لكن بالطبع، لا بد وأن إيرينا تعتقد حيالها الشيء نفسه.

- أنا بخير، هل تودين بعض القهوة؟

- أجل، سيكون هذا لطيفًا، شكرًا لك.

وتبعت إيرينا إلى مطبخها المرتب، وبينما تعد إيرينا القهوة، جلست أودري على أحد مقاعد طاولة المطبخ، وقالت: «لقد سررت للغاية لمعرفة أنك حصلت على جزء من الإرث، لقد كان هذا قرارًا صائبًا من فريد وشيلا أن يردا لك دين خدماتك طوال هذه السنين، (ثم قالت بغرابة تملأ كل شعورها) لقد فعلت الكثير من أجل الأولاد».

- شكرًا لك.

ثم سألت أودري لعدم وجود أي حوار آخر يدفع بالحديث إلى الاستمرار: «هل ستتقاعدين الآن؟».

- لا أعلم بعد، لكنني أخبرت عملائي أنني سأخذ بعض الوقت حتى... أنت تعلمين. وهم يتفهمون الأمر.

هزت أودري رأسها، والتفتت إيرينا أخيرًا وأصبحت تواجهها الآن بعدما كانت مولية ظهرها إليها، والآن يجب على أودري أن تقترب بطريقة ما إلى الأمر الذي جاء للحديث عنه، ثم قالت بصوت أجوف: «إن ما حدث مريع، ولا يمكنني التوقف عن التفكير فيه».

هزت إيرينا رأسها متفهمة وقالت: «أفهم ما تقصدينه. أنا أعاني الكوابيس بدوري».

ثم دخل قط عتابي كبير المطبخ وقفز على الطاولة، وقالت أودري وهي تقترب لتمسد ظهره: كم أنه قط رائع. ابتسمت إيرينا للمرة الأولى وقالت: «أليس كذلك؟ لكن ليس من المفترض أن يكون على الطاولة».

وأمسكت بالقط وأنزلته على الأرض حيث أخذ بدوره يحك ساقها، وتساءلت أودري عن إمكانية أن تكون هي وإيرينا حليفتين، وقالت: «إنك من عثرت عليهما، لا عجب إذا أنك تعانين الكوابيس، (هزت إيرينا رأسها وواصلت أودري بنبرة مطمئنة) كان أي شخص ليكون كذلك».

إن أودري تسعى إلى خلق الألفة بينها وبين الشخص الوحيد الذي يعرف هؤلاء الأولاد جيدًا، وأخذت تنقل ناظريها حول المطبخ وهي تفكر كيف ستستميل إيرينا لتبوح بأسرارها.

في وقت لاحق من بعد الظهر، اقترب شرطي تبدو على وجهه أمارات الحماس من رايس، وقال: «سيدي، ربما نكون قد وجدنا خيطًا سيدلنا على الشاحنة التي كنا نبحث عنها. (انتبه رايس وتابع الشرطي) لقد اتصلت بنا للتو امرأة تقول إن جارها يملك شاحنة توافق المواصفات التي أذعنابها عبر وسائل الإعلام، وقالت إنها لاحظت أنه لم يعد يقودها في الأسابيع الأخيرة. (وناول رايس العنوان بينما كان رايس يجلب معطفه، وتابع) لكنها لم ترد أن نخبرنا باسمها أو عنوانها».

فتش رايس عن بار وشرح لها الأمر وهما في طريقهما إلى السيارة، قادا إلى حي له بيوت متهاكة، وفناءات أعشابها غير مهذبة، حيث يذهب المال إلى الضروريات أكثر من الرفاهيات. لمَ قد يقود شخصًا يعيش في حي كهذا حول بريكن هيل؟ توقفًا أمام العنوان الذي أعطتهما إياه السيدة وصفًا السيارة في الشارع، وقالت بار: «لا أرى أي شاحنة هنا، ربما هي في المرأب».

هز رايس رأسه موافقًا. كان باب المرأب مغلقًا، لكن رايس كان يشعر بالإثارة الشديدة. إنهما بحاجة ماسة إلى أي نقطة فاصلة في هذه القضية، وربما هذا هو. ترجلا من السيارة وتوجها نحو الباب الأمامي. فتحت امرأة في عقدها الخامس الباب ونظرت إليهما بلا اكتراث، وقالت: «لست مهتمة».

حينها رفع رايس وبار شارتيهما وقال رايس: «شرطة أيلسفورد، هل لنا بالدخول؟».

بدا عليها التوتر الآن ورجعت للخلف وهي تفتح الباب والتفتت تقول: «كارل!».

فجاء شاب في بدايات العشرينيات خلفها، بحاجة إلى حلاقة ذقنه، وسأل: «من أنتما؟».

عرف رايس بنفسيهما مرة أخرى ونظر الشاب إلى شارتيهما بخوف، سألت المرأة، وهي تنظر إلى كارل: «ما هذا الأمر؟».

- لا أعرف يا أمي، أقسم لك.

قال رايس: «إننا نحقق في قضية قتل فريد وشيلا مرتون».

تجمدت المرأة في مكانها بينما بدا القلق على ابنها، ثم تابع رايس موجهاً الحوار إلى كارل: «هل أنت مالك شاحنة ذات لون داكن وبأسنة لهب على طول جانبيها؟».

تردد كارل وكأنه كان يتفقد خياراته، ثم هز رأسه بنعم.

قال رايس: «إننا نريد رؤيتها».

قالت والدته: «إنها ليست شاحنته تلك التي تبحث عنها».

قال كارل: «إنها في المرأب».

وانتعل حذاءه على قدميه الحافيتين وقادهما من خلال المطبخ إلى المرأب، بينما كانت أمه تتبعهم بقلق. فتح كارل مصباح المرأب، وعم النور أرجاء المكان، سار رايس نحو الشاحنة يتفقدوها. إنها سيارة داكنة اللون بأسنة لهب صفراء وبرتقالية على طول جانبيها، تمامًا كسيارات الـ Hot Wheels. لم يلمسها رايس لكنه نظر إلى داخلها من خلال النافذة، ووجدها متسخة وفوضوية ويبدو أنها لم تنظف منذ وقت طويل.

سأل رايس: «هلا أخبرتنا أين كنت في ليلة الحادي والعشرين من شهر إبريل؟».

أجاب كارل بتوتر: «لا أتذكر، لا أتذكر عادة ما أفعله في أي يوم».

- لقد كان أحد الفصح.

- أوه، أعتقد أنني كنت في المنزل إذًا، أليس كذلك يا أمي؟

تبدو أمه خائفة الآن، وقالت: «أنا... أنا لست متأكدة. لا أستطيع أن أتذكر بوضوح، (ثم قالت بتلعثم) لقد تناولنا العشاء في منزل أختي ثم عدنا إلى المنزل».

ثم التفتت إلى ابنها وسألته بصوت متذبذب: «هل خرجت بعد ذلك؟».

فكر رايس: كانت تعلم أنه خرج، لكنها تترك الكذب له. إذ إنها لا تعرف ما يمكن أن يكون قد ارتكبه. نظرت إلى ابنها وكأنها معتادة الاستياء منه، لكنه زاد على الحد هذه المرة، فباتت تعد نفسها لما هو آت.

- لا، أنا متأكد من أنني بقيت داخل المنزل طوال الليل.

- دعنا نذهب إلى المركز ونحدث.

- هل عليّ فعل هذا؟

- لا، إننا نريد فقط الحديث معك بشكل ودي. لكن إن لم تفعل، ربما أُلقي القبض عليك دون أن أكون قد أخللت بحقوقك وأخذك إلى المركز على أيّ حال، ثم بعد ذلك، سنأتي إلى هنا مرة أخرى بمذكرة تفتيش. أيّ من الطريقتين تُفضل؟

قال كارل بتجاهلهم: «حسنًا».

58

شرع رايس في الحديث بعدما جلسوا جميعهم في غرفة الاستجواب قائلاً: «إليك الأمر؛ إن شاحنتك تطابق مواصفات الشاحنة التي رُصدت خارجة من عند منزل الزوجين مرتون في ليلة أحد الفصح، الليلة التي قُتل فيها فريد وشيلا مرتون. وإننا على علم بأنك أبقيت الشاحنة داخل مرأبك من وقت أن أُذيعت مواصفاتها عبر وسائل الإعلام بعدما اكتُشفت الجثتان. ما الذي كنت تفعله في بريكن هيل في تلك الليلة إذا؟».

هز رأسه نافياً وقال: «لم أكن أنا».

- إنها شاحنتك.

- لم أقتل أي شخص.

- ما الذي كنت تفعله هناك إذا؟

- اللعنة، إنني أريد محام.

كان دور رايس الآن أن يقول اللعنة لكنه أسرها داخله. وتابع كارل: «لدي محام، هل يمكنني الاتصال به؟».

- بالطبع.

وغادر هو وبار الغرفة.

وصل محامي كارل «برينك» بعد ساعة وبدؤوا الاستجواب من جديد بعد أن تحدث معه كارل على انفراد، أخذ كارل ينظر بتوتر إلى محاميه وكان الآخر

يهز رأسه إليه مطمئنًا، قال كارل: «لقد ذهبت إلى هناك في تلك الليلة، سلكت منعطفًا خطأ ومررت من أمام ذلك المنزل، ثم ذهبت إلى المنزل التالي، لكن الطريق كان مسدودًا بعده لذا عدت أدراجي ومررت من أمامه مرة أخرى».

سأل رايس: «أي وقت كان هذا؟».

هز كارل رأسه في عدم تأكد وقال: «لا أعلم. نحو الحادية عشرة أو الثانية عشرة».

- هل يمكن أن تقرب الوقت أكثر من ذلك.

نظر كارل خلصة إلى محاميه وكأنه يطلب مساعدته. لكن ليس لدى المحامي ما يقوله. فتابع كارل: «هذا أفضل ما يمكنني تذكره. ربما لم أكن في وعيي قليلًا».

هز المحامي رأسه قليلًا مشجعًا إياه، ثم تابع كارل بإصرار وهو يلحق شفثيه بتوتر: «ليس لي أي علاقة بما حدث هناك».

قال رايس: «هذا هراء. لماذا إذا لم تأت إلينا حين وضعنا نشرات تخص مواصفات شاحنتك؟ إنك كنت تعلم بالتأكيد أننا نبحث عنك لأنك لم تقدر شاحنتك من حينها».

هز كارل رأسه وقال: «لقد كانت رخصتي معلقة. ولم يكن من المفترض أن أقود في تلك الليلة. وأخفيتهما في المرأب من حينها لأنني علمت أنكم تبحثون عنها ولم أرد أن أوقف».

كان لسان حال رايس يقول اللعنة، لكنه قال: «ما الذي كنت تفعله هناك في تلك الليلة؟».

قال كارل وهو يشيح بعينه: «كنت أقابل صديقًا».

قال رايس بنبرة صوت عالية أظهرت استنكاره الواضح: «هل لديك أصدقاء في بريكن هيل؟ حقًا؟ أو ربما كنت تبيع بعض المخدرات؟».

تدخل المحامي قائلاً: «إن لدى عميلي بعض المعلومات التي من الممكن أن تكون مفيدة. ربما من الأفضل أن نولي تركيزنا على هذا الأمر وألا نتجرف كثيرًا وراء ما كان يفعله هناك؟».

تنهد رايس وسأل: «ما نوع هذه المعلومات؟».

هز المحامي رأسه لعميله أن يتحدث، وقال كارل: «لقد رأيت شيئاً ما في المدخل الخاص بمنزل الزوجين اللذين قُتلا».

سأل رايس بإمعان: «ماذا رأيت؟».

- كانت هناك سيارة مركونة في آخر هذا المدخل، أقرب إلى الشارع منها إلى المنزل، وبدا هذا غريباً لي.

- هل رأيت أي شخص؟

هز رأسه نافيّاً وقال: «لا، فقط السيارة، وبدت خالية، وكانت أنوارها مطفأة».

- ما نوع تلك السيارة؟

- لا أعلم. كانت سيارة عادية. لكن لوح السيارة كان عليه اسم إيرينا د.

وجد رايس وبار نفسيهما في طريقهما إلى منزل إيرينا دابروفسكي، قال رايس: «إنها تحصل على مليون دولار في وصية فريد. وهذا مال كثير بالنسبة إلى خادمة، ورغم ذلك لم نفتش سيارتها».

قالت بار: «حسنًا، يمكننا أن نفتشها الآن».

ثم تذكر رايس: «ولقد كانت تعلم بأمر البدلات الواقية في مرأب دان أيضًا».

وصلا إلى بيت إيرينا وصفا سيارتهما في الشارع، وحين فتحت إيرينا الباب، بدا عليها الذعر. وسأل رايس: «هل لنا بالدخول؟».

تنحت إيرينا جانباً لتدخلهما وقد باتت شاحبة للغاية وكأنها على وشك أن يغشى عليها، قالت بار مقترحة: «ربما يجب أن تجلسي».

وقادتها إلى أحد الكراسي في غرفة المعيشة.

قال رايس لها: «إن لدينا شاهدًا جديدًا، شخصًا شاهد شيئاً في ليلة جريمتي القتل».

نظرت إليهما بدورها في رهبة واضحة. وقالت همساً: «أيّ منهم فعلها؟».

تعجب رايس من كيف أنها كانت تمثل طوال الوقت، وانزعج من نفسه لأنه لم يلحظ الأمر، ثم قال: «إنه أنت يا إيرينا. أنت من قتلتهم».

حدقت إليه مشدوهة بدورها، وقالت: «أنا؟ ماذا؟ لا، أنا لم أقتلهم».

- شخص ما رأى سيارتك تلك الليلة في آخر مدخل منزل الزوجين مرتون. هزت رأسها بعدم تصديق وقالت: «أنا لم أقتلها، إنك ترتكب خطأ بهذا!». ثم قال رايس بينما بار تكبلها بالأصفاد: «إيرينا دابروفسكي، أنتِ رهن الاعتقال لقتلك فريد وشيلا مرتون. لديك الحق في التزام الصمت. أيُّ شيء ستقولينه يمكن أن يُستخدم ضدك في قاعة المحكمة. ولديك الحق في توكيل محام...».

طلبت إيرينا محامياً وكان الوقت ليلاً حين بدء التحقيق معها رسمياً، بدتْ مهزوزة للغاية حد الصدمة، أخذ رايس يشاهدها بلا أيِّ تعاطف. فلقد كانت تلعب بهم طوال الوقت. من تنظيف السكين حين رجعت مرة أخرى لـ «تعثّر» على الجثتين لإيهامهم أنها تحاول حماية أحد الأولاد، واعترافها على مضض أن القاتل يمكن أن يكون أحد الأولاد، بينما كانت هي طوال الوقت. لقد جعلتهم كلهم موضع اشتباه. سأل المحامي وهو ينظر بقلق إلى موكلته المكروبة: «ما الذي يجعلك تظن أن موكلتي هي من قتلت عميليهما مع سبق الإصرار والترصد؟ لقد كانت خادمتهم حُباً بالله».

- لدينا شاهد جديد رأى سيارتها -التي تحمل على لوحها اسمها، إيرينا د.- مصطفة في آخر المدخل الخاص بمنزل الزوجين مرتون، في وقت ما بين الحادية عشرة مساءً ومنتصف الليل.

هزت إيرينا رأسها نفياً وغمغمت: «لم أكن هناك».

- إنكِ تحصيلين على مليون دولار أمريكي في وصية فريد مرتون، أهذا صحيح؟

أقرت إيرينا: «نعم»، فقال المحامي: «تعويض كافٍ للغاية نظراً إلى ثروة عميليهما ومدة خدمتهما».

- وسبب كافٍ لارتكاب جريمة قتل. هناك من قتل لأجل أقل من ذلك بكثير.

كررت إيرينا بخوف في صوتها: «أنا لم أفعلها. أنا لم أكن أعرف حتى أنهما تركا لي أيُّ شيء. لماذا قد أقتلها؟».

- تدخلت في مسرح الجريمة من أجل توجيه الاشتباه إلى الأولاد، بعيداً عنك. (بُهِت وجهها) وأنت تعلمين بأمر البدلات الواقية في مرأب دان وأنه لا يوصد باب المرأب.

تدخل المحامي قائلاً: «أعتقد أننا انتهينا هنا. ستحتاج إلى أدلة أكثر من وجود شاهد عيان واحد مشكوك في أمره. إلا إذا كان لديك المزيد....».

قال رايس: «سنعثر على المزيد».

59

علم دان بشأن القبض على إيرينا من الأخبار العاجلة التي عُرضت على التلفاز في تلك الليلة. إنه لا يستطيع تصديق الأمر. صرخ منادياً ليزا زوجته، وجاءت تهرول من المطبخ، التفت وهو ينظر إليها بنظرة غريبة ممزوجة بالرعب والخلاص. وقال: «لقد ألقوا بالقبض على إيرينا».

نقلت ليزا نظرها منه إلى التلفاز في صدمة، وقال دان بمرارة لكن بنبرة صوت منتصرة: «هل تصدقينني الآن؟».

ثم أخذ يتحسس جيب بنطاله بحثاً عن هاتفه، وقال: «يجب أن أتصل بكاثرين».

حين اتصل دان، كانت كاثرين لا تزال مستيقظة تقرأ في سريرها مع تيد. إنهما يعانيان صعوبة في النوم هذه الأيام، وعادة ما يقرآن حتى وقت متأخر من الليل إلى أن يطفئا الأنوار وتبقيهما مخاوفهما مستيقظين، رأت أن دان هو من يتصل بها، وعلى مضض أجابت المكالمة. إنها متفاجئة من أن دان يتصل بها لأنه كان يبذل كل ما بوسعه ليتحاشاها. قال دان: «كاثرين، هل سمعتِ بآخر الأخبار؟ لقد اعتقلوا إيرينا».

سألت بسذاجة: «من أجل ماذا؟».

- من أجل ارتكاب جريمتي القتل.

حبست كاثرين أنفاسها، وقالت: إيرينا؟ وهي تشعر بتيد يتحرك بجوارها.
- إنها على الأخبار. ابحثي على الإنترنت.

ضغطت تطبيق الأخبار المحلية في هاتفها ورأت العنوان: «إلقاء القبض على المربية السابقة في جريمتي قتل الزوجين مرتون». وكان تيد ينظر من فوق كتفها إلى هاتفها، نظرت إلى زوجها وهي تستوعب الأمر، ثم وضعت الهاتف مجددًا على أذنها وقالت: «من الأفضل أن تأتي إلى منزلي، وسأصل بچينا. يجب علينا أن نقرر ما الذي سنفعله».

كانت الأفكار تتدافع داخل عقلها. ماذا الآن؟ هل يقفون خلف إيرينا؟ ولا يقولون أي شيء؟ أو هل يشوهون سمعتها في الصحافة؟ أغلقت المكالمات ونظرت إلى الأعلى. كان تيد يحدق إليها.
وقالت همسًا: «صدقًا، لقد كنت أعتقد طوال هذا الوقت أن دان هو من فعلها».

طوق تيد زوجته بذراعيه للحظة وهو يضمها بقوة. إنه لا يستطيع تصديق الأمر هو الآخر. إيرينا! لكن لو أنهم اعتقلوها بسبب جريمتي القتل، لا بد وأن لديهم أسبابًا قوية. لا بد وأن لديهم دليلًا. لقد كان مخطئًا بشأن زوجته التي قد بدأ يشك فيها بشدة. لقد كان مخطئًا بشأنها وهي مثقلة الكاهل بهذا العبء الثقيل طوال الوقت وهي تظن أن أخاها هو من قتل والديها. قبل أعلى رأسها وهو يشعر بأن التوتر الشنيع الذي كان يحمله معه في الأسابيع القليلة الماضية بدأ ينجلي. بالطبع ليست وحشًا، وستكون أمًا رائعة. الآن يمكنهما أن يمضيا قدمًا ويركزا على الطفل. وأخذ يفكر في ليزا وكيف لا بد وأنها تشعر بالشعور ذاته الآن. وفكر في مقابلتهما الخفية في موقف سيارات متجر الأدوات المنزلية. ربما يمكن لكليهما أن يستريحا الآن ولن يتحدثا مع بعضهما بعضًا بشأن مخاوفهما مرة أخرى، انسلت كاثرين من بين ذراعيه لتتصل بچينا، ثم لبس الاثنان ملابسهما على عجل.

إنه تجمع عائلي آخر غريب. عاد جميعهم مرة أخرى إلى حجرة معيشة كاثرين وتيد، لكن إيرينا هي فقط المتغيبية. كانت ليزا تشعر وكأنها لا تستطيع التنفس. إنها تريد بشدة أن يكون هذا صحيحًا، وأن تكون الشرطة على حق.

إنها تريد بشدة أن تكون إيرينا مدانة. إنها تريد أن يُبرأ زوجها وكاثرين أيضًا التي تحبها باعتبارها أختًا. إنها تريد أن تعود العائلة كما كانت عليه مرة أخرى وتريد الأموال، ولا تهتم لأمر إيرينا. إنها بالكاد تعرفها. حين وصلت هي ودان، التقت عيناها وعينا تيد، لكن كلاهما أشاح بعيدًا وكأنهما يشعران بالخجل. تتصفح كاثرين حاسوبها المحمول بحثًا عن أيِّ معلومات يمكن أن تجدها بشأن خبر الاعتقال. لا يوجد الكثير، فقط ظهور أدلة جديدة تثبت أن إيرينا كانت في مشهد الجريمة في توقيت قريب من توقيت الجريمتين. هذا كل ما يعرفونه.

قالت چينا مجاهرة بما يشعرون به جميعًا: «أنا لا أصدق الأمر».

وقال دان: «أتساءل ما هو الدليل».

وكان هذا ما يفكر فيه جميعهم.

قالت كاثرين: «يجب علينا أن نحدد كيف سنتعامل مع الأمر».

نظر الأشقاء الثلاثة إلى بعضهم بتردد، لكن كاثرين قالت بالأخير: «أعتقد أنه يجب علينا ألا نقول أيَّ شيء للشرطة أو للصحافة. ألا ندين لها بذلك؟».

ورويّدًا رويّدًا بدأ دان يهز رأسه موافقًا، ومن ثم چينا. إن ليزا تعلم ما يفكرون فيه. إنهم جميعًا يفكرون في الشيء نفسه وهو: بفضل إيرينا، سنصير جميعًا أغنياء.

في الصباح التالي من يوم الأحد، كان رايس وبار في بيت إيرينا ومعهما مذكرة تفتيش وفريق من الطب الشرعي، احتجّزت إيرينا طوال الليل ولا تزال رهن الاحتجاز، ألّقا نظرة سريعة على السيارة قبل أن تؤخذ. لا علامة واضحة على أن سيارة نُظِّفَت مؤخرًا أو تُلطخت. ستأخذ وقتًا لتفحص بدقة، ثم دخلوا إلى المنزل. إن القط جائع، وجد رايس طعام القطط وملأ الأوعية المخصصة له بالطعام والماء وشاهده وهو يشرع في الأكل، طلبت إيرينا أن يُوضَعَ في الحامل المخصص له ويذهب إلى بيت أودري لتعتني به. أوكل رايس هذه المهمة إلى ضابط شاب، وأخذ يشاهدان بنفاد صبر فريق الطب الشرعي وهم يؤدون عملهم شديد الدقة. لكنهم لم يعثروا على أيَّ شيء في النهاية.

في وقت لاحق من هذا اليوم، أرادت إيرينا أن تقول بعض الأقوال. واجتمعت إيرينا، والمحققان، ومحامي إيرينا في غرفة التحقيق مرة أخرى واستكملوا التحقيق. قالت إيرينا: «تذكرت شيئاً هاماً، لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً في وقت متأخر تلك الليلة من إحدى صديقاتي التي كانت تتمنى لي عيد فصيح سعيداً. لا أعرف متى كانت المكالمة تحديداً، لكن لا بد وأنها كانت بعد الحادية عشرة، فنحن الاثنين عادة ما نتصل ببعضنا بعضاً في وقت متأخر. لقد تحدثنا لبعض الوقت على هاتفي المنزلي. لو تحصلت على سجل مكالمات الهاتف، سيثبت أنني كنت في منزلي طوال الليل. أليس كذلك؟».

كانوا قد طلبوا هذه التسجيلات بالفعل، ثم التفت رايس إلى بار وقال: «هل يمكنك أن تتفقدي كم سيطول الأمر حتى نحصل عليها؟».

وغادرت بار الغرفة، وانتظروها حتى تعود، وعندما عادت مرة أخرى، قالت: «طلبت منهم أن يتعجلوا».

قالت إيرينا بإصرار: «لم أكن هناك».

- لدينا شاهد رأى سيارتك التي يحمل لوحها اسمك.

لا تزال إيرينا شاحبة، لكنها قالت بصوت حازم: «أعتقد أنني أعلم ما يمكن أنه قد حدث في تلك الليلة. أعتقد أن شخصاً ما آخر هو من قاد سيارتي في تلك الليلة».

سأل رايس: «أتقصدين أحد أبناء الزوجين مرتون؟».

هزت إيرينا رأسها بنعم.

- هذه فكرة مقنعة، أليس كذلك؟ هل كان أي شخص منهم معتاداً قيادة سيارتك؟

- لا، لكن إذا أراد أي منهم هذا، فإن باستطاعتهم ذلك. فأنا أحتفظ بنسخة من مفاتيحي دائماً في الفناء الخلفي لمنزلي تحت حوض النباتات. مجموعة كاملة من مفاتيح المنزل والسيارة. وكانوا يعلمون جميعهم بهذا الأمر. بدأت أفعل ذلك لأنني أضعت مفاتيحي مرتين.

- هل يعلم أي شخص آخر بأمر هذه النسخ؟

هزت رأسها بالنفي، وقالت: «لا، فريد وشيلا والأولاد فقط».

- وأين تصفين سيارتك؟

- في الشارع.

- إذا أنتِ تقترحين أن واحداً منهم أخذ ليلة أحد الفصح نسخة مفاتيحك من الفناء الخلفي وأخذ سيارتك بعدما عدتِ إلى منزلك وقاد إلى منزل الزوجين مرتون وارتكب جريمتي القتل، وأعاد سيارتك؟

- أنا أقول إن هذا محتمل. لا أستطيع أن أفكر في تفسير آخر. أنا لم أقد السيارة في تلك الليلة.

- هل سمحتِ لكاثرين، أو چينا، أو دان باستعارة سيارتك من قبل؟ هل أقللتهم إلى أيِّ مكان قط؟

هزت رأسها نافية وقالت: «لا، إن سياراتهم أفضل بكثير من سيارتي».

دُهِشت أودري حين أحضر لها شرطي قط إيرينا بكل مستلزماته صباح اليوم. تجلس الآن وهي تسمع القط العتابي الكبير النائم على رجلها يخرخر بينما تمسد ظهره بلطف. لا يبدو أن هذا القط الخائن يفتقد صاحبه بتاتاً، ثم نظرت أودري إلى أوعيته وصندوق فضلاته الموجودين في أرضية المطبخ وتساءلت كم سيبقى القط هنا. إنها لا تصدق أن إيرينا قتلت فريد وشيلا، فأيرينا تبدو شخصاً متزناً وعقلانياً. لا بد وأن الشرطة على خطأ. لأنها حين تحدثت مع إيرينا، كانتا على اتفاق تام أن واحداً من أولاد فريد وشيلا هو من فعلها. لكن إيرينا، مثل أودري، لا تعرف أيهم فعلها. إنها تريد أن تعرف لماذا اعتقلت الشرطة إيرينا. لا توجد أيُّ تفاصيل على الأخبار، كل المذاع هو ظهور دليل جديد يثبت تورطها فقط.

وهذا كله مفاجئ للغاية، فلقد كانت أودري متأكدة أنه أحد الأولاد.

أكدت تسجيلات الهاتف أن إيرينا كانت ليلة أحد الفصح في منزلها تتحدث على الهاتف من الساعة الحادية عشرة وإحدى عشرة دقيقة حتى الساعة الحادية عشرة وثلاثة وأربعين دقيقة. لم تكن لتستطيع أن ترتكب الجريمتين وكارل قد رأى سيارتها في وقت ما بين الحادية عشرة ومنتصف الليل كما قال. لم يكن لديها الوقت الكافي. يجب أن يطلق رايس سراحها. إنه لا يملك أدلة كافية لإدانتها بارتكاب جريمتين. إنه لا يملك أدلة كافية لإدانة

أيّ شخص، وأخذ يحدق الآن بكآبة إلى الفراغ محاولاً بإرهاق أن يفك شفرات هذا الأمر كله. لو أن كارل برينك يقول الحقيقة، فهناك شخص ما قاد تلك السيارة ليلاً إلى حيث منزل الزوجين مرتون. لم تكن روز لتعلم بشأن مفاتيح إيرينا المخبأة. لكنه يعلم أن أبناء فريد الشرعيين كانوا جميعهم يعلمون بهذا، وجميعهم كذابون. إن لديه ثلاثة مشتبهاً بهم. لا يوجد لأحد منهم حجة غياب، وجميعهم لديهم الدافع، ثم حدق إلى صور الجريمة المروعة المعلقة على حائطه، صور فريد وشيلا وهما مقتولان مع سبق الإصرار والترصد، وسأل نفسه للمرة المائة، من فعل هذا؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

60

كان اليوم التالي هو الاثنين وهناك حشد من الصحافة خارج مركز الشرطة يريدون إجابات. لكن رايس لا يملك أيَّ إجابة ليعطيها لهم. مر من أمامهم سريعًا وهو يقول باقتضاب: «لا تعليق» إلى مركز الشرطة. إن الأمر محبط للغاية. هذه القضية كلها، ثم حدثت انفراجة أخيرًا بعد ذلك في منتصف الفترة الصباحية. عُثر أخيرًا على أدلة مادية حقيقية. حذق رايس وبار إلى بعضهما بعضًا، وقال رايس: «دعونا نحضرهم جميعهم - دان، وكاثرين، وچينا- هنا لتقديم عينات من الحمض النووي ولنرى إذا ما سنجد أيَّ تطابق».

جلس تيد إلى طاولة المطبخ يشرب فنجان قهوة بينما يحدق إلى الجريدة. لن يذهب إلى العمل اليوم. إنه يشعر أن هناك شيئًا مُظلمًا وثقيلًا يجثم فوق صدره. منذ ليلتين اعتُقلت إيرينا واعتقد أن هذا الكابوس انتهى. لكن أطلقوا سراحها البارحة، ولم يرد أيُّ تفسير سواء من الشرطة أو حتى من الصحافة بشأن أسباب القبض عليها أو أسباب إطلاق سراحها. حاولت كاثرين الاتصال بإيرينا عدة مرات، لكنها لم تجب، وهم يعلمون أن رقم هاتف كاثرين مُسجل عندها. إن إيرينا لا تريد أن تتحدث إليها. وهم يريدون أن يعرفوا ما الذي يحدث بحق الجحيم. شعر تيد وكأنه على وشك أن يذهب ويطرق بابها.

أخذت كاثرين تتجول في المطبخ ويدها مستقرة بحماية على بطنها المستوي تمامًا. شعر بموجة من الغضب. إنها تريد تعاطفه ودعمه، لكنه

ليس متأكدًا إذا ما سيستطيع أن يعطيها ذلك، حامل كانت أم لا. خرق رنين الهاتف الصمت السائد، لم يقل أيُّ منهما الكثير للآخر هذا الصباح. نهض تيد وأمسك بالهاتف المُعلق على الحائط، وانخفض معدل نبضات قلبه حين سمع صوت المحقق رايس.

سأل رايس: «هل يمكنني التحدث إلى السيدة مرتون؟».

- أمهلني ثانية.

وناول تيد زوجته الهاتف. وشاهدها ونبضات قلبه تتسارع على نحو مؤلم وهي تستمع. وتساءل عما يمكن أن تكون إيرينا قد أخبرتهم بما جعلهم يطلقون سراحها. يبدو وجه كاثرين هادئًا للغاية، ولا ترتعش أصابع يدها وهي تمسك بمقبض الهاتف.

قالت: «الآن؟».

ثم قالت: «حسنًا».

وأنتهت المكالمة، سألها تيد: «ما الذي يريده؟».

نظرت إليه ثم أشاحت بنظرها بعيدًا، وقالت: «قال إنهم عثروا على بعض الأدلة المادية. ويريدون مني، ودان، وچينا أن نأتي لنقدم عينات من الحمض النووي. (ثم ازدردت وهمست) ماذا إن كانوا قد وجدوا البدلات الواقية، وكان الحمض النووي الخاص بدان عليها بالكامل؟».

تحرك الشيء الأسود الجاثم على صدر تيد واستقر أثقل من ذي قبل.

كانت ليزا تعلم بطريقة أو بأخرى أن هذا سينتهي قريبًا. لقد عثر المحققان على أدلة مادية لها علاقة بالجريمة. لا بد وأنهما وجدا الملابس الملطخة بالدماء، أو البدلة. واتصلا بدان ليأتي ويقدم عينة من الحمض النووي الخاص به. وفور أن رحل دان إلى المركز، اتصلت ليزا بكاترين وهي شاحبة لكنها هادئة بشكل غريب. لكن تيد هو من أجاب الهاتف، وقال: «مرحبًا؟».

- تيد، هل كاثرين هنا؟

- لا، إنها في مركز الشرطة. (كان يمكن لليزا سماع الذعر في صوته) يجب عليها أن تقدم عينة من حمضها النووي.

- ودان أيضًا.

- وحيناً، سيأخذون عينات منهم جميعاً.
سألت ليزا بقلق: «هل تعلم ما الذي عثروا عليه؟».
- لا فكرة لدي.

تشاركاً صمماً طويلاً من عدم الارتياح عبر الهاتف، لكن لم يتحدث أيُّ منهما إلى الآخر. لقد كان كلاهما خائفاً للغاية، ثم قالت ليزا: «الوداع يا تيد».
وأغلقت المكالمة، وفجأة اضطرت إلى الجلوس ورأسها بين ركبتيها لكيلا يغشى عليها.

أحد الفصح، الساعة 11:02 مساءً

جلست شيلة في فراشها تحاول أن تقرأ، لكن الكتاب الذي تقرؤه لا يحوز انتباهها، يستمر تفكيرها في العودة إلى ما حدث في وقت سابق من هذا المساء. وفريد بجوارها يغط في النوم، وهو يشخر بطريقة غير منتظمة ومتقطعة، نظرت إليه وهي مزعجة، وأخذت ترمقه ببغض. من الصعب أن تشعر حياله بأي شيء آخر على الرغم من أنه يحتضر. لقد كان وغداً للغاية. لماذا تزوجته؟ لقد أحال حياة كل شخص فيهم إلى بؤس.

إنه يسوي أموره قبل الرحيل لذلك ينوي تغيير وصيته لصالح أخته. لطالما أراد أن يجرح الأولاد. ولم تكن لديها القوة قط لردعه. لم تكن أمًا جيدة للغاية. لقد كانت متوترة للغاية في الأسابيع الأخيرة بسبب علمها ما ينوي فريد فعله. وإنها لقلقة من رد فعل الأولاد حين يموت فريد قريباً ويكتشفون الأمر، سيكونون مستائين للغاية. ولا يوجد شيء يمكنها فعله حيال ذلك.

سمعت جرس الباب، نظرت إلى ساعة الراديو الموجود على منضدة السرير. إن الوقت متأخر، تجاوزت الساعة الحادية عشرة، تجمدت في مكانها وانتظرت، من قد يأتي في مثل هذا الوقت من الليل؟ لكن جرس الباب رن مجدداً، ومجدداً، ولا يمكنها تجاهل الأمر، أزاحت عنها أغطية الفراش، وانتعلت خفيها، وأحكمت عليها رداءها وهي ترحل عن الغرفة، بينما فريد لا يزال يغط النوم، أضاءت زر الإنارة الموجود في آخر السلم وأضاء السلم والردهة الأمامية، أمسكت بدرازين السلم الأملس بينما كانت تهبط السلم المغطى بالسجاد، ورن جرس الباب مرة أخرى.

فتحت الباب وأخذت تحقق وقد أصابها الارتباك من المنظر أمامها، أحدهم يقف على عتبة منزلها ويرتدي سترة واقية، وكانت متفاجئة للغاية إلى حد أنها لم تدرك من هو في البداية، ثم لاحظت السلك الذي يمسك به الشخص في يده اليمنى، وأدركت الأمر سريعاً؛ من هو الشخص، والرعب الناتج عن الفهم المبالغ، ثم التفتت وحاولت الهروب بعيداً. لكنها لم تكن سريعة كفاية وسُحبت من رقبتها إلى الخلف. وبينما تشعر بالسلك وهو يضغط عنقها بشدة، حاولت أن تمسك بهاتفها الموجود على طاولة جانبية، لكنه رُكل بعيداً...

61

كانت جينا تجلس بعد يومين في غرفة الاستجواب التي أصبحت مألوفة لها الآن بينما محاميها يجلس بجوارها بظهر مستقيم متأهب. لن تقول أي شيء. لا نية لديها للاعتراف. إنها لا تشعر بالذنب. لقد كانا يستحقان الأمر. كان المحقق رايس يحدق إليها وكأنه يعرف كل شيء، وكأنه قادر على سبر مكنون نفسها وقراءة أفكارها. حظًا سعيدًا له إذًا. فالمكان مظلم هنا، داخل عقلها. لكنها متأكدة من أنهم لم يعثروا على أي دليل مادي على الرغم مما يقولونه. لا يمكن أن يكونوا قد عثروا على البدلة الواقية الملطخة بالدماء، والقفازين، وكل شيء آخر. كانت تعلم أنهم لم يعثروا عليها. إنهم يخدعونها. سأل رايس: «هل قدتِ سيارة إيرينا من قبل؟».

إنهم يعلمون بأمر السيارة إذًا. لقد توقعت، لهذا قُبِضَ على إيرينا. لكن لماذا أطلقوا سراحها؟ إن إيرينا ليس لديها حجة غياب في تلك الليلة. إن جينا متأكدة من هذا. كانت ستعود إلى منزلها بعد عشاء عيد الفصح في منزل والديهم وتقرأ كتابًا جيدًا قبل أن تخذل إلى النوم. هذا ما قالتها.

هل أدركوا أن شخصًا آخر يمكن أنه قد استعمل سيارتها؟ من المؤكد أن إيرينا أخبرتهم بشأن نسخ المفاتيح في محاولة منها لتبرئة نفسها. لكنهم جميعهم كانوا يعلمون أن إيرينا تحتفظ بنسخة من مفاتيحها في الفناء الخلفي. كرر رايس: «هل قدتِ سيارة إيرينا من قبل؟».

كان محاميها قد أخبرها بأن تنكر كل شيء.

- لا.

- هذا مثير للاهتمام. لأن لدينا دليل حمض نووي يخصك موجود في مقعد السائق في سيارة إيرينا. لقد عثرنا على شعرة من رأسك. قالت جينا بسرعة: «هذا مستحيل».

وهي تفكر هذا إذا ما عثروا عليه، هذا دليلهم المادي. وأدركت الآن، وقلبها يخفق بشدة، أنها أنكرت أنها قادت سيارة إيرينا قط. إنه لمن الصعب التفكير بوضوح في هذه الغرفة الصغيرة الحارة حيث الجميع يحدقون إليها، وشعرت بنفسها وقد بدأت في التعرق ومسدت شعرها للخلف بتوتر. قال المحامي: «ما علاقة هذا بالأمر؟».

- إن لدينا شاهدًا رأى سيارة إيرينا -اسمها على لوح سيارتها- مصطفة في آخر مدخل منزل الزوجين مرتون ليلة جريمتي القتل.

نظر المحامي إليها نظرة خاطفة ثم أشاح بعيدًا وقال: «لقد انتهينا هنا، لا مزيد من الأسئلة. إلا إذا كان لديكم شيء آخر».

هز رايس رأسه نافيًا، وقام المحامي وهو يقول: «هيا بنا يا جينا، يمكننا الذهاب». لكن جينا تمهلت وقد كانت استردت ثقتها، وقالت: «إنه لمن المبرر للغاية كيف كانت هناك شعرة مني في سيارة إيرينا، فأنا دائماً ما أضمرها حين أراها، وعادة ما تركب سيارتها بعد ذلك. لا بد وأن هذا هو سبب وجود الشعرة هناك». ثم نهضت واقفة لترحل.

قال رايس بإحباط واضح: «الأمر هو أننا متأكدان من أن إيرينا كانت في منزلها طوال الليل. كانت تتحدث في وقت جريمتي القتل على الهاتف مع إحدى صديقاتها. وإننا نعرف أنه لا بد وأن شخصاً آخر هو من كان يستعمل سيارتها في تلك الليلة. ولم نحصل على أي حمض نووي لأي شخص آخر في سيارتها إلا أنت. وإننا نعلم أنك كنت تعلمين في وقت سابق من تلك الليلة بشأن نية والدك تغيير وصيته».

أجاب المحامي: «هذا لن يكون كافياً أبداً لإدانتها، وأنت تعلم هذا. وكما تقول موكلتي يمكن أن تكون تلك الشعرة قد انتقلت من ضمة».

ابتسمت جينا بتكلف إلى المحقق وتبعت محاميها إلى خارج الغرفة دون أن تتفوه بأي كلمة أخرى.

62

منذ أن أطلقوا سراح إيرينا، وكاثرين في حالة نفسية قلقة. لم يعرفوا قط لماذا أُلقي القبض عليها أو لماذا أطلقوا سراحها. وإيرينا لا تجيب على هاتفيها أو تفتح باب منزلها وهذا أمر مثير للأعصاب. وأخذوا منهم جميعاً عينات من حمضهم النووي منذ يومين، سمعت كاثرين صوت جرس الباب ونهضت بسرعة مفزوعة، وقد شعرت بالدوار فجأة. هل هم هنا ليلقوا بالقبض عليها الآن؟ هذا مستحيل. فهي لم تفعل أي شيء. لكنها شعرت بالذعر يملكها، والخوف على طفلها الذي لم يولد بعد.

اقتربت من الباب لتفتحه وهي تشعر بالرهبة الشديدة في أحشائها وقالت بدهشة: «أودري! (ثم أصبح صوتها بارداً) ما الذي تفعله هنا؟».

- هل لي بالدخول؟

ترددت كاثرين، لكنها تنحت جانباً وفتحت الباب على مصراعيه. انضم تيد إليهما الآن، ويعلو وجهه هذا التعبير الذي باتت تكرهه، نظرة الخوف، تجعلها هذه النظرة تود أن تهزه. وشقوا طريقهم إلى حجرة المعيشة وجلسوا.

قالت أودري: «لقد كنت أتحدث إلى إيرينا».

نظرت كاثرين إليها بدورها مرعوبة لكنها حاولت أن تتمالك نفسها. لم قد تتحدث إيرينا إلى أودري في حين أنها لا تتحدث إليهم؟ إنها خائفة من النظر إلى زوجها، وقالت كاثرين: «لم قد تتحدث إليك إيرينا؟».

- أنا وإيرينا نعرف بعضنا بعضًا منذ وقت طويل. إننا نفهم بعضنا بعضًا. ولقد اعتنيت بقطها حين اعتُقلت.

نظرت كاثرين إليها بدورها في زعر، وشرحت لهما أودري عن رؤية سيارة إيرينا، وأضافت: «إن إيرينا تقول إن شخصًا آخر لا بد وأنه استخدم سيارتها في تلك الليلة».

حاولت كاثرين أن تتحدث، لكن حلقها جاف، ثم قال تيد بصوت خفيض: «هذا... هذا هراء، أليس كذلك؟».

أجابته أودري: «في الواقع، إنهم متأكدون من أن شخصًا آخر استخدم سيارتها في تلك الليلة لأنها كانت في منزلها تتحدث على الهاتف. لديهم تسجيلات بذلك، (ثم توقفت، وسرورها واضح لأنها شاركت هذه المعلومة) وقالت إنكم جميعًا أيها الأولاد كنتم تعلمون بأنها كانت تحتفظ بنسخة من مفاتيحها في الفناء الخلفي».

لم تجب كاثرين، لكنها نظرت بسرعة إلى تيد ولاحظت شحوب وجهه، وتابعت أودري: «وأعرف شيئًا آخر، لقد عثروا على دليل حمض نووي -شعرة- من شخص آخر جلس في مقعد السائق في السيارة على الرغم من أن إيرينا تقول إن أيًا منكم لم يركب سيارتها من قبل، هذا على حد علمها».

قال تيد بنبرة صوت اتهامية وكأنه يظن أنها تخلق هذا الأمر كله: «كيف علمت بشأن هذا الأمر؟».

- إنني أعرف مراسلة صحافية صديقة لأحد ما يعمل داخل المعمل. وأخبرتني بذلك وهي تأمل أن أزودها بنباً جديد.

سألت كاثرين بفم جاف وهي بالكاد تخرج كلماتها: «إلى من ينتمي هذا الحمض النووي؟».

- جينا.

غاصت كاثرين للخلف على ظهر الأريكة، وداخلها كله ضوضاء. جينا! ثم أخذت نفسًا عميقًا. لقد علمت جينا تلك الليلة أن والدهم سيغير وصيته، أخبر جاك المحققين بذلك، وكانت كاثرين مضطربة حين ألقى القبض على إيرينا؛ بدا وكأن عالمها قد قلب رأسًا على عقب. إذ اعتقدت طوال تلك الفترة أن دان هو من ارتكب الأمر، وأنه أكثرهم شبهًا بأبيهم. لطالما كانت قلقة من سلوكه الغريب بالتربص بالناس؛ فهي تعرف بعادته في القيادة ليلاً بمفرده. فكرت:

لقد ورث أسوأ انفعالات أبيه، لكنه لم يرث دهاء أبيه في التجارة، ثم قالت أخيرًا: «أيعتقدان إذا أن جينا هي من فعلتها؟ هل سيلقيان بالقبض عليها؟». هزت أودري رأسها نافية والإحباط واضح عليها، وقالت: «تقول صديقتي الصحافية إن هذا لن يكون كافيًا ليلقى القبض عليها بتهمة القتل. ومن الواضح أنهما استجوباهما وتركاهما ترحل».

لا تريد كاثرين لاسم العائلة التمرغ في الوحل. إنها تريد لكل هذا أن يزول، ثم أدركت، مدهوشة، أن الأمور ستصير على خير ما يرام. لن يحدث أي شيء مريع، لن تذهب جينا إلى السجن؛ إنها حتى لن يُلقى القبض عليها، ولا دان. ستصير الأمور على خير ما يرام. يمكنهم الآن أن يتنفسوا الصعداء بسبب ما يعرفونه. ستستمر الحياة. وسينحسر الحديث عن القضية في نهاية المطاف، وسيصيرون جميعًا أغنياء. الوحيدة التي ستذهب إلى السجن هي روز. وشعرت فجأة وكان الحمل الثقيل الذي كان على كتفها قد أزيح، وكبتت رغبتها في أن تبتمس. وبدلاً من ذلك أبدت تهماً يليق بالحدث، وقالت: «شكراً لك يا أودري لإخبارك إيانا».

- فكرت أنه يجب عليّ ذلك. لأنني لم أكن متأكدة أن أي شخص آخر سيفعل.

نظرت كاثرين إليها بتشكك وقالت: «أنت تستمتعين بذلك، أليس كذلك؟ لطالما كنت تبغضين جينا أكثر منا».

نهضت أودري لترحل، وقالت: «ما كان يجب لفريد أن يُقتل أبداً، وكان يجب أن أحصل على حصتي الحقيقية فور أن يموت من السرطان، والذي كان قريباً للغاية».

وسارت بخطوات واسعة إلى الباب ثم التفتت لتقول لهما كلمة أخيرة: «أتعلمان ما سأستمتع به بالفعل؟ رؤية جينا مُدانة».

كان دان في منزله حين اتصلت به كاثرين، شعر بجسده وهو يفيض بالأدرينالين بينما كاثرين تشرح له كل شيء، وأغلق عينيه بارتياح للحظة. سيتركه المحققان وشأنه الآن. وإنه لأمر رائع أن يعرف أخيرًا. من الرائع أن يعرف أيًا من أختيه يجب أن يحترس منها، وكم هو غريب أن الفضل في هذا

يرجع لأودري، سأل دان: «ما الذي يجب علينا فعله؟ أقصد هل نخبرها أننا نعلم أم ماذا؟».

ظلت كاثرين صامته على الجانب الآخر من الهاتف تفكر، ثم قالت: «أعتقد أننا يجب ألا نجعلها تفلت من معرفة أننا نعرف بالأمر».

ظل دان صامتاً. إنه لا يريد أن تفلت من العقاب إن حق القول. ثم قالت كاثرين: «هل يمكنك أن تأتي إلى منزلي الليلة؟ يجب علينا أن نُعلم جينا أننا نعلم بالأمر ونطمئننا أننا لن نقول أي شيء أبداً».

قال دان على مضض: «حسناً. لو تجدين أن هذا تصرف حكيم. فأنت تعلمين بمزاجها».

كانت الأجواء مشحونة بشكل واضح في منزل كاثرين هذا المساء. والآن وقد حانت اللحظة المرتقبة، وجدت كاثرين نفسها متوترة ونظرت إلى تيد ليدعمها. يبدو أنه متوتر هو الآخر. إنها لا تعلم تمامًا ما تتوقعه - نوعاً من الإنكار الفاتر من قبل جينا - لكن يجب أن يكشفوا لها أنهم يعرفون. ويجب عليها هي ودان أن يراقباها ويأملأ ألا يكون لديها أي دوافع في المستقبل لتقتل أي شخص آخر.

كانت إيرينا التي ردت على مكالمتها أخيراً قد رفضت دعوتها. إنها لا تريد أي علاقة بينها وبينهم، وأخبرتها أنها قررت أن تستقيل وتنتقل جنوباً فور أن تحصل على إرثها، وأنها سترسل لها ببطاقة عيد الميلاد في أعياد الميلاد، ومن ثم أغلقت الهاتف. لا يمكن لكاثرين أن تلومها. فلقد تمادى ولاؤها إلى حد أن كاد يُلحق لها تهمة جريمة قتل.

كانوا جميعهم هنا - فيما عدا أودري - تتشارك هي وتيد الأريكة، بينما جينا على كرسي منجد، ودان على الكرسي الآخر، وليزا على كرسي آخر أتت به كاثرين إليها، كانت كاثرين قد صبت لكل شخص منهم كأساً من الخمر وكانت تشرب هي تونيك وليمون.

قالت كاثرين وهي تسعى إلى جعل صوتها بنبرة حيادية قدر استطاعتها: «لقد علمنا يا جينا أن المحققين وجدا حمضك النووي في سيارة إيرينا، وأنهما يظنان أنك أنت من قتلت أبي وأمي».

شاهدت كاثرين قسمات وجه جينا وقد تبدلت، والتوى فمها غضبًا، فتابعت كاثرين: «لكن لا بأس لأن لا شيء سيحدث، فتلك الشعرة الموجودة في سيارة إيرينا ليست كافية لإدانتك. ستصير الأمور على خير ما يرام». وسادت لحظة من الصمت الثقيل، ثم قالت جينا بنبرة متوعدة: «كيف تجرئين؟».

أجفلت كاثرين، فلقد رأت أختها في هذه الحالة المخيفة من قبل، ثم أخذت كاثرين تنظر إلى البقية ليدعموها، وقالت: «إننا نعلم يا جينا. لا داعي للكذب علينا. نحن لن نفعل أي شيء».

ردت جينا ببرود: «لا يعرفان أي شيء». لقد عثرا على شعرة مني في سيارة إيرينا. لكن لا فكرة لديهما كيف وصلت إلى هناك. (ثم نظرت بخبث إلى كاثرين) لكن ربما أنت تعلمين».

وشعرت كاثرين بالغثيان، (لا يمكن أنها ترمي إلى اتهامها بذلك) ثم نظرت كاثرين بسرعة إلى تيد، لكنه كان يحدق برعب إلى جينا وكأن هناك ثعبانًا ملتحقًا على كرسيها.

ثم قالت جينا وهي تنظر إلى دان: «أو ربما إنه أنت يا دان». فغر دان فاه وهو ينظر إليها، وقالت جينا: «أنا لا أعلم من، لكن واحدًا منكما قتل أبي وأمي ووضع شعرتي هناك في سيارة إيرينا». قالت كاثرين بسرعة والموقف يتضح أمامها والأفكار تتدافع بجنون داخل عقلها: «لم يضعها أي شخص هناك».

وهذا ما آلت إليه الأمور: جينا قتلت والديها. لكن زوجها، تيد، لن يكون متأكدًا بالكامل بعد الآن من أنها لم تفعل ذلك، ثم نظرت كاثرين إلى ليزا، ورأت نظرة عدم التيقن اليائسة تعلو وجهها بينما تحديق إلى جانب وجه دان. من ستصدق ليزا؟ ثم عادت كاثرين مرة أخرى تنظر إلى جينا، لكن جينا كانت تنظر إليها بهدوء أكثر من ذي قبل، لقد استعادت ثقتها بنفسها.

قالت جينا: «أنا لم أغادر منزلي قط تلك الليلة على الرغم من أنني لا أستطيع إثبات ذلك. لكننا جميعًا نعلم أن كلاً منكما كان بالخارج لساعات». دُعرت كاثرين بصمت ولسان حالها يقول اللعنة على هذه العائلة.

63

كانت جينا تقود عائدة من بيت كاثرين وهي تسترجع ما حدث ليلة عيد الفصح بينما أضواء سيارتها تخرق الظلام الممتد على طول الطريق الموحل. كانت في حالة مزاجية لارتكاب جريمة قتل حين رحلت هي وچاك، أوصلت چاك إلى محطة القطار فهي لم ترد صُحبته وهو لم يحاول تغيير رأيها، ثم عادت إلى منزلها وفكرت في الأمر ووضعت خطة.

قادت جينا إلى بيت دان. لم تكن سيارة دان في الممر، وتسقلت إلى مرأب دان عن طريق الباب الجانبي غير الموصد وهي تلبس قفازين مطاطيين عثرت عليهما في خزانة التنظيف خاصتها. ولم تكن سيارة دان في المرأب أيضًا. وفكرت في أنه خرج لقيادة سيارته لأنه يعبر عن استيائه بهذا الشكل، وهي تعلم بأمر عادته المريبة. استخدمت كشافًا يدويًا صغيرًا كانت قد أحضرته معها -ولقد تركت هاتفها الجوال متعمدة في منزلها- لتأخذ البدلة الواقية والجوربين فقد كانت تعلم بالفعل أنهم بالداخل، ثم توجهت إلى بيت إيرينا. وكما توقعت، كانت سيارتها مصطفة على الشارع، وكان منزلها مظلمًا، صفت جينا سيارتها في آخر الشارع بعيدًا عن أنظار بيت إيرينا، وبحرص دون أن يراها أي شخص وجدت مكان مفاتيح إيرينا الاحتياطية في الفناء الخلفي تحت حوض النباتات، ثم قادت سيارة إيرينا إلى منزل والديها، ووصلت بعد الساعة الحادية عشرة بقليل، ثم أطفأت أنوار السيارة، وتوقفت وصفتها في آخر المدخل.

كانت الليلة هادئة وساكنة، وعلى الأرجح لن يرى أيُّ شخص السيارة هنا، ولو فعلوا، سيرون سيارة إيرينا وليست سيارتها هي. لم ترد أن تخاطر باحتمالية أن يرى أيُّ شخص سيارتها، الميني كوبر، في أيِّ مكان بالقرب من المكان الليلة.

ترجلت من السيارة وظلت تحديق إلى المنزل لبرهة. هناك ضوء خفيف آت من غرفة النوم الرئيسية. ذهبت حيناً إلى الفناء الخلفي وهي تحمل أدواتها في حقيبتها القماش، وهناك، خلعت حذاءها ومعطفها وارتدت البدلة الواقية، وزوجين إضافيين من الجوارب، وفور أن فرغت من ارتداء الملابس، وأحكمت غطاء الرأس على وجهها، دون أن تُظهر أيَّ شعرة منها، شعرت بإحساس غريب بأنها منيعة، وأخذت السلك الكهربائي التي أحضرته معها وعادت إلى مقدمة المنزل ورنّت جرس الباب، لم يفتح أحد، رنت الجرس مرة أخرى، وأخرى، وأخيراً شعرت بالأضواء وهي تُضاء على السلم وفي البهو الأمامي متسربة من نافذة حجرة المعيشة على يسارها، وبالأخير فتحت والدتها الباب كما توقعت.

ولبرهة، ظلت والدتها واقفة هناك لا تفهم ما هذا. ربما لم تتعرف عليها وهي في البدلة الواقية التي تغطيها بالكامل حتى شعرها متسببة في تغيير هيئتها، لم تفهم والدتها ما تفعله هنا، ثم بعد ذلك عرفت، وعلمت ما تفعله هنا. وكانت هناك تلك النظرة التي علت وجهها، ثم عادت للخلف، والتفتت، وهرعت باتجاه حجرة المعيشة. لكن حيناً كانت خلفها تماماً وجلبت السلك الكهربائي بسرعة حول رقبتها قبل حتى أن تتمكن من الصراخ، وأمسكت السلك بإحكام وهي تسحب والدتها أبعد إلى حجرة المعيشة وهي تحاول ألا تتسبب في ضوضاء كثيرة، واعتصرت رقبتها بقوة حتى توقفت أخيراً عن المقاومة وتدلّى رأسها على السلك، استغرق هذا وقتاً أطول مما توقعت، ثم أنزلتها إلى الأرض. لم تشعر حيناً بأيِّ شيء، وعادت مرة أخرى وأغلقت الباب الأمامي بهدوء، ثم عادت إلى الجثة ووجدت صعوبة في انتزاع خاتمي أمها. لقد كان الأمر صعباً باستخدام القفازين، ثم سمعت نداء والدها من الطابق الثاني: «شيلة، من الطارق؟».

لم يكن هذا الوقت المناسب لتزيل القرطين الماسيين المعقدين من أذني أمها، وذهبت حيناً بسرعة إلى المطبخ من الجزء الخلفي من حجرة المعيشة متحاشية البهو الأمامي حيث سيهبط والدها من السلالم إليها، وضعت السلك

الكهربائي والخاتمين على طاولة المطبخ وسحبت سكين اللحم من حامل السكاكين. وقالت: هنا. وهي تأمل ألا ينظر أولاً في غرفة المعيشة، ولو فعل، ستصرف حينها، ستطارده حتى تمسك به.

ووقفت كتمثال في ظلام المطبخ وانتظرت. استرجعت لحظة ما أمسكت من الخلف حين مر بجانبها وذبحته بضربة واحدة مباشرة وأخذت الدماء تتدفق على يديها، والباقي ضبابي بعض الشيء، فلقد كان الأمر مختلفاً عن قتل والدتها؛ شيء ما استولى عليها، وحين انتهت من الأمر، كانت تلهث من المجهود، والإرهاق، ومغطاة بالدماء، ثم جلست على الأرض دقيقة لترتاح. وكانت تعلم ما يجب عليها أن تفعله تالياً، وعليها أن تكون سريعة.

أحضرت كيس نفايات من تحت الحوض ووضعت خاتمي أمها والسلك الكهربائي بالداخل، ثم ذهبت إلى آخر البهو وصعدت السلالم إلى حجرة النوم الرئيسية، سرقت بعض الأشياء من صندوق المجوهرات، لكنها قررت بعد ذلك أن تأخذ كل شيء وأفرغت محتوياته كلها في الكيس، أفرغت محتويات محفظتيهما وألقت بهما على الأرض. كل ذلك وهي تترك خيطاً من الدماء وراءها أينما ذهبت سواء في الطابق الثاني أو في الأرضي، وسحبت الأدراج، دخلت غرفة المكتب لكنها تركت الخزانة وشأنها، وبالأخير، أخذت صندوق فضة العائلة من حجرة الطعام، ثم خرجت من الباب الخلفي الموجود في المطبخ إلى الفناء الخلفي المطل على وهد. كانت تعلم أنها لن ترى هناك، فلقد كان الظلام دامساً، والمنازل الأخرى كانت بعيدة للغاية ومحجوبة بواسطة الأشجار، ثم نزعت البدلة الواقية والجوارب ووضعتهم في الكيس البلاستيكي مع السلك الكهربائي، والمجوهرات، والبطاقات، والأموال، ثم نزعت القفازين آخر شيء، مسحت يديها ووجهها جيداً بمناديل مبللة، ووضعتها في الكيس هي الأخرى، ثم وضعت هذا الكيس في الحقيبة القماشية، وانتعلت حذاءها، وارتدت معطفها، ولبست زوجين جديدين من القفازات المطاطية، وعادت مرة أخرى إلى سيارة إيرينا، وقادت عائدة إلى منزل إيرينا، ونقلت الحقيبة القماشية إلى سيارتها وأعادت المفاتيح إلى مكانها مرة أخرى.

وفي طريقها إلى العودة للمنزل، تخلصت من الأدلة، في مكان ما لن يستطيع أي شخص العثور عليها فيه. لقد أخفت الحقيبة القماشية في ملكية ريفية على طول الطريق الريفي المعزول حيث تعيش، دفنتها في الأرض حيث ستُصَب خرسانة أسمنتية من أجل مبنى خارجي جديد في وقت ما من

اليوم أو اليومين التاليين. كانت معرفتها بهذا الأمر ضربة حظ بالكامل لأنها تعرفت على المرأة التي تمتلك تلك الملكية، وذكرت لها هذا.

والآن، كلما قادت جينا سيارتها بجوار هذا المبنى، ورأته يرتفع -إنه يتقدم بشكل جيد- تشعر بشيء من الارتياح. لن يعثروا على دليل أبداً. إنها الوحيدة التي تعلم أنه هناك. لم يقتل كاثرين أو دان أبويهما، لكن تيد وليزا لا يعرفان هذا على وجه اليقين. وابتسمت جينا ابتسامة صفراء بينما تقود. إن أرادت، يمكنها أن تخبر تيد وليزا بأشياء -حدثت بالفعل- ستجعلهما يرتعبان. هذان القرطان على سبيل المثال، القرطان اللذان عُثِرَ عليهما في صندوق مجوهرات كاثرين، القرطان اللذان «استعارتهما»، جينا تعلم أن أمها كانت تضع هذين القرطين الليلة التي خنقتها فيها. لقد أُتيح لها بعض الوقت أن تلاحظهما بينما كانت تخنقها بالسلك. وإنها تعلم أن لا بد وأن كاثرين قد نزعتهما من جسد أمها تلك الليلة. وتتساءل جينا ما ستكون ردة فعل تيد على هذا.

أما بالنسبة إلى دان، ألا تتعجب ليزا من عادة زوجها القهرية للقيادة بلا وجهة ليلاً؟ إلى أين في اعتقادها يذهب؟ ألم تحاول قط أن تتصل بهاتفه؟ ما الذي يفترض أنه يفعل؟ فكرت جينا: هذا سلوك تقليدي لقاتل متسلسل في رأيي.

من السيئ للغاية أن أودري لم تمت من السم التي كانت قد وضعت له في الشاي المثليج صباح يوم الأحد، بعد أن تسللت من النافذة الخلفية المفتوحة حين كانت أودري بالخارج، لكن في نهاية المطاف، إن الأمر لا يهم حقاً.

خاتمة

قادت أودري الطريق من بيت فريد وشيلا إلى بيت إيرينا ثم إلى بيت جينا مرارًا وتكرارًا على مدار الأسابيع التالية. إنها تعتقد أن جينا قد تخلصت من الملابس الملطخة بآثار الدماء أو البدلة الواقية في مكان ما هنا في تلك الليلة، أرادت أن تثبت أن جينا هي من قتلت فريد وشيلا. من الواضح أن كاثرين لا تهتم بذلك، فهي تريد أن تبقى كل شيء هادئًا وتحافظ على اسم العائلة. لكن أودري تشك في أن دان يشعر مثلها، وأودري يمكنها أن تتفهم لماذا. ففي مخيلة العامة، والصحافة المهووسة بقضية قتل الزوجين مرتون، دان هو الشخص الذي يعتقد الجميع أنه المُدان. وهو يريد تبرئة نفسه.

واكتشفت أودري أن جينا هي من حاولت تسميمها، ثم قررت تتبع جينا، لكن على بعد مسافة آمنة. وفي يوم من الأيام وجدتتها تتوقف للحظة عند منزل على الطريق الريفي الذي تعيش فيه. لم تمكث طويلًا، لكن كان كافيًا لتلاحظ أودري التي تنتظر في آخر الطريق الجانبى أن هناك مبنى خارجيًا جديدًا يُبنى على تلك الملكية التي تبعد بعض المسافة عن منزل جينا، وخرجت جينا وهي حاملة شيئًا ما. كانت أودري بعيدة للغاية لترى ما هو.

وبينما تقود جينا بعيدًا، انتظرت أودري في مكانها للحظة، ثم اقتربت من المكان. ورأت علامة: بيض طازج. ترجلت أودري من سيارتها وصعدت المدخل القصير. إنه منزل قديم رُمَّم بشكل لطيف ليحافظ على رونقه الأصلي، له قرميد أحمر، وزخرفة بلون كعكة الجنزبيل الكريمة على الشرفة الأمامية. تخيلت أودري نفسها وهي تعيش في مكان مثل هذا، في الريف، لكن ليس

بعيدًا للغاية عن المدينة. بالطبع إنها تبغض حقيقة أنها لن تستطيع أبدًا أن تحظى بمنزل في بريكن هيل، لكنها تحب المكان هنا حقًا. إنه هادئ وينعم بالسلام.

قالت أودري حين اقتربت امرأة منها خارجة من الأبواب الزجاجية: «أهلاً، يا له من مكان جميل».

- شكرًا لك. هل كنتِ تودين بعض البيض؟

- نعم، من فضلك، دسّته.

وبينما تحزم المرأة دسّته البيض، قالت أودري: «لاحظت أنك تبنين مبنى خارجيًا جديدًا».

هزت المرأة رأسها بالإيجاب. وقالت: «صببت الخرسانة الأسمنتية بعد عيد الفصح مباشرة، والآن شارف تقريبًا على الانتهاء».

ابتسمت أودري للمرأة ودفعت ثمن البيض. ولقد شاهدت أودري بما يكفي العديد من برامج الجريمة لتعرف أنه من الذكاء أن تُدفن الجثث تحت خرسانة أسمنتية على وشك أن تُصب، بالأخص إذا ما كان الأساس لمبنى ما. لماذا لا يوجد أي دليل؟ زارت رايس وبار وأخبرتهما بما تعتقده. لكنهما أخبراه أنهما لن يستطيعا أن يحفرا في مبنى في ملكية خاصة بناءً على شكوكها بغض النظر كم تبدو أسبابها منطقية.

بطريقة ما مضت سنة كاملة. سمعت أودري أن كاثرين حظيت بطفلة وأنها وتيد والطفلة يعيشون الآن في بيت فريد وشيلا القديم في بريكن هيل، رأت أودري تيد مؤخرًا في محل البقالة وهو يدفع عربة المشتريات بإرهاق ويشترى طعامًا وحفاضات، ويبدو أنه مُنهك وتعبس، والتفتت بعيدًا متحاشية إياه قبل أن يتمكن من رؤيتها.

وفي يوم مشمس في مطلع شهر يونيو، صُودف أن قادت أودري إلى الملكية الريفية الجميلة مرة أخرى، وهذه المرة لاحظت لافتة للبيع على مقدمته. كانت أودري قد حظيت تَوًّا بميراثها، مليون دولار. أوقفت السيارة وأخذت تحدق إلى اللافتة مدة طويلة، مليون دولار ستكون أكثر من كافية.

والتقطت هاتفها واتصلت بالسمسار العقاري.

شكر

يتطلب كتابة كتاب وعرضه في السوق -بخاصة خلال عام- جهد فريق متواصلًا، وإني محظوظة للغاية لامتلاكي أفضل الفرق على الإطلاق. ها نحن الآن بصدد الكتاب السادس، ومجددًا أقدم خالص شكري لكل الأشخاص الذين يجعلون كتبي أفضل ما يمكن أن يكون، كل مرة. شكرًا بريان تارت، وباميلا دورمان، وجيرامي أورتن، وبن بترون، وماري ستون، وبيل باننا، وألكس كروز جيمينيز وبقية الفريق الرائع في Viking Penguin في الولايات المتحدة، إلى لاري فينلاي، وبيل سكوت-كير، وفرانكي جراي، وتوم هيل، وإيلا هورن، وبقية الفريق البارع في Transworld في المملكة المتحدة، وإلى كرستين كوشران، وأمي بلاك، وبهافنا شوهان، وإيما إنجرام، وبقية الفريق في Doubleday في كندا. شكرًا لكم جميعًا، وأخص بالشكر محرري المجتهدين، فرانكي جراي وجيرامي أورتن، اللذين أكن لهما كل التقدير! وشكر خاص مجددًا لجاين كافولينا لكونها محررة استثنائية. لا أتصور أن تُحرر كتبي بواسطة أي شخص آخر.

شكرًا مجددًا لوكيلتي المحبوبة، هيلين هيلر، بخاصة هذا العام، حين جعلت الجائحة كل شيء يبدو أصعب. إنك دائمًا ما تجعلينني أمضي قدمًا، وأنا ممتنة. شكرًا أيضًا لكميلا وجميما والجميع في Marsh Agency لتمثيلي دوليًا وبيع كتبي في أسواق عدة.

الشكر مجددًا لمستشاري لمسائل الطب الشرعي، مايك ايلز، الحاصل على ماجستير العلوم في برنامج الطب الشرعي من جامعة ترينت، وأيضًا كيت

بيندلو، محققة مسرح الجريمة في المملكة المتحدة. أنا ممتنة للغاية لكما
أنتما الاثنين على مساعدتكما!

كالعادة، أئى أخطاء في النص تخصصني بالكامل.

أريد شكر جميع الأشخاص في عالم الكتب الذين حضروا الفعاليات
افتراضياً حين لم نتمكن من فعلها جسدياً.

والشكر دائماً لقرائي. ما كنت لأكون هنا، أفعل ما أحب، لولاكم أنتم
الآخرون.

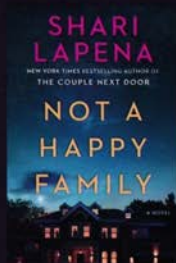
وأخيراً، شكراً لزوجي، وأولادي، والقط بوبي. وأخص بالذكر مانيل لحله
المشكلات التقنية بلا كلل خلال العام الماضي.

مكتبة

t.me/soramnqraa

ليست عائلة سعيدة

كلُّ فرد في هذه العائلة يخفي سرًّا ما، خصوصًا... الأموات.
إنَّ منطقة بريكين هيل الواقعة شمال مدينة نيويورك مكانٌ
فخمٌ للغاية. وليكون لديك منزلٌ هناك، يجب أن تكون ثريًّا،
ثريًّا للغاية مثل فريد وشيلا مرتون. لكن تلك الثروة الطائلة
التي يملكانها لم تستطع إغاثتهما حين طرَقَ القاتلُ بابَ
منزلهما، وفَتَكَ بهما بوحشيةٍ مبالغٍ فيها ليلةَ عيد الفصح
بعد شجارٍ محتدمٍ مع أبنائهما الثلاثة على مأدبة العشاء.
وعلى الرغم من أن بعض محتويات المنزل قد نُهبَت، وسُرقت
المجوهرات، فإنها جريمةٌ بشعةٌ ووحشيةٌ
للغاية ليكون قَتْلُهما بدافع السرقة فقط.
فَن قد يفعل مثل هذا الأمر؟ وهل هي
جريمة سرقة من الأساس؟ أم هل هناك
أسرارٌ ما في هذه العائلة؟



مكتبة
t.me/soramnqraa



aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb